

وزارة الثقافة
المختار من التراث العربي
(٧٢)

مِنْ
تَشْتَرِ الدِّعَاءِ

لِلْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي سَعْدٍ مَنْصُورِ بْنِ أَحْسَنِ الْإِسْطِ

الترقي سنة ٤٢١ هـ

الكتاب الثاني

اختار لخصوص وقدم لها وعلق عليها

مظهر الجبجي



0119778

الدكتور الفاني : زهير الحمو

من نشر الدر - السفر الثاني

الهيئة العامة للحفاظ على التراث الثقافي	رقم التوثيق
رقم التوثيق	رقم التوثيق

وِزَارَةُ الثَّقَافَةِ
الْمُخْتَارِ مِنَ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ
٧٢

مِنْ

تَشْرِيفًا لِلدَّيْنِ
٧٢

لِلْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي سَعْدٍ مَنْصُورِ بْنِ مُحْسِنِ الْإِسْمِ

المتوفى سنة ٤٢١ هـ

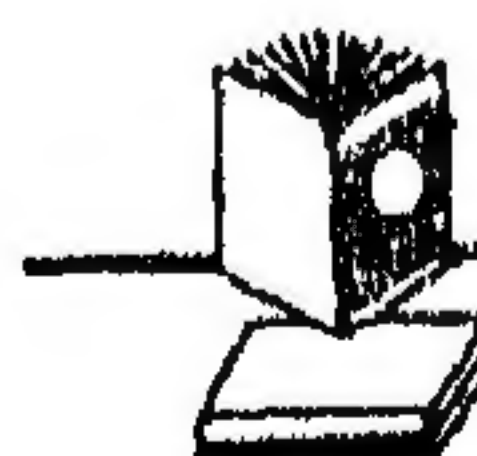


السَّفَرُ الثَّانِي

اختيار النصوص وقسم لها وعلو عليها

مظهر راجحي

Library of the Syrian Arab Republic
National Library



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ١٩٩٧

من نشر الدر / أبو سعد منصور بن الحسين الأبي، اختار النصوص وقدم لها وعلق
عليها مظهر الحجبي. - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧. - ٤ ج؛ ٢٠ سم. -
(المختار من التراث العربي؛ ٧١ - ٧٤).

١ - ٨١٨,٠٢ س ع د م ٢ - العنوان ٣ - أبو سعد الأبي
٤ - الحجبي ٥ - السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني: ع - ٤٤١ / ٣ / ١٩٩٧

الباب الأول

كلام معاوية بن أبي سفيان وولده

قال الهيثم (١) : خرج معاوية يريد مكة ،
حتى إذا كان بالأبواء (٢) اطلع في بئر عادية (٣) ،
فأصابته اللقوة (٤) . فأتى مكة ، فلما قضى نسكه ،
وصار إلى منزله ، دعا بثوب ، فلفه على رأسه ، وعلى
جانبيه وجهه الذي أصابه فيه ما أصابه ، ثم أذن للناس
فدخلوا عليه ، وعنده مروان ، فقال :

إن أكن قد ابتليت فقد ابتلي الصالحون قبلي ،

(١) هو الهيثم بن عدي أبو عبد الرحمن الطائي الأخباري المؤرخ ،
توفي سنة ٢٠٧ هـ .

(٢) الأبواء . فرقة بينها وبين المدينة ثلاثة وعشرون ميلا ، بها
قبر والدة الرسول عليه السلام .

(٣) بئر عادية : قديمة نسة إلى عاد

(٤) اللقوة . داء يصيب الوجه فيعوج الفم أو جانب منه .

وأرجو أن أكونَ منهم وإنْ عُوْقِبْتُ فقد عُوْقِبَ الظالمونَ قبلي، وما آمَنُ أنْ أكونَ منهم ، وقد ابْتُئِلْتُ في أحسنِّي (١) وما يَبِيدُ ومني . وما أَحْصِي صحيجي . وما كان لي على ربِّي إلَّا ما أعطاني . واللهِ إِنْ كان عَتَبَ بعضُ خاصَّتِكُم لَقد كُنْتُ حادِياً على عامَّتِكُم ؛ فرحمَ اللهُ امرءاً دعا لي بالعافية .

دخل المسوّر على معاويةَ ، فقال له : كيف تركتَ قريشاً ؟ قال : أفتَ سيدها يا أميرَ المؤمنين ، أعلاها كعباً ، وأسودها (٢) أباً ، وأرفعها ذِكراً وأجلها قدراً . قال : كيف تركتَ سعيداً (٣) ؟ قال : عليلاً . قال : لليدينِ وليلِفَم (٤) :

(١) المعنى : في أحسن عضو . والظاهر لكل إنسان وهو وجهه .

(٢) أسودها . من السيادة .

(٣) يريد سعيد بن العاص كما سينبين من الكلام بعد .

(٤) هذا من أقوال العرب في الدعاء على الإنسان : أي : أسقطه الله

لليدين وللمم

بِهِ لَا بِيْظِي بِالصَّرِيْمَةِ (١) أَعْفَرًا (٢)

قال : وعمرو بن سعيادٍ صبيٌّ يسمعُ قوله من وراءه .
فقال : إِذَا وَاللَّهِ لَا يَسَاءُ جُفْرَتَكَ (٣) ، ولا يزيد في
رزقك ، ولا يدفع حتفًا عنك ، بل يفت في عضدك ،
ويبيضُ ظهرك ، وينشرُ أمرك ، فتدعو فلا تُجاب ،
وتتوعدُ فلا تُهاب .

فقال معاوية : أبا أمية ، أراك ها هنا . إِنَّ أَبَاكَ
جارأنا إلى غايةِ الشرف ، فلم تعلق بآثاره ، ولم نقم
لمحضره (٤) ، ولم نلحق بمضماره ، ولم نلن من
غُبارِه ، هذا مع قوة مكانٍ ، وعزة سلطان . وإنَّ

(١) الصريمة : القطعة المنفردة من الرمل

(٢) عجز بيت صدره

أقول له لما أتاني نعيه

والبيت للفرزدق .

(٣) الحفرة : مجمع البطن والصدر .

(٤) المحفار . الفرس الشديد العدو .

أثقل قومينا علينا مَن سبقنا إلى غايةٍ تترفٍ ؛ فأخذ أبوك
علينا القصبة (١) ، وملك دوننا الغلبة .

رُوي أن عمرَ بن الخطَّاب - رضي الله عنه - قدم
الشَّامَ . ومعه عبدُ الرحمن بن عوف أو أبو عبيدة ، وهما
على حمارين قريبين من الأرضِ ، فتلقَّاهما ، معاويةُ
في كوكبةٍ (٢) نحشَّاء ؛ فشئى وركَّه ، فنزَلَ ،
وسلَّم بالخلافة : فلم يردَّ عليه ، فقال له عبد الرحمن أو
أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين أحضرتَ الفتى (٣) فلو كاسمتَه .
فقال : إنَّكَ لصاحبُ الجيش الذي أرى ؟ قال : نعم .
قال : مع شِدَّةِ احتجاجِك ، ووقوفِ ذوي الحوائجِ
ببابك ؟ قال : أجل . قال : لم ؟ ويا لك ! قال : لأنَّا
ببلادٍ يكثُرُ بها جواسيسُ العدوِّ ، فإن نحن لم نَتَّخِذْ
العُدَّةَ والعددَ استخفَّ بنا . وهجم على عورتنا . وأنا

-
- (١) المراد : سبق إلى المعالي يقال للمراهن في السباق : أحرز
القصبة ، لأنهم كانوا يركزون فصبا عند غاية المضمار .
(٢) الكوكبة : الجماعة ، والحشَّاء : الكثيرة السلاح .
(٣) بمعنى حُبَّ به أو دعونه .

— بعدُ — عامُلك ؛ فإن وقفتني وقفتُ ، وإن استزدتني زدتُ ، وإن استنقصتني نقصتُ .

قال : والله لئن كنت كاذباً لئن لرأي أريب .
ولئن كنت صادقاً لئن لتدبير أديب . ما سألتك قطُّ عن شيءٍ إلا تركتني فيه أضيقَ من رواجبِ الضرس (١) .
لا أمرك ولا أنهاك .

فلما انصرف قال له صاحبه : لقد أحسنَ الفتى في إصدار ما أوردت عليه . قال : بحسن إصداره وإبراده جشمناه (٢) ما جشمناه .

قال معاويةُ : معروفُ زماننا هذا منكرُ زمانٍ قد مضى ، ومنكرُ زماننا هذا معروفُ زمانٍ لم يأتِ .
ومن كلامه : الفرصةُ خيالةٌ ، والخيالةُ يمنع الرزقَ .
والهيبةُ خيبةٌ ، والحيكمةُ ضلالةُ المؤمن .

(١) الرواجب . أصول الأصابع ، والضرس : الرجل الداهية والمراد تركتني في أمر يصعب علي الخروج منه .
(٢) جشمناه : كلفه أمراً فيه مشقة .

وقال ذات يوم لابنه يزيد : يا بُنيَّ ؛ لا تستفسد
الحر فساداً لا تصلحهُ أبداً . قال : بمآذا ؟ قال : لا
تشتُمَنَّ لهُ عِرْضاً ، ولا تصرِبنَّ له ظَهراً ، فإن الحرَّ
لا يرى الدُّنيا عِوضاً مِن هذين ، ولكن خُذ ماله ،
ومتى شئت أن تُصلِحَهُ فمالٌ بمالٍ .

وقال له عمرو بن العاص : قد أعياني أن أعلم
شُجاعٌ أنت أم جَبَان ؟ فقال :

شجاعٌ إذا ما أمكنتني فرصة
هَلِ إن لم تكن لي فرصة فجبَّانُ

وقال لعاملٍ له : كُلْ قليلاً تعملُ طويلاً ، الزم
العفاف يازمك العملُ ، وإيَّاك والرُّشَا يشتدُّ ظهرك عند
الخصام .

ورفع يوماً ثُنْدوتيه (١) بيديه ، ثم قال : لقد علمَ
الناسُ أن الخليلَ لا تجري بمثلي ، فكيف قال النجاشي : (٢)

(١) الثندوة : عند الرجل تقابل الثدي عند المرأة . أراد معاوية
أن يدل على ندائه وثقل وره .

(٢) النجاشي : قيس بن عمر بن مالك شاعر إسلامي .

وتنجي ابنَ حربٍ سابحٌ (١) ذو عِلالةٍ (٢)
 أجشٌ (٣) هزيمٌ والرماحُ دَوَانِ
 وقال : إني لأكره النِّكَارَةَ (٤) في السِّيدِ ، وأحبُّ
 أن يكونَ غافلاً أو متغافلاً (٥) .
 وقال لأبي الجَهمِ العدوي : أنا أكبرُ أم أنتَ يا أبا
 الجهم ؟ فقال : لقد أكلتُ من عُرْسِ أُمِّكَ . فقال :
 عند أيِّ أزواجِها ؟ قال : في عرسِ حفص بن مغيرة
 فقال : يا أبا الجهم ؛ إيتاك والسلطانُ ، فإنه يغضبُ
 غضبَ الصَّبيِّ ، ويعاقبُ عقوبةَ الأسدِ ، فإنَّ قلباهُ
 يغدُبُ كثيرَ الناسِ .
 وقال يوماً : أنا أعرفُ أرخصَ ما في السوقِ وأغلاهُ ،

(١) السابح : الفرس . وتسمى الخيل السوابح ؛ لأنها تسبح في
 سيرها .

(٢) العلالة : بقية جري الفرس .

(٣) الأجش . الغليظ الصوت ، أو الذي جهد صهيله ، والهزيم
 من الخيل : الشديد الصوت .

(٤) النكارة : الفطنة والدهاء .

(٥) المتغافل : الذي يظهر الغفلة ولبس فيهِ .

فَقِيلَ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ فَقَالَ : أَعْلِمُ أَنَّ الْجَيْدَ رَخِيصٌ
وَالرَّدِيءَ غَالٍ .

وَلَمَّا مَاتَ زِيَادُ وَفَدَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُهُ . فَقَالَ لَهُ :
مَنْ اسْتَخْلَفَ أَخِي عَلَى عَمَلِهِ بِالْكُوفَةِ ؟ قَالَ : عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ خَالِدٍ أَسِيدُ (١) قَالَ : فَعَلَى الْبَصْرَةِ ؟ قَالَ : سَمُرَةُ
ابْنُ جَنْدُبٍ (٢) . فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : لَوْ اسْتَعْمَلْتَ أَبُوكَ
اسْتَعْمَلْتُكَ ! . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : أَلَيْسَ بِكَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَهَا
لِي أَحَدٌ بَعْدَكَ : لَوْ وَلَا تَكُ أَبُوكَ ، وَعَمُّكَ وَلَيْتُكَ .
فَوَلَّاهُ خُزَّاسَانَ .

وَأَوْصَاهُ فَقَالَ : اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُؤْثِرَنَّ عَلَى تَقْوَاهُ
شَيْئًا ، وَقِي عَرْضَكَ (٣) مِنْ أَنْ تُدَنِّسَهُ وَإِذَا أُعْطِيَتْ

-
- (١) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ اخْتَلَفَ فِي كَوْنِهِ مُخْزُومِيًّا أَوْ أُمُويًّا .
وَلِي فَارِسَ مِنْ قَبْلِ مُعَاوِيَةَ وَاسْتَخْلَفَهُ زِيَادُ عَلَى الْبَصْرَةِ .
- (٢) سَمُرَةُ بْنُ جَنْدُبٍ بْنُ هَلَالٍ كَانَ عَلَى شَرْطَةِ زِيَادٍ ، وَكَانَ مِنَ
الْحِفَاطِ الْمَكْثُرِينَ . مَاتَ سَنَةَ ٥٨ هـ .
- (٣) قِي عَرْضُكَ : احْفَظْهُ وَصْنَهُ ، فَعَلَّ أَمْرًا مِنْ وَقِي . ف : فَعَلَ أَمْرًا
مِنْ وَفَى .

عهداً فف به . ولا تبيعن كثيراً بقليل ، وخذ لنفسك
من نفسك ، ولا يخرجن منك امر حتى تبرمه ،
فإذا خرج فلا يردن عليك . وإذا لقيت عدوك فغلبك
على ظهر الأرض فلا يغلبك على بطنها ، وإن احتاج
أصحابك أن تؤاسيهم بنفسك فواسيهم ، ولا تطمع
أحد في غير حقه ولا تؤيسن أحداً من حق هو له .

وخطب مرة فقال : أيها الناس ، إنا قد أصبنا
في دهر عتود ، وزمن شديد ، يصبح فيه المحسن مسيئاً ،
ويزداد الظالم عتواً ، لا ننتفع بما علمنا ، ولا نسأل
عما جهلنا ، ولا نتخوف قارعة حتى تحبل بنا ،
فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنع من الفساد
إلا مهانة نفسه ، وكرال حده ، ونضيض (١) وهو
ومنهم المصائب (٢) ليسيفه ، المجلب برجائه .
المعالي بشره ، قد أشرط نفسه (٣) ، وأوبق دينه (٤)

(١) النضض القليل وهو في الأصل الماء الفليل ، والوفر المال

المدخر .

(٢) أصابت سيفه : جرده من غمده . وأحلب برجله : جاء برحاله

(٣) أشرط نفسه . أعلمها وأعداها .

(٤) أوبق دينه . أهلكه .

لُحْطَامٍ يَنْتَهِزُهُ ، وَمِقْنَبٍ (١) يَقُودُهُ أَوْ مُنْبِرٍ يَفْرَعُهُ (٢) ،
وَلِبَاسٍ الْمَتَجَرُّ أَنْ تَرَاهُمَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا ، وَمَمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ
عَوَضًا . وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَلَا
يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا ، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَمَخِيصِهِ ،
وَقَارَبَ مِنْ خَطَطُوهِ ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِيهِ ، وَزَنَخَرَ نَفْسَهُ
لِلْأَمَانَةِ ، وَاتَّخَذَ سِرَّ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ .
وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنِ طَلَبِ الْمَالِ نَفْسُهُ ، وَانْقَطَاعُ سَبَبِيهِ ،
فَقَصَّرَ بِهِ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقِسَاةِ ،
وَتَزَيَّنَ بِاسْمِ الزَّهَادِ ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاكِحٍ وَلَا مَفْدَى .

وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضُّ أَبْصَارِهِمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ ،
وَأَرَاقُ دُمُوعِهِمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ (٣)
وَنَخَائِفٍ مُنْقَمِعٍ (٤) وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ (٥) ، وَدَاعٍ

(١) المِقْنَب : جماعة الخيل والفرسان بين الأربعين والخمسين .

(٢) فَرَعُ الْمُنْبِر : علاه .

(٣) النَاد : الشريد النافر .

(٤) الْمُنْقَمِع : الذليل ، وانقمع الرجل : ذل .

(٥) مَكْعُومٌ : كعمه : سد فمه .

مُخْلِصٌ وَمُؤَجِّعٌ ثُكْلَانِ ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمْ التَّقِيَّةُ ، وَشَمَلَتْهُمْ
 الذَّلَّةُ ؛ فَهَمٌ فِي بَحْرِ أَجَاجٍ ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ ،
 وَقُلُوبُهُمْ قَرِيحَةٌ . وَعَظُّوا حَتَّى مَلُّوا ، وَقُهِرُوا حَتَّى
 ذَلُّوا ، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلَّوْا ؛ فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا أَقْلًا فِي
 أَعْيُنِكُمْ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرْظِ (١) وَقَرَاظَةِ (٢) الْجَلَمِ
 وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ . بِكُمْ مِنْ
 بَعْدِكُمْ .

قَدِمَ رَجُلٌ " مِنْ مِصْرَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ لِيَحْدِثُهُ إِذْ حَبَبَقَ (٣) ؛
 فَانْقَبَضَ وَتَرَكَ الْكَلَامَ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : نَحْنُ فِيهَا كُنْتُمْ
 فِيهِ . فَمَا سَمِعْتُمْهَا مِنْ أَحَدٍ أَكْثَرَ مِمَّا سَمِعْتُمْهَا مِنْ نَفْسِي .
 وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ " مَرْتَفِعُ الْعِطَاءِ فَرَأَى فِي عَيْنَيْهِ
 رَمَصًا (٤) ؛ فَحِطَّ عِطَاءَهُ وَقَالَ : بَعِجْزُ أَحَادُكُمْ إِذَا
 أَصْبَحَ أَنْ يَتَعَهَّدَ أَدِيمَ وَجْهِهِ .

(١) حُثَالَةُ الْقَرْظِ : نَفَايِثُهُ ، وَالْقَرْظُ : وَرَقُ شَجَرِ السَّلَمِ .

(٢) الْقَرَاظَةُ : مَا يَتَسَاوَدُّ مِنَ الثَّوْبِ عِنْدَ قَعِّهِ . وَالْجَلَمُ : الْمَقْصُ .

(٣) حَبَبَقَ : ضَرَطَ .

(٤) الرَّمَصُ : قَذَى الْعَيْنِ .

وقال لقريش في خلافته : إني أقعُ إذا طرتم ، وأطير إذا وقعتم ، ولو وافق طيراني طيرانكم لاختلفنا .

وقال : العيال أرصةُ (١) المال .

وقيل له : ما بَلَغَ من عقلِكَ ؟ قال : لم أثقُ بأحدٍ . ونظر إلى يزياد وهو يضربُ غُلاماً له ، فقال له : لا تُفسِدِ أدَبَكَ بتأديبه ، ولكن و كَلِّ به من يؤدبه .

رُوي عن بعضهم أنه قال : قدم معاوية المدينة . فدنوتُ من المنبر لأحفظَ عنه ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد ، فإني قد منّا على صديق مستبشر ، وعلى عدو مُستبَسِر ، وناسٍ بين ذلك ينظرون وينتظرون ؛ فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها سخطوا . ولستنا نَسعُ الناسَ كلَّهم ، فإن تكن حمدةٌ فلا بدَّ من لائمةٍ ، ليكونَ لوماً هوناً ، إذا ذكر غفَر ، وإيّاكم

(١) الأرضة : دوية قارضة ، والمراد : تفني المال كما تفني الأرضة ما تقرضه .

والعُظمى التي إن ظهرت أوبقت ، وإن خفيت
أوتغت (١) .

وبلغه أن ابنته امتنعت على ابن عامر في الافتضاخ ،
فمشى إليها يتوذف (٢) في مشيته ، وفي يده مخضرة ،
فجلس ، وجعل ينكت في الأرض ويقول :

من الخيفرات البيض ، أمّا حرامها
فصعب ، وأما حلها فذلكول

وخرج ، ودخل ابن عامر فلم تمنع عليه .
وسئل : ما النبل ؟ . فقال : الحلم عند الغضب ،
والعفو عند المقدرة .

وقال : الدنيا بخذافيرها (٣) الخفيض والدعة .
وقال له رجل : والله لقد بايعتلك وأنا كاره .
فقال : قد جعل الله في الكره خيرا كثيرا .

(١) أوتفت : أهلك . وأوبقت : أهلك .

(٢) يتوذف : يسرع الخطا ويقاربها .

(٣) خذافيرها : جمع خذافور وهو الجانب والمراد : كل ما تشتمل

عليه .

وكان يَأْذَنُ لِلْأَحْنَفِ فِي أَوَّلِ مَنْ يَأْذَنُ لَهُ ،
فَأَذِنَ لَهُ يَوْمًا ، ثُمَّ أَذِنَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، فَعَجَّأ
مُحَمَّدٌ فَجَلَسَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَبَيْنَ الْأَحْنَفِ ؛ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ :
لَقَدْ أَحْسَسْتَ فِي نَفْسِكَ ذُلًّا ، إِنِّي لَمْ أَذِنْ لَهُ قَبْلَكَ لِيَكُونَ
فِي الْمَجْلِسِ دُونَكَ ، وَإِنَّا كَمَا نَمْلِكُ أُمُورَكُمْ نَمْلِكُ
تَسَادِيبَكُمْ ، فَأَرِيدُوا مَا يَرَادُ بِكُمْ ؛ فَإِنَّهُ أَبْقَى لِنِعْمَتِكُمْ ،
وَأَحْسَنُ لَأَدَبِكُمْ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ فِي النِّسَاءِ : إِنَّهُنَّ يَغْلِبْنَ الْكِرَامَ ،
وَيَغْلِبُهُنَّ اللَّثَامُ .

وَفَخَّرَ عَنْدهُ سُلَيْمٌ مَوْلَى زِيَادٍ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ :
اسْكُتْ ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَكَ صَاحِبُكَ شَيْئًا بِسَيْفِهِ إِلَّا وَقَدْ
أَدْرَكَتْ أَكْثَرَ مِنْهُ بِلِسَانِي .

* * *

يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَوَلَدُهُ

كُتِبَ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ : أَمَا بَعْدُ ، فِ «إِنَّ اللَّهَ لَا
يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا

أَرَادَ اللَّهُ بِقِسْوَمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ
دُونِهِ مِنْ وَآلٍ « (١) وَإِنِّي وَاللَّهِ لَيَسْتَكُنُّكُمْ
فَأَخْلَقْتُكُمْ (٢) . وَرَفَقْتُ بِكُمْ فَأَخْرَقْتُكُمْ (٣) . ثُمَّ
وَضَعْتُكُمْ عَلَى رَأْسِي ، ثُمَّ عَلَى عَيْنِي ، ثُمَّ عَلَى فَمِي ،
ثُمَّ عَلَى بَطْنِي . وَابْتِغَى اللَّهُ ابْنُ وَضَعْتُكُمْ تَحْتَ قَدَمِي
لِأَطَاعَاتِكُمْ وَطَاةٍ أَقِيلُ بِهَا عَذَابَكُمْ ، وَأَذِلُّ غَابِرَكُمْ ،
وَأَتْرَكُكُمْ أَحَادِيثَ تُنْسَخُ فِيهَا أَخْبَارُكُمْ مَعَ أَخْبَارِ عَادٍ
وَنُوحٍ .

لَعَلَّ الْحَلَامَ دَلَّ (٤) عَلَيَّ قَوْمِي
وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ (٥)

تَكَالَمَ يَوْمًا عِنْدَ مَعَاوِيَةَ الْخَطِيبَاءُ فَأَحْسَنُوا وَأَكْثَرُوا ؛
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا رَمِيْنَهُمْ بِالْخَطِيبِ الْأَشْدَقِ (٦) ، قُمْ
يَا يَزِيدُ فَتَكَلَّمْ .

-
- (١) سورة الرعد : ١١ .
(٢) أَخْلَقْتُكُمْ : أَلَيْتُكُمْ .
(٣) أَخْرَقْتُكُمْ : سَبَّيْتُ لَكُمْ الْحَرَقَ وَهُوَ الْحَقُّ .
(٤) دَلَّ : جَرَأَ ، مِنْ الدَّلَالِ .
(٥) الْبَيْتُ لَقَيْسِ بْنِ زَهْرٍ الْعَبْسِيِّ .
(٦) الْأَشْدَقُ : الْوَاسِعُ الشَّدَقِينَ .

ذَكَرَ أَنَّ الْحُجَّاجَ لَمَّا أَكْرَهَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ عَلَى
 أَنْ يَزَوِّجَهُ ابْنَتَهُ (١) اسْتَأْجَلَهُ فِي نَفْسِهَا سَنَةً ، فَفَكَرَ عَبْدُ
 اللَّهِ فِي الْإِنْفِكَاحِ مِنْهُ ؛ فَأَلْقَى فِي رُوعِهِ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ
 ابْنَ مُعَاوِيَةَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يُعَاهِدُهُ ذَلِكَ . وَكَانَ الْحُجَّاجُ
 تَزَوَّجَهَا بِإِذْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَوَرَدَ عَلَى خَالِدٍ كِتَابُهُ
 لَيْلًا ؛ فَاسْتَأْذَنَ مِنْ سَاعَتِهِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ؛ فَتَقِيلُ : أَفِي
 هَذَا الْوَقْتُ ؟ فَقَالَ : لِيِنَّهُ أَمْرٌ لَا يُؤْخَّرُ ، فَأَعْلَمَ عَبْدُ الْمَلِكِ
 بِذَلِكَ . فَأُذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ إِلَيْهِ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : فِيمَ السُّرَى (٢)
 يَا أَبَاهَا شَمُّ ؟ قَالَ : أَمْرٌ جَلِيلٌ ، لَمْ أَمِنْ أَنْ أُؤَخَّرَهُ ؛ فَتَحَدَّثَ
 عَلِيٌّ حَادِثَةً ، فَلَا أَكُونُ قَضِيَّتُ حَقٍّ بَيِّعَتِكَ . قَالَ :
 مَا هُوَ ؟ قَالَ : تَعْلَمُ أَنَّكَ كَانَتْ بَيْنَ حَيَّتَيْنِ مِنَ الْعِدَاوَةِ
 وَالْبَغْضَاءِ ، مَا كَانَتْ بَيْنَ آلِ الزُّبَيْرِ وَبَيْنَنَا ؟ قَالَ : لَا .
 قَالَ : فَإِنَّ تَزَوُّجِي لِي إِلَى آلِ (٣) الزُّبَيْرِ حَلَلٌ لَهُمْ ، مَا كَانَ

(١) هِيَ أُمُّ كَلْثُومِ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَأُمُّهَا زَيْبُ بِنْتُ عَلِيٍّ
 ابْنِ أَبِي طَالِبٍ .

(٢) السُّرَى : السَّبْرُ لِبَلَا .

(٣) تَزَوُّجُ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ رَمَلَةَ بِنْتُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَلَهُ فِيهَا شَعْرٌ .

في قلبي ، فما أهل بيت أحب إليّ منهم . قال : إن ذلك ليكون ؟ قال : فكيف أذنت للحجاج أن يتزوج من بني هاشم ، وأنت تعلم ما يقولون ويقال فيهم ، والحجاج من سلاطانيك بحيث عامت . قال : فجزاه خيراً . وكتب إلى الحجاج يعزم عليه أن يطلقها . فطلقها . فغدا الناس يعزونه عنها .

وكان فيمن أتاه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان (١) ، فأوقع الحجاج بخالد . فقال : كان الأمر لآبائه فعمجز عنه حتى انتزع منه . فقال له عمرو : لا تقل ذلك أيها الأمير ؛ فإن لخالد قديماً سبق إليه ، وحديثاً لن يغلب عليه ، فلو طأب الأمر لطلبه بجيد وجند ، ولكن عام علماء فسلم العلم إلى أهليه . فقال الحجاج ؛ يا آل أبي سفيان ؛ أنتم تحببون أن تحاسنوا ، ولا يكون الحلم إلا عن غضب ، فمنعنا غضبكم في العاجل ابتغاء مرضاتكم في الآجل .

(١) عمرو بن عتبة بن أبي سفيان ابن عم خالد بن يزيد ، قتل مع ابن الأشعث .

ثم قال الحمجاج : والله لأتزوجنَّ من هو أَمَسُ
به رحماً ، ثم لا يمكنه فيه شيء : فتزوج أمَّ الخلاس
بنتَ عبدِ الله بنِ خالد بنِ أسيد .

تهدد عبد الملك بن خالد بالجحيمَان : فقال خالد :
أهددني ، ويسد الله فوقك مانعةً ، وعلماءُ الله دونك
مبدول ؟ .

قال رجل لخالد بن يزيد بن معاوية : ما أقربُ شيءٍ ؟
قال : الآجل . قيل : فما أبعدُ شيءٍ ؟ قال : الأمل .
قيل : فدا أنسُ شيءٍ ؟ قال : الصاحبُ المواتي (١) .
قيل : فدا أوحشُ شيءٍ ؟ قال : الميت .

دخل عبدُ الملك بن مروان على يزيد بن معاوية .
فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن لك أرضاً بوادي القرى (٢)
ليست لها غلّة ، فإن رأيتَ أن تأمرَ لي بها فإني له يزيد :
إنا لا نخذع عن الصغير ، ولا نبخلُ بالكبير ، وهي لك .

(١) الصاحب المواقى . الموافق .

(٢) وادي القرى : وهو واد بين المدينة والشام ، من أعمال المدينة
سمي كذلك لكثرة القرى فيه .

فلما ولى قال يزيد: إن أهل الكتب يدعون أن هذا يرث ما نحن فيه ، فإن كان كما قالوا فقد صابغناه ، وإن لم يكن فقد وصغناه .

قال معاوية ليزيد : إن كنت بعدي - وكنته فابدأ بالخير ، فإنه يعفني (١) على الشر ، وما صنعت من شيء فاجعل بينك وبين الله ستراً ترجوه له ، وتأمله به . وإيتاك والقتل فإن الله قاتل القاتلين .

وصف معاوية الوليد بن عتبة (٢) فقال : إنه لبعيد الغور ، ساكن الفور (٣) ، نبتة أصل لا يخلف ، وسليل فحل لا يقرف (٤) .

ودخل خالد بن يزيد دار عبد الملك ، وكان يسحب

(١) يعفي على الشر : يزيله ويفنيه .

(٢) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، ابن أخي معاوية ، اشتهر بالفصاحة والحلم والكرم .

(٣) الفور : مصدر فار والمراد قليل الغضب .

(٤) أقرف الفرس : صار هجيناً وأقرف الرجل إذا كان أحد

أبويه غير عربي

ثيابه ؛ فقام إليه عبدُ الرحمن بن الضحاك (١) يتلقّاه
معظماً له ؛ فقال له : بأبي أنت وأمي ، لم تُطعم الأرضَ
فضول ثيابك ؟ فقال : إني أكره أن أكون كما قال
الشاعر :

قصيرُ الثياب فاحشٌ عند بيته
وشرُّ قريشٍ في قريشٍ مُركباً (١)
وهذا البيت هُجّي به الضحّاكُ . قال الجاحظ : لو
لم يتكلف مالا يعنيه لم يسمع هذا الجواب .

قال بعضهم : كنتُ عند معاويةَ إذ دخل عبدُ الملك ،
فتحدث ونهض ، فقال معاوية : إنَّ لهذا الغلام همةً ،
ونخيلقُ أن تبلغَ به هِمَّتَهُ ، وإنه مع ما ذكرتُ تاركُ
لثلاثٍ آخذٍ بثلاثٍ : تاركُ مَسَاعِدِ الجليسِ جيدٍ آوَهَزْلاً ،
تاركُ لما يعتذرُ منه ، تاركُ لما لا يَعْنِيهِ ؛ آخذُ بأحسنِ
الحديثِ إذا حَدَّثَ ، وبأحسنِ الاستماعِ إذا حَدَّثَ ،
وبأهونِ الأمرينِ عليه إذا خولفَ .

(٥) عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس ، قتل أبوه في موقعة مرج راهط ،
واستعمله يزيد بن عبد الملك والياً على المدينة .

(١) المركب . الطبع .

وقال لعبيد الله بن زياد : يا بن أخي ، احفظ عني ،
لا يكوننَّ في عسكرك أميرٌ غيرُك . ولا تقولنَّ على
منبر قولاً يخالفه فعلُك . ومهما غابت فلا تغلبنَّ على
مبيتهِ كريمة .

وقال معاوية : آفةُ المروءةِ الكبيرُ وإخوانُ السوء .
وآفةُ العلمِ النسيانُ ، وآفةُ الحلمِ الدل . وآفةُ الجودِ
السرفُ ، وآفةُ القصدِ البخلُ ، وآفةُ المنطقِ الفحشُ .
وآفةُ الجلادِ الكسلُ ، وآفةُ الرراةِ الكِبَرُ . وآفةُ
الصمتِ العبيُّ ، وآفةُ اللبِّ العُجب . وآفةُ الظرفِ
الصلافُ ، وآفةُ الحياءِ الضعفُ .

وقال : لا جَدَّ إلا ما أقعَصَ عنك ما تكره (١) .

وقال : لا تَعِدَنَّ شيئاً ، وحسبك جوداً أن تُعطيَ
إذا سُئِلْتَ .

وقال لابنه يزيد : ما المروءة ؟ فقال : إذا ابتليتَ
صبرت ، وإذا أعطيتَ شكرت ، وإذا وعدتَ أنجزت .

(١) الجَد : الحفظ . أقعَص الرجل : قتله قتلا سريعاً .

قال : أنتَ مني ، وأنا منك يا يزيد .
وقال معاويةُ : المروءة مؤانسةُ الأكفاءِ
ومُداجاةُ (١) الأعداءِ .

وقال : ما وجدتُ لندةٍ شيءٍ ألدَّ عندِي غيباً (٣)
من غيظٍ أتجرِّعهُ ، ومن سفةٍ بالحلمِ أقبِّعهُ .

وأغلظَ له رجلٌ فاحتملته ، وأفرطَ عليه فحلم
عنه ؛ فقليل له في ذلك . فقال : لا نَحُولُ بينَ الناسِ
وَأَلَسْتِهِمْ مالم يَحْوَوا بينننا وبين ماكننا .

وقال لابنه : يا بني ، اتَّخِذِ المعروفَ عند ذَوِي
الْأَحْسَابِ تَسْتَمِيلُ بِهِ قُلُوبَهُمْ ، وَتَعْظُمُ بِهِ فِي أَعْيُنِهِمْ .
وَتَكْفُ بِهِ عَنْكَ عَادِيَتُهُمْ .

* * *

(١) المداجاة : المداراة ، وعدم إظهار العداوة

(٢) الغب : العاقبة .

الباب الثاني

كلام مروان بن الحكم^(١) وولده في الخلفاء

كتب مروان إلى النعمان (١) بن بشير بخطبه إليه
ابنته أم أبان لابنه عبد الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من مروان بن الحكم إلى النعمان بن بشير .
سلام عليك ، فإنني أحمدك إليك الله الذي لا إله
إلا هو .

أما بعد ؛ فإن الله ذَا المنِّ والبرهان ، والعظيمة
والسلطان ؛ قد خصَّكم — معاشر الأنصار — بنصرة

(١) مروان بن الحكم ولد سنة ٢ هـ استكتبه عثمان بن عفان وولاه
معاوية المدينة ومكة والطائف ، تولى الخلافة واستمر بها أشهراً ، ومات
سنة ٦٥ هـ .

(٢) النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري ، ولد قبل وفاة الرسول
بثمان سنين .

دينه ، وإعزاز نبيّه محمد - صلى الله عليه وسلم - وقد جعلك منهم في البيت العميم ، والفرع القديم وقد دعاني إلى إحياء مصاهرتك والإيثار لك على الأكفاء من ولد أبي . وقد أحببت أن تزوج ابني عبد الملك بن مروان ابنتك أمّ أبان بنت النعمان ، وقد جعلت صداقتها ما نطق به لسانك وتزومت به شفقتك ، وبلغه منك . وحكمت به في بيت المال قبلك .

وقال مروان لابنه : آثر الحق ، وحصن مملكته بالعدل ، فإنه سورها المنبع الذي لا يخرقه ماء ، ولا يخرقه نار . ولا يهدمه منجنيق (١).

وذكر أبو هريرة معاوية في مجلس فيه مروان فاغتابه ، ثم خاف أن يبلغ معاوية ذلك ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه قال : « المَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ » ، وسأل مروان أن يكتم عليه .

(١) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة .

فقال مروانُ : والله . لسمّا ركبتَ منّي في ظنّك
بي أني أنقلُ حديثك أعظمُ مِمّا ركبتَ من معاوية .

عبدُ الملكِ بنُ مروانَ

خطب فقال : أيّها الناسُ ، اعملُوا لله رغبةً أو
رهبةً ، فإنكم بناتُ نعمته ، وحَصِيدُ نِقْمَتِهِ ، ولا
تَغْرَسُ لكم الآمالُ ما تَهْتَنِيهِ الآجالُ . وأقِلُّوا
الرغبةَ فيما يورِثُ العطبُ ، فكلُّ ما تزرعهُ العاجلةُ
تقلعهُ الآجلةُ . واحذَرُوا الحديدَينِ ؛ فهما يتكرّان
عليكم باقتِسامِ النفوسِ ، وهُدْمِ ، المأسوسِ . كفانا
اللهُ وإياكم سَطْوَةَ القَدَرِ ، وأعاننا بطاعتهِ عن الحذرِ
من شرِّ الزَمَنِ ، ومُعْضِلَاتِ الفِتَنِ .

استأذن رجلٌ عليه ، فأذنَ له ، فوقفَ بين يديه
وَوَعَظَهُ ؛ فقال عبدُ الملكِ لرجلٍ : قلْ للحاجبِ ،
إذا جاء هذا فلا تَمْنَعُهُ ، وإنما أراد أن يَعْرِفَهُ الحاجبُ
فلا يأذنَ له .

وقال : إني لأعرفُ عزّةَ الرجلِ من ذلتهِ بِجِلْسَتِهِ .

وقال له ابنه الوليد : ما السياسة ؟ قال : هيبةُ
الخاصةِ مع صدقِ مودَّتِها ، واقتيادُ قلوبِ العامةِ
بالإنصافِ لها ، واحتمالُ هفواتِ الصنائعِ .

ودخل الشعبيُّ عليه ، فخطَّاه في مجلس واحد في
ثلاثٍ ، سَمِعَ الشعبيُّ منه حديثاً ؛ فقال : أَكْتَبْنِيهِ .
فقال : نحن معاشرَ الخلفاء لا نُكْتِبُ أحداً شيئاً . وذكر
رجلاً فكَتَبَناه فقال : نحن معاشرَ الخلفاء لا يُكْتَبُ الرجالُ
في مجالسنا ، ودخل إليه الأخطل ، فدعا له بكرسي .
فقال : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : الخلفاء لا تُسأل ،
فأخبره في أول مقام .

وقال لأخيه عبد العزيز (١) حين وجهه إلى مصر :
تَفَقَّدَ كاتبُك وحاجِبُك وجليستك ؛ فإنَّ الغائبَ يخبره
عنك كاتبُك ، والمتوسِّمَ (٢) يعرفُك بحاجِبِك والخارجَ
من عندك يعرفُك بجليستك .

(١) عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، والد عمر بن عبد العزيز ،
ولد في المدينة ، وولاه مروان مصر ، فكانت إقامته بجلوان . توفي
سنة ٨٥ هـ .

(٢) المتوسم : المتفرس المتخيل .

وقال : أفضلُ الرجالِ مَنْ تواضعَ عن رفعة ،
وزهدَ عن قُدرةٍ ، وأنصفَ عن قوة .
وقال : الهديةُ السَّحرُ الظَّاهِرُ .

وقال لِمُسْعَلَمٍ ولده : رَوِّ بَنِيَّ الشَّعْرَ يعرفُوا
به مكارِمَ الأَخلاقِ ، ولا تروِّهم شَعْرَ هُذَيْلٍ (١)
فتزيِّنَ لهم الفِرارَ ، ولا شِعْرَ أُحَيَّةِ بنِ الجُلَّاحِ (٢)
فتحسنَ لهم البُخلَ ، وأطعمهم اللحمَ تشدُّ قُلُوبُهم ،
وجزَّ أشعارَهم تَغْلُظُ رقابُهم .

وقال : اطلبوا معيشةً لا يقدرُ سلطانٌ جائِرٌ على
غصَبِها . فقيل : وما هو ؟ قال : الأدب .

دخل إليه أعرابيٌّ فبرك بين يديه ، ثم قال : يا أمير
المؤمنين ، إن الناقة إذا منعتِ الحلبَ قومتها العصا ؛
فقال عبد الملك : إذا تكفيت الإناء ، وتكسرُ أنف
الحالِب .

(١) هذيل الأشجعي شاعر أموي ، عمي في أواخر أيامه .

(٢) أحيحة بن الجلاح بن الحريش : شاعر جاهلي .

وقال لزفر بن الحارث (١) : ما ظنُّك بي ؟ قال :
ظني بك أنك تقتلني ؛ فقال : قد أكذب الله ظنَّك ،
وقد عفوتُ عنك .

ونازعه عبدُ الرحمن بنُ خالدِ بن الوليدِ (٢) ،
فأرَبَّى عليه ، فقبل له : لو شكوتَه إلى عمِّه لا نتقم لك
منه ؛ فقال : مِثْلِي لا شكُّو ، ولا أعدُّ - أنا - انتقام
غيري لي انتقاماً ؛ فلما استخلف قبل له في ذلك ؛ فقال :
حقِّدُ السُّلطان عجز .

قال عمرو بن عبيد (٣) : كتب عبدُ الملك وصيةً
بيده ، وأمر الناس بتدبُّر ما فيها وهي :

(١) كان زفر بن الحارث الكلبي قد خرج على عبد الملك ، مع
الضحاك بن قيس ، ولما قتل الضحاك في مرج راهط تحصن زفر بقرقيسها
على نهر الفرات إلى أن مات سنة ٧٥ هـ .

(٢) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي ، قائد شديد البأس
من التابعين ، شهد صفين مع معاوية ، كما شهد فتوح الشام ومات سنة ٤٦ هـ .

(٣) عمرو بن عبيد ، شيخ المعتزلة ، كان أبوه شرطياً للحجاج وهو
فارسي الأصل . ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٤٢ هـ .

إن الله جعل لعباده عُقُولاً عاقبهم بها على معصيته ،
 وأثابهم على طاعته ؛ فالناسُ بين مُحْسِنٍ بنعمة الله عليه ،
 ومُسِيءٍ بخذلان الله إِيَّاه ، والله النعمة على المحسن والحجةُ
 على المسيء ، فما أولى بمن تَمَّتْ عليه النعمةُ في نفسه ،
 ورأى العِبْرَةَ في غيره ، بأن يضع الدنيا حيث وضعها الله ،
 فيعطي ما عليه منها ولا يكثرُ بما ليس له فيها ، فإنَّ
 الدنيا دارُ فناءٍ ولا سبيل إلى بقائِها . ولا بد من لقاء الله ،
 فأحذركم الله الذي حذركم نفسه ، وأوصيكم بتعجيل
 ما أخرته العَجْزَةُ قبل أن تصيروا إلى الدار التي صاروا
 إليها ، فلا تقدرون فيها على توبةٍ . وليست لكم منها
 أَوْبَةٌ ، وأنا استخلفُ الله عليكم ، وأستخلفه منكم .

وأذن يوماً لخاصَّته ، فأخذوا مجالسهم ، وأقبل
 رجلٌ منهم على عَيْبٍ مُصْعَبٍ بعد قتله ؛ فنظر إليه
 عبدُ الملك نظرَ كراهيةٍ ، لِمَا قال ، ثم قال : أَمْسِكْ .
 أما عَلِمْتَ أَنَّ مَنْ صَغَّرَ مقتولاً فقد أزرى بقاتله .

* * *

الوليدُ بنُ عبدِ الملِكِ (١)

جاء إليه رجلٌ فقال : إن فلاناً نال منك . قال :
أتريدُ أن تقتصَّ أوتارك من الناس بي ؟ .

وهرب من الطاعون ، فقال له رجل : يا أميرَ
المؤمنين إن الله تعالى يقول : « (لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ
إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ
إِلَّا قَلِيلًا) » (٢) فقال الوليد : إنما نريدُ ذلك القليل .

وقال له رجلٌ : إن فلاناً شتمك ، فأكب ،
ثم قال : أراه شتمك .

وكان الوليدُ لحناناً ، فدخل عليه يوماً رجلٌ من
العرب ، فقال له الوليدُ : ما شأنك ؟ قال : أودُّ (٣)
في أنفسي واعوجاجٌ . فقال له رجلٌ من أصحابه : إن
أميرَ المؤمنين يقولُ لك : ما شأنك ؟ فقال : كذا وكذا .

(١) ولد الوليد بن عبد الملك سنة ٤٨ هـ ، وتولى الخلافة بعد وفاة
أبيه ، وافتتح في عهده الهند والترك والأندلس وهو بابي الجامع الأموي
بدمشق . توفي سنة ٩٦ هـ .

(٢) سورة الأحزاب . ١٦ .

(٣) الأود : العوج .

ولما مات عبدُ الملكِ صعيدُ الوليدُ المنبرُ ، فحمد الله
وأثنى عليه ، ثم قال : لم أرَ مثلَها مُصيبةً ولم أرَ مثله
ثواباً : موتُ أميرِ المؤمنين ، والخلافةُ ؛ فإنَّنا لله وإنا إليه
راجعون على المصيبةِ ، والحمدُ لله رب العالمين على النعمةِ
انفضُّوا فبايعُوا على بركة الله .

مات لعبدِ الملكِ ابنٌ ، فجاء الوليدُ فعزَّاه ؛ فقال :
يا بني ؛ مُصِيبَتِي فِيكَ أَعْظَمُ مِنْ مُصِيبَتِي بِأَخِيكَ ، متى
رَأَيْتَ ابناً عَزَّى أَبَاهُ ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ أُمِّي أَمَرْتَنِي
بذلك . قال : هو من مشورة النساء .

وروي أنَّ الوليدَ قام على المنبر بعد موت عبد الملك ؛
فقال :

يا لها مصيبةٌ ما أفجعها وأعظمها ، وأشدّها وأوجعها
وأغمها موتُ أميرِ المؤمنين ! ويا لها نعمةٌ ما أعظم المنَّةَ
من الله تعالى عليَّ فيها ، وأوجب للشكر له بها ، خلافتُهُ
التي سُرِبَتْهَا (١) .

فكان أولَ من عَزَّى نفسه وهنأها بالخلافة .

(١) سُرِبَتْهَا : أَلْبَسَتْهَا كَالسَّرْبَالِ . وفي الكلام استعارة .

فأقبل غيلان بنُ مَسْلَمَةَ الثَّقَفِي (١) ؛ فسلم عليه بالخلافة ، ثم قال : أصبحت يا أمير المؤمنين ورثت خير الآباء ، وسُميت خيراً الأسماء ، وأعطيت أفضل الأشياء ، فعزمَ اللهُ لك على الرِّزْيَةِ بالصبر ، وأعطاك في ذلك نوافلَ الأجر ، وأعانك في حسن ثوابه على الشكر ، ثم قضى لعبدِ الملك بخير القَضِيَّةِ ، وأنزله المنازل الرَضِيَّةَ .

فأعجبهُ كلامُهُ وقال : أثقفي أنت ؟ قال : نعم وأحدُ بني مُعْتَب . فسأله : كم هو من العطاء ؟ فقال : في مائة دينار . فألحقه بشرفِ العطاء ، فكان أول من ألحق بشرفِ العطاء .

* * *

سُلَيْمَانُ بنُ عَبْدِ الْمَلِكِ (٢)

تكلّم وفدّ بين يدي سليمان فأخطؤوا ، وتكلّم بعدهم

(١) غيلان بن مسلمة الثقفي شاعر جاهلي أدرك الإسلام وتوفي سنة

٢٣ هـ .

(٢) سليمان بن عبد الملك ، الخليفة التالي بعد الوليد ، ولد بدمشق

سنة ٥٤ هـ ، وولي الخلافة سنة ٨٩ هـ . فتح في عهده جرجان وطبرستان ،

وتوفي سنة ٩٩ هـ .

رجلٌ فأبلغ ، فقال سليمان : كأن كلامه بعد كلامكم
سعادةً لبّدت عجاجة (١) .

وقال : عجبتُ لهذه الأعاجم ، ملكت طول الدهر ،
فلم تحتج إلى العرب ، وملكك العرب فلم تستغن عنهم .

وتغذى سليمان بن عبد الملك عند يزيد بن
المهلب (٢) ، فقيل له : صيف أما أحسن ما كان في
منزله . قال : رأيتُ غلمانهم يخدمونه بالإشارة دون القول .
وقال : قد أكلنا الطيب ، ولبسنا اللين ، وركبنا
وامتطينا القارهِ العذراء ، فلم يبق من لذتي إلا صديقٌ
أطرحُ بيني وبينه مؤونة التَّحفظ .

سمع سليمان رجلاً من الأعراب في سنة جدبة يقول :

ربُّ العبادِ مالنا وما لكنا ؟

قد كنت تسقيننا فما بدا لكنا

أنزل علينا الغيث ، لا أبنا لكنا (٣)

(١) العجاجة : ما ثار من الغبار .

(٢) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، قائد شجاع ولد سنة ٥٣ هـ .

(٣) إن لا أبالك تذكر عند الملاح ، أي لا مثال لأهلك .

فقال سليمان : أشهد أنه لأبأ له ، ولا ولد له ولا صاحب . قال المُبرّد : فأخرجهُ أحسنَ مُخرج .

قال سليمان ليزيد بن المهلب : ثلاثٌ أنكرهُنَّ منك ؛ خُفُّك أبيضٌ مثلُ ثوبِك ، ولا يكونُ خُفُّ الرجلِ مثلَ ثوبه ؛ وطيبُك ظاهرٌ ، وطيبُ الرجلِ يُشَمُّ ، ولا يرى أثرُهُ ؛ وتكثرُ منْ مَسِّ لِحيتك . قال : فغَيَّرَ خُفَّهُ وطيبه .

وقال : ما رأيتُ عاقلاً يَهْمُ بأمرٍ إلا كان مُعوّله على لحيته .

وخطب فقال : الحمد لله الذي ما شاء صنع ، ومن شاء رفع ، ومن شاء وضع ، ومن شاء أعطى ، ومن شاء منع . إن الدنيا دارُ غرورٍ ، ومنزلٌ باطلٌ وزينةٌ ، تَقَلِّبُ بِأهلِها ، تُضْحِكُ بِأَكْيَا ، وتُبْكِي ضاحكاً ، وتُخِفُ آمِناً ، وتُؤْمِنُ خائفاً ، تُفْقِرُ مُثْرِيها ، وتُقَرِّبُ مُقْصِيها ، مِيَالَةً لَاعِبَةً بِأهلِها . عبادَ الله ؛ اتَّخِذُوا كتابَ اللهِ إماماً ، وارضوا به حكماً ، واجعلوه لكم قائداً ؛ فإنه ناسخٌ لِمَا كان قبله ، ولن ينسخه كتابٌ بعده . اعلموا — عباد الله — أن هذا القرآن يجلو

كيد الشيطان وضغائنه^١ (١) ، كما يجلبو ضوءُ الصبح إذا
تنفّس أدبار الليل إذا عسعس (٢) .

* * *

يَزِيدُ بنُ عبدِ المَلِكِ (٣)

كتب إليه عبدُ الرحمن بن الضَّحَّاك بن قيس يستأذنه
في غلام يهديه إليه ، فكتب إليه يزيدُ : إن كنتَ لأبد
فاعلاً فليكن جميلاً ظريفاً ليبيّاً أديباً كاتباً ، فقيهاً
حُلواً ، عاقلاً أميناً سريّاً ، يقولُ فيحسِن ، ويحضرُ
فيزين ، ويغيب فيؤمن .

فكتب إليه : قد التمسْتُ صِفَةَ أميرِ المؤمنين ،
فلم أجدها إلا في القاسمِ بن محمد ، وقد أبى أهلُه بيعه .

* * *

(١) الضغائن : الأحقاد .

(٢) عسعس : يقال : عسعس الليل : إذا أقبل ظلامه أو أدبر .

(٣) يزيد بن عبد الملك بن مروان ولد سنة ٧١ هـ ، وتولى الخلافة

بعد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٤ هـ وتوفي سنة ١٠٥ هـ .

هشامُ بنُ عبدِ الملِكِ (١)

ذكر خالدُ بن صفوان (٢) خالدَ بن عبد الله
القسري عند هشام ، فقال هشام : إن خالداً أدلَّ
فأملَّ (٣) ، وأوجفَ فأعجفَ (٤) ، ولم يترك لأوبةٍ
مرجعاً ، ولا للصالح مَوْضِعاً ، وإني لكما قال الشاعر (٥) :
إذا انصرفْتَ نفسي عن الشيء لم تكدْ

إليه بوجهٍ آخِرٍ الدهرِ تُقبلُ

نمض هشام عن مجلسه مرةً ، فسقط رِداؤه عن
منكبه ، فتناوله بعضُ جلسائه ؛ ليرده إلى موضعه ،
فجذبه هشامُ من يده ، وقال : مهلاً ، إنا لا نَتَّخِذُ
جُلُساءَنَا خَوَلاً (٦) .

-
- (١) هشام بن عبد الملك بن مروان ولد سنة ٣١ هـ ، وتولى الخلافة
سنة ١٠٥ هـ ، بنى الرصافة وكان يسكنها صيفاً ، وتوفي سنة ١٢٥ هـ .
(٢) خالد بن صفوان بن عبد الله المنقري ، من فصحاء العرب .
(٣) أدل بالمحبة فأفرط ، وأدل فأمل مثل يضرب لذلك .
(٤) أوجف الدابة : حثها ، وأعجفها : أهزلها .
(٥) قائل البيت معن بن أوس المزني .
(٦) الخول : العبيد والإماء والحاشية ونحوها . يستوى في لفظه
المؤنث والمذكر والمفرد والجمع .

عُدَّتْ لهشام - مع دهائه - سقطتان إحداهما :
أن الحاديّ حدا به ؛ فقال :

إنَّ عليكَ أيها البُخْتِيُّ (١)
أكرمَ منْ تمشي به المَطِيّ

فقال هشام : صدق .

والأخرى : أنه ذُكر عنده سليمانُ بن عبد الملك ؛
فقال : والله لأشكونّه يوم القيامة إلى أمير المؤمنين
عبدِ الملك .

وقال له مَسْلَمَةُ أخوه : كيف تطمعُ في الخلافةِ
وأنتَ بَخِيلٌ . وأنتَ جبانٌ ؟ قال لأنّي حلِيمٌ وأنّي
عَفِيفٌ .

* * *

الوليدُ بنُ يَزِيدَ (٢)

أنّي هشام بعُودٍ ؛ فقال للوليد : ما هذا ؟ قال :
خشب يُشَقَّقُ ثم يرقَّقُ ، ثم يُلصَّقُ ثم تعلَّقُ عليه

(١) ابلمال البختية : الخراسانية ، والبختي صفة للجميل منها .

(٢) الوليد بن يزيد بن عبد الملك ولد سنة ٨٤ هـ وولي الخلافة

سنة ١٢٥ هـ .

أوتارٌ فينطق فتضرب الكرامُ رؤوسَها بالحيطانِ سروراً
به . وما في المجلس أحدٌ إلا وهو يعلمُ منه ما أعلمهُ ،
وأنت أولهُم يا أمير المؤمنين . .

وقد قيل : إنَّ هذا الكلامَ هو للوليد بن مسعدة
الفزاري مع عبد الملك بن مروان .

وحكى بعضهم قال : رأيتُ هشام بن عبد الملك
يوم تُوِّفِي مَسْلَمَةُ بن عبد الملك إذ طلع الوليد وهو
نشوانٌ يجرُ مطرفَ خَزٍّ ، فوقف على هشام ، فقال :

يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ عُقْبَى من بقي لحوقٌ بمن
مضى ، وقد أفقرَ بعدَ مَسْلَمَةَ الصَّيْدُ (١) لمن رُمى ،
واختل الثغرُ (٢) فوهى ، وعلى إثر من سلفَ يمضي من
خلف ؛ فتزودوا ، فإن خيرَ الزَّادِ التَّقْوَى . قال :
فأعرض هشامٌ ولم يحر جواباً ووجم الناس .

(١) أفقر الصيد : أمكن الصيد من فقاره لراميه والمعنى أن مسامة
كان يغزو العدو ويرده ، فحين مات اختل بلد الاسلام وأمكن لمن يتعرض
إليه .

(٢) الثغر : الحد مع العدو .

وقيل : كان عمرُ بنُ الخطاب - رضي الله عنه -
 يأخذ بيده اليمنى أذنه اليسرى (١) ثم يجمع جراميزه (٢)
 ويشبُ ؛ فكأنما خلّقَ على ظهر فرسيه ، فكان الوليدُ
 ابنُ يزيد يفعلُ مثل ذلك ، وفعلهُ مرةً وهو ولي عهده ،
 ثم أقبل على مسلمة بن هشام (٣) : فقال له : أبوك يُحسنُ
 مثل هذا ؟ فقال مسلمةُ : لأبي مائةُ عبدٍ يحسنون
 هذا . فقال الناس : لم ينصفه في الجواب .

* * *

يزيدُ بنُ الوليدِ بنِ عبّادِ المَلِكِ (٤)
 لما قُتل الوليدُ بنُ يزيدَ قام يزيدُ خطيباً ؛ فحمد
 الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
 أيُّها الناس ؛ والله ما خرجتُ أشراً ولا بطراً ،

(١) المراد « بأذنه اليسرى » أذن الفرس .

(٢) جراميزه : مجموع بدنه .

(٣) مسلمة بن هشام بن عبد الملك من القواد ، مات في خلافة أبيه .

(٤) يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، الملقب بالناقص ، ولد سنة

٨٦ هـ ، وثار على ابن عمه الوليد بن يزيد وقتله ، وتولى الخلافة سنة ١٢٦ هـ
 ولم يمكث بها غير خمسة أشهر ، وتوفي في السنة نفسها .

ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبةً في الملكِ ، وما بي
إطراء نفسي ، وإني لظلومٌ لنفسي إن لم يرحمني ربِّي ؛
ولكني خرجتُ غضباً لله ولدينه ، وداعياً إلى الله ،
وإلى سنة نبيه ، لما هُدمت معالم الهدى ، وأطفيت
نور أهل التقوى ، وظهر الجبارُ العنيد ، المستحلُّ لكلِّ
حرمة ، والراكبُ لكلِّ بيدةٍ ، مع أنه والله ما كان
يؤمنُ بيوم الحساب ، وإنه لابنُ عمي في النسب ،
وكُفشي في الحسب .

فلما رأيت ذلك استخرتُ الله في أمري ، وسألتُه
ألا يَكِلَني إلى نفسي ، ودعوتُ إلى ذلك من أجنبي من
أهل ولايتي ، حتى أراح الله منه العبادَ ، وطهر منه
البلادَ بحولِ الله وقوته ، لا بحولي وقوتي .

أيها الناس ؛ إن لكم عليّ ألا أضَعَ حجراً على حجر ،
ولا لبنَةً على لبنَةٍ . ولا أَكْرِِي (١) نهراً ، ولا أَكْنِزَ
مالاً ، ولا أُعْطِيَه زوجةً ولا ولداً ، ولا أنقلَ مالاً
من بلد إلى بلد ، حتى أسُدَّ فقرَ ذلك البلدِ ونَحْصَاصَه

(٢) كرى النهر ، يكره ويكرهه : حفره .

أهليه (١) ، بما يُغنيهم . فإنْ فضلَ نقلته إلى البلدِ الذي يليه ممن هوَ أحوَجُ إليه منه ، ولا أجمركم (٢) في بعوثكم فأفتنكم ، وأفتنَ أهليكم ، ولا أغلقَ بابي دونكم فيأكل قوئكم ضعيفكم ، ولا أحملَ على أهل جزييتكم ما أجاليهم به من بلادهم ، وأقطعَ نسلهم ، ولكنَّ عندي أعطياتكم في كل سنة ، وأرزاقكم في كل شهرٍ ، حتى تستدرَّ (٣) المعيشةُ بين المسلمين ، فيكونَ أقصاهم كآدناهم .

فإنْ أنا وفيتُ لكم فعليكمُ السمعُ والطاعةُ ، وحسنُ المؤازرةِ والمكائفةِ (٤) ، وإنْ أنا لم أوفِ لكم فلكم أن تخاعوني إلا أن تستيبوني ؛ فإن تبتُّ قبلتُم مني . وإن عرفتُم أحداً يقومُ مقامي مَسَّن يُعرفُ بالصلاح ، يعطيكم من نفسه مثلَ ما أعطيتمكم ، فأردتُم أن تباعوه ، فأنا أولُ من بآيعه ، ودخل في طاعته .

* * *

(١) الخصاصة . وكذلك الحصاص ، الفقر وسوء الحال والخاصة .

(٢) جهر الجند - حبسهم في الشغور عند أرض العدو .

(٣) استدر . كثر .

(٤) المكائفة . المعاونة .

مَسْلَمَةُ (١)

قال : عجبتُ لمن أحفى شعره (٢) ثم أعفاه ،
وقصرَ شاربَه ثم أطاله ، أو كان صاحبَ سراري (٣) ؛
فاتَّخَذَ المِهْيرَاتِ (٤) .

ولما حضرته الوفاة أوصى بثلث ماله لأهل الأدب ،
وقال : صناعةٌ مجفوءٌ أهلها .

وكان إذا كثرَ عليه أصحابُ الحوائجِ وخشي
الضَّجْرَ أمر أن يُحضِرَ ندماءه من أهل الأدب ؛ فيتذاكرون
مكارمَ الناس وجميل طرائقهم ومروءاتهم فيطربُ ،
ويهيجُ ، ثم يقول : ائذنوا لأصحاب الحاجة ؛ فلا يدخل
أحد إلا قضى حاجته .

وقال له هشام : يا أبا سعيد ؛ هل دخلك ذُعرٌ

-
- (١) مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، من أبطال بني أمية ، وله فتوحات شهيرة ، توفي بالشام سنة ١٢٠ هـ تقريباً .
(٢) أحفى الشعر : قصره وخفف منه .
(٣) السراي : جمع سرية وهي الأمة .
(٤) المِهيرات : ذوات المهر .

قطُّ لحربٍ شهدَتْهَا أو لعدوٍّ ؟ قال : ما سلمتُ في ذلك
من دُعرٍ ينبّه عليَّ حيلةً ، ولم يَغشَّني فيها دُعرٌ
يسلُبُني رأيي . قال هشام : هذه البَسالة .

ودخل على عُمَرَ بنِ عبد العزيز في مرضه الذي مات
فيه ، فقال : ألا توصي يا أمير المؤمنين ؟ قال : بـِسمِ
أوصي ؟ فوالله إن لي من مالٍ (١) . فقال : هذه مائةُ
ألفٍ ، مرُّ فيها بما أحببت . قال : أو تقبَلُ ؟ قال :
نعم . قال : ترُدُّها علي من أخذَتْها منه ظلماً . فبكى
مسلمةٌ ثم قال : يرحمك الله ، لقد ألنّت منّا قلوباً
قاسيةً ، وأتقيت لنا في الصالحين ذكراً .

واستبطأ عبدُ الملك ابنه مسامةً في مسيره إلى الروم ؛
فكتب إليه :

لِمَنْ الظَّعَّانُ سِيرُهُنَّ تَزَحَّـفُ
سَيَّرَ السَّفِينِ إِذَا تَقَاعَسَ يُجْدَفُ (٢)

(١) إن نافية بمعنى ليس ومن زائدة

(٢) البيت لأعنى همدان ، مطلع قصيدة قالها وهو أسير ببلاد الروم

فلما قرأ مسالمةُ الكتابَ ، كتب في جوابه :
 ومستعجبٍ مِمَّا يَرَى من أناتِنَا
 ولو زَبَنَتْهُ (١) الحربُ لم يَترْمَرْمِ (٢)

* * *

مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ (٣)

دخل عبد الرحمن بن عطية التغلبي على مروان بن محمد ، فاستأذنه في تقبيل يده فأعرض عنه ، ثم قال له :
 قد عَرَفَ أميرُ المؤمنين موضِعَكَ في قومِكَ ، وفضلَكَ
 في نفسك ، وتقبيلُ اليدِ من المسلمِ ذِلَّةٌ ، ومن الذمِّمي
 خديعةٌ ولا خيرَ لك في أن تنزِلَ بَيْنَ هَاتَيْنِ .

قالوا : كان يأخذ مروانُ بنُ محمدٍ كلَّ سَنَةٍ من
 الخزانة قِباءين (٤) ، فإذا أخْلَقَتْهُمَا رَدَّهُمَا إلى الخزانة
 وأخذ جَدِيدَيْنِ .

(١) زبنته الحرب : دفعته وصدمته

(٢) يترمرم : يحرك فاه بالكلام . والبيت لأوس بن حجر .

(٣) مروان بن محمد بن مروان ، وهو ابن أخى عبد الملك بن مروان ، آخر الخلفاء الأمويين ، ولد سنة ٧٣ هـ استولى على الملك سنة

١٢٧ هـ ، هزم في موقعة الزاب ، وقتل بمصر سنة ١٣٣ هـ

(٤) قباءين : منى قباء ، وهو نوع من الثياب

كتب إلى بعض الحوارج : إني وإيّاك كالزجاجة والحجر ؛ إن ودعَ عليها رخصتها ، وإن وقعت عليه فضتها .

قال الأصمعي : لما وليَ مروانُ الخلافةَ أرسلَ إلى ابنِ رغبان (١) — الذي نُسبَ إليه بعد ذلك مسجدُ ابنِ رغبان — ليوليّه ، فأرأى له سجادةً مثل رُكبة البعير ، فقال : يا هذا ؛ إن كان مابك من عبادةٍ فما يحلُّ لنا أن نُسَخِّلَكَ . وإن كان من رياءٍ فما يحلُّ لنا أن نستعملَكَ .

قال (٢) عبد الحميد : تعلّمتُ البلاغةَ من مروان ، أمرني أن أكتبَ في حاجةٍ فكتبتُ على قدر الموسع ، فقال لي : اكتب ما أقول لك :

بسم الله الرحمن الرحيم
أما آنَ للحُرمةِ أن تُرعى ، وللدّينِ أن يُقضى ،
وللموافقةِ أن تُتَوخَّى !

(١) هو مولى حبيب بن مسلمة من فريش .

(٢) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد المشهور بعبد الحميد الكاتب أول من طول الرسائل ، وافس فيها . اخصص بمروان بن محمد ، وقتله العباسيون معه سنة ١٣٢ هـ .

ووقع إلى عاملٍ بالكوفة : حَابِ عِلْيَةَ النَّاسِ فِي
كَلَامِكَ ، وَسَوِّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السُّلَّةِ فِي أَحْكَامِكَ .

قالوا : وإنما لُقِّبَ بالحِمار لأن أصحابَ أبي
مُسْلِمٍ لما خرجُوا كانوا حَمَّارَةً ، فكان الواحدُ إذا
استعجل حِمَّارَهُ يقول : هَرْمَرَوَان . هِسْ ، مَرَوَان (١)
فلما ظفروا به استمرَّ به اللقبُ .

قال عمر بن مروان : عرض أبي بظهر الكوفةِ
ثمانين ألفَ عَرَبِيٍّ ، ثم قال بعد أن وثِقَ في نفسه بكثرةِ
العُدَدِ والعُدَدِ : إذا انقضت المدةُ لم تُغْنِ العِدَّةُ
ولا العِدَّةُ (٢) .

قال بعض القرشيين : وفد على مروان بن محمد —
وقد تولَّى الخلافةَ — ونزل حَرَّانَ (٣) قال : فتوالت على
بابه الوفودُ ، فمخرج إلينا آذِنُهُ ، فقال : أميرُ المؤمنين

(١) هرر . هرهرت بالغم دسوتها ، والهر ضرب من زجر الإبل
وهس . بكسر الهاء وضمها : زجر الشاة
(٢) أي لا ينفع الرجال ولا السلاح .
(٣) حرا . مدينة عظيمة مشهورة على طريق الموصل والشام .

يغسلُ ثيابه . فمن أراد أن يُقيمَ فليقم . ومن أراد أن
ينصرفَ فلينصرف . فجعل الناس يعجبون من ذلك .
ولم يبرح أحدٌ .

وكان يُقال : لو ذهبت دولةُ بني مروانَ على يد
غير مروانَ لقال الناسُ : لو كان لها مروانُ ما ذهبت .

* * *

الباب الثالث

كلام الخلفاء من بني هاشم السفاح^(١)

رفع بعضُ السُّعاةِ إليه قِصَّةً بسِعايةٍ على بعضِ
عماله ، فوقَّعَ فيها :

هذه نصيحةٌ لم يُردَّ بها ما عندَ الله ، ونحن فلا نقبلُ
قولَ من آثرنا على الله .

ومن كلامه : إنَّ من أدنياء الناسِ ووُضَعائِهِم مَن
عدَّ البُخلَ حزمًا ، والحِلْمَ ذُلًّا .

ومنه : إذا عظُمتِ المقدرةُ قلَّتِ الشهوةُ ، وقَلَّ
تَبَرُّعٌ إلاَّ ومعه حقٌّ مُضَاع .

ومنه : إذا كان الحِلْمُ مَفْسَدَةً كان العفوُ مَعْجَزَةً ،
والصبرُ حَسَنٌ إلاَّ عَلى ما أوتِغ الدِّينُ (٢) ، وأوهنُ

(١) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، أول خلفاء
العباسيين ، ولد سنة ١٠٤ هـ ولقب بالسفاح ، لقوله في إحدى خطبه .
« فأنا السفاح الهائح » توفي سنة ١٣٦ هـ .

(٢) أوتغ . أهلك .

السلطان . والآناةُ محمودةٌ" إلا عند إمكانِ الفرصة .

قالوا : كاتم المنصورُ أبا العباس في محمد بن عبد
الله بن حسن وأهله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، آتيتهم
بالإحسان ، فإن استوحشوا فالشرُّ يُصالح ما عجز عنه
الخيرُ . ولاتدعُ محمداً يمرحُ في أعينَةِ العقوق .

فقال : يا أبا جعفر ، إننا كذلك . ومن شدّد نفّر ،
ومنّ لان تآلف . والتغافلُ من سجايا الكرام ،
وما أحسن ما قال أعشى وائل (١) :

يُغضّي عن العوراء (٢) ، أو
لا الحليمُ غيرهما انتصاره

وكان يقول : إنَّ المقدرةَ تُصغِرُ الأمنية ، لقد كنّا
نستكثرُ أمورا ، أصبحنا نستقلها لأخسَّ منّ صحبنا ،
ثم نسجد شكرا .

* * *

(١) هو الشاعر أعشى بى فيس المشهور .

(٢) العوراء . الكلمة أو الفعلة القبيحة

الْمَنْصُورُ (١)

ذكر يوماً ملوك بني مروان ، فقال : كان عبدُ
الملك جباراً لا يبالي ما صنع ، وكان الوايدُ لحاناً مجنوناً ،
وكان سليمانُ همته بطنه وفرجه ، وكان عمرُ أعورَ
بين عميانٍ ، وكان هشامُ رجل القوم .

لما اتصل به خروجه محمد وإبراهيم (٢) - رضى
الله عنهما - سنَّ (٣) عليه درعه ، وتقلد سيفه وصعد
المنبر . فحمد الله وأثنى عليه وقال .

مالي أكفكف عن سعدٍ وتشتمني
ولو شتمت بني سعدٍ لقد سكتوا
جهلاً علينا ، وجبناً عن عدوهمو
لبئت الخلتان : الجهلُ والجبْنُ (٤)

-
- (١) ثاني خلفاء العباسيين ، ولد سنة ٩٥ هـ ، وولي الخلافة سنة ١٣٦ هـ .
بنى بغداد وقويت بتسجيعة حركة الترجمة . توفي سنة ١٥٨ هـ .
(٢) محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن العلوي : خرج أولهما
سنة ١٠٤ هـ بالمدينة ، وتبعه الثاني في السنة نفسها بالبصرة .
(٣) سن درعه . أسبغه عليه .
(٤) البينان لقعب بن أم صاحب ساعر إسلامي كان في عهد الوليد بن
عبد الملك .

أما والله لقد عَجَزُوا عما قُمنَا به ، فما عضدُوا
المكافى ، ولا شكروا المنعم .

فماذا حاولوا ؟ أشرب رنقا (١) على غصص ،
وأبيتُ منهم على مَضَض ؟ كلاً والله أصل ذَا رحمٍ
حاولَ قَطِيعَتَهَا ، ولئن لم يرضَ بالعفو ليطْلُبَنَّ مالا
يوجدُ عندي ، فليُبقِ ذُو نفسٍ على نفسه ، قبل أن
تمضي عنه ، ثم لا يُبكي عليه ، ولا تذهبُ نفسٌ
مَسْرَّةً لما أتاه .

ونخطب بعد قَتْلِهِ أبا مسلم (٢) ، فحمد الله ، ثم أثنى
عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، أيها الناسُ ، فإنه من نازعَنَا
عُرْوَةَ هذا القميصِ أوطأناه خبيء (٣) هذا الغمْدِ —
وأوماً إلى سيفه — وإنَّ عبدَ الرحمن بايَعَنَا ، وبائعَ
أنا على أنه مَن نكثَ بنا فقد حلَّ دَمُهُ ، ثم نكثَ بنا ،
فحكمتنا فيه لأنفسينا حُكْمَهُ على غيرِهِ لنا ، ولم تَمْنَهُ
رِعايةُ الحقِّ له من إقامة الحدِّ عليه .

(١) الرنق : الماء المختلط بالطين .

(٢) قتل المنصور أبا مسلم سنة ١٣٧ هـ .

(٣) خبيء الغمد : ما استتر فيه والمراد السيف .

أهوى (١) هشام (٢) بن عروة إلى يده ليقبّلها ،
فقال له : يا أبا المنذر ، إنّنا نكرّمك عنها . ونكرّمها
عن غيرك .

استأذن سوار (٣) قاضي البصرة على المنصور .
فأذن له ، فدخل وسأله ، فقال المنصور : وعليك السلام .
ادنُ أبا عبد الله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أأذنو على
مامضى عليه الناس أم على ما أحدثوا ؟ (٤) فقال : بل على
مامضى عليه الناس . فدنا فصافحه ثم جلس ، فقال
المنصور : يا أبا عبد الله ، قد عزمتُ على أن أدعو أهل
البصرة بسجلائهم ، وأشريتهم (٥) ، فقال : يا أمير
المؤمنين ، نشدتك الله ألا تعرض لأهل البصرة . فقال :
ياسوار ، أبأهل البصرة تهددني ؟ والله لهمتُ أن أوحته

(١) أهوى : انحط من قرب .

(٢) هشام بن عروة بن الزبير ، ولد سنة ٦١ هـ ، من علماء الحديث ،
توفي ببغداد سنة ١٤٦ هـ .

(٣) سوار بن عبد الله قاضي البصرة ، تولى قضاءها سبع عشرة سنة .

(٤) يريد بما مضى عليه الناس : المصافحه ، وبما أحدثوا : تقبيل اليد .

(٥) الأشرية : جمع شري أو شراء .

إليهم من يأخذ بأفواه سككهم وطرقهم ، ويضعُ السيف فيهم فلا يرفعهُ عنهم حتى يفنيهم . فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهبتَ إلى غير ما ذهبتُ إليه ، إنما كرهتُ لك أن تتعرض لدعاء الأرملة واليتيم ، والشيخ الكبير الفاني ، والحدث الضعيف . فقال : يا أبا عبد الله ، أنا للأرملة بعل ، ولليتيم أب ، وللشيخ أخ ، وللحدث الضعيف عم ، وإنما أريدُ أن أنظرَ في سجلاتهم وأشريتهم لأستخرج مافي أيدي الأغنياء ، مما أخذوه بقوتهم وجاهيهم من حقوق الضعفاء والفقراء . فقال : وفقك الله للخير ، وأرشدك لما يُحب ويرضى .

كان المنصورُ يقولُ : الملوكُ تحمل كلَّ شيء إلا ثلاثَ خلالٍ : إفشاء السر ، والتعرض للحرم ، والقدح في الملك .

وقال : إذا مدَّ عدوكُ يدَهُ إليك فاقطعها إن أمكنك ، وإلا فقبلها .

ونخطبَ بمكة وقد أمَّلَ الناسُ عطاءه ، فقال : أيها الناس ، إنما أنا سلطانُ الله في أرضه ، أسوسُكم

بتوقيقه وتسديده ، ونحازنه على فيثيه ، أعمل فيه
بمشيئته وأقسمه بإرادته ، وقد جعلني الله عز وجل
قنفاً عليه ، إذا شاء أن يفتحنني فتحني ، وإذا شاء أن
يُغفلني أغفلني ، فارغبوا إلى الله أيها الناس في هذا
اليوم الذي عرفكم من فضله ما أنزله في كتابه ، فقال
جل اسمه : (اليوم أكملت لكم دينكم ،
وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام
ديناً) (١) أن يوفقني للصواب ، ويسدّني للرّشاد ،
ويُلهمني الرأفة بكم ، والإحسان إليكم ، ويفتحني
لأعطياتكم ، وقسم أرزاقكم فيكم ، إنه قريب مجيب .
فقال ابن عيّاش المنتوف : أحال (٢) أمير المؤمنين
بالمَنع على ربّه .

خطب المنصور بالكوفة فقال : الحمد لله أحمدّه ،
وأستعينه ، وأؤمن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده ، لا شريك له ، وأراد أن يقول : وأشهد أن
محمدًا عبده ورسوله ، فقال رجلٌ : يا أمير المؤمنين ،

(١) سورة المائدة : ٣ .

(٢) أحال الغريم : زجاء إلى غريم آخر .

أَذْكُرْكَ مَنْ تَذْكُرُ بِهِ ، فَقَالَ الْمَنْصُورُ : سَمِعَا سَمِعَا
 لِمَنْ فَهِمَ عَنْ اللَّهِ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَذْكُرَ بِاللَّهِ وَأَنْسَاهُ ،
 وَأَنْ تَأْخُذَنِي الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ : (قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنْ
 الْمُتَهْتَدِينَ) (١) وَأَنْتَ وَاللَّهُ مَا لِلَّهِ أَرَدْتَ بِذَلِكَ ، وَلَكِنْ
 حَاولْتُ أَنْ يُقَالَ : قَامَ فَقَالَ فَعَوِيبَ فَصْبِرْ ، وَأَهْوِنْ
 بِهَا وَبِقَائِلِهَا ! وَلَوْ صَمَتَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، فَاهْتَبِيلُهَا
 إِذَا غَفَرْتُهَا ، وَإِيَّاكُمْ وَأَخَوَاتِهَا ، فَإِنَّ الْمَوْعِظَةَ عَلَيْنَا
 نَزَلَتْ ، وَمِنْ عِنْدِنَا انْبِثَّتْ ، فَرُدُّوا الْأَمْرَ إِلَى أَهْلِهِ
 يَصْدِرُوهُ كَمَا أُورِدُوهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .
 وَرَجَعَ إِلَى خُطْبَتِهِ .

وَقَالَ لِلْمَهْدِيِّ ابْنِهِ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، لَا تُبْرِمَنَّ
 أَمْرًا حَتَّى تَفَكَّرَ فِيهِ ، فَإِنَّ فِكْرَةَ الْعَاقِلِ مِرَآةٌ تُرِيهِ
 قَبِيحَهُ وَحَسَنَهُ .

وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، الْخَلِيفَةُ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا
 التَّقْوَى ، وَالسُّلْطَانُ لَا يُقِيمُهُ إِلَّا الطَّاعَةُ ، وَالرَّعِيَّةُ
 لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا الْعَدْلُ ، وَأَوَّلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى

(١) سورة الأنعام : ٥٦ .

العقوبة ، وأنقصُ الناسُ مروةً وعقلاً مَنْ ظلم من هو دونه .

وقال له الربيعُ : إن لفلان حقاً ، فإن رأيت أن تقضيه فتوليته ناحية . فقال : ياربيعُ ، إنَّ لاتصاله بنا حقاً في أموالنا ، لاني أعراض المسلمين وأموالهم . إننا لانولي للحُرمةِ والرعاية ، بل للاستحقاق والكفاية ، ولا نُؤثِّرُ ذا النسب والقربة على ذي الدَّرايةِ والكِتابةِ ، فمن كان منكم كما وصفنا شاركناهُ في أعمالنا ، ومن كان عطيلاً^(١) لم يكن عُذرٌ عند الناس في توليتنا إِيَّاهُ ، وكان العُذرُ في تركيناهُ له وفي خاصِّ أموالنا مايسعه .

* * *

المُهديُّ (٢)

حكى أن رجلاً أتى باب المهديِّ ، ومعه نعلانٌ

(١) العطل . يقال للمخالي من أي شيء ، وفي الأصل يقال في الخلو من

الخلي للنساء

(٢) محمد بن عبد الله المهدي ثالث الخلفاء العباسيين ، ولد سنة ١٢٧ هـ ،

وتولى الخلافة سنة ١٥٨ هـ كان شديداً على الزنادقة توفي سنة ١٦٤ هـ .

فقال : هما نعلَا رسول الله - صلي الله عليه وسلم -
 فعُرِفَ المهديُّ ، فأدخَلَهُ ووصلَهُ ، فلما خرج قال
 المهديُّ : والله ما هذا نعلُ رسول الله - صلي الله عليه
 وسلم - ومن أين صارتُ إليه ؟ أَسَمِيرَاتُ أم بشرى (١) أم
 بهبة ؟ لكني كرهتُ أن يقال : أهدي إليهِ نعلُ رسول الله
 - صلي الله عليه وسلم - ، فلم يقبلها ، واستخفَّ بحَقِّها .

قال الربيعُ : لما حبَسَ المهديُّ موسى بنَ جعفر
 - رضي الله عنه - (٢) رأى في النوم عليا - رضي الله عنه -
 وهو يقول له : يا محمد ؛ (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ
 أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامُكُمْ) (٣)
 قال الربيعُ : فأرسلَ إليَّ ليلاً فَرَاغَنِي ذَلِكَ ، وإذا
 هو يقرأ هذه الآية - وكان أحسنَ الناسَ صوتاً - فعرفتُني
 خبرَ الرؤيا . وقال : عليَّ بموسى بنِ جعفر . فوجَّهْتُ
 به ؛ فعانقَهُ وأجلَسَهُ إلى جانِبِهِ ، وقال : يا أبا الحسنِ ؛

(١) الشرى والشراء بمعنى واحد .

(٢) هو موسى بن جعفر الطالبِي ، ولد سنة ١٤٥ هـ . حبسه المهدي

ثم أطلقه .

(٣) سورة محمد : ٢٢ .

إنِّي رأيتُ أميرَ المؤمنينَ - رضي الله عنه - فقراً عليّ كذا .
أفتؤمّنُنِي أن تخرج عليّ ، أو عليّ أحدٍ من ولدي ؟
فقال : والله ما ذاك شأني . فقال : صدقت . يا ربيعُ ؛
أعطيه ثلاثة آلاف دينارٍ ، وردّه إلى أهله بالمدينة .

ولما استُخيفَ أخرج من في السجون ، فقبل له :
إنما تُزري عليّ أباك ؛ فقال : لا أزي ، ولكنّ أبي
حبس بالذنب ، وأنا أعفو عنه .

وولّى الربيعَ بنَ أبي الجهم فارسَ ؛ فقال له :
يا ربيعُ ؛ أثر الحق ، والزم القصد ، وارفق بالرعية ،
واعلم أنّ أعدل الناس من أنصف الناس من نفسه ،
وأجورهم من ظالمهم لغيره .

قيل : كان المهديُّ يُصليّ الصلواتِ كماثها في المسجدِ
الجامع بالبصرة لما قدِمَها ، فأقيمت الصلاةُ يوماً ؛
فقال أعرابيٌّ : يا أميرَ المؤمنين لستُ على طهرٍ ، وقد رغبتُ
إلى الله في الصلاة خلفك ، فإمر هؤلاء أن ينتظروني
فقال : انتظروه رحمكم الله ؛ ودخل إلى المحراب ،

فوقف إلى أن أقبلَ ، وقيل له : قد جاءَ الرجلُ ؛ ففعل
الناسُ من سماحةٍ أخلاقه .

هاجت رِيحُ سوداءُ في أيامِ المهدي ، فرؤي وهو
ساجدٌ يقول : اللهم لا تُشهِتْ بِنَا أعداءَنا من الأممِ
واحفظْ فينا دعوةَ نبيِّنا — صلى الله عليه وسلم — وإن
كنتَ أخذتَ العامةَ بلذني فهذهِ ناصيتي بيدِكَ (١) .

وكان المهديُّ يحبُّ الحَمَامَ ؛ فأدخِلَ عليه غِيَاثُ بنُ
إبراهيمَ ؛ فقبل له : حدثْ أميرَ المؤمنين وكان قد بلغه
استهتارُ (٢) المهديِّ بالحَمَامِ ؛ فقال : حدثتني فلانٌ عن
فلان عن أبي هريرة — رفعه — أنه قال : « لا سَبَقَ
إِلَّا في حافِرٍ أو نَصْلٍ أو جَنَاحٍ » (٣) ؛ فأمر له بعشرة
آلاف درهم . فلمَّا قامَ ، قالَ المهديُّ ، وهو ينظرُ في
قفَا غِيَاثٍ : أشهدُ أن قَفَاكَ قَفَا كَذَّابٍ على رسول
الله — صلى الله عليه وسلم — وإنَّما استجلبتُ ذلكَ أنا .
وأمرَ بالحَمَامِ فلدُبِحَت .

* * *

(١) الناصية : قصاص الشعر في مقدم الرأس . يريد : أمري بيدك ،

(٢) الاستهتار بالشئ : الولع به .

(٣) والحديث موضوع .

الهادي (١)

اعتانت أمه الخيزران (٢) ؛ فأراد الركوب إليها ،
فقال عمر بن بزيع (٣) ألا أدلك على ما هو أنفع
من عيادتها ، وأجاب لعافيتها ؟ قال : بلى . قال :
تجلس للمظالم ؛ فقد احتاج الناس إلى ذلك ، فرجع وجلس
ووجه إليها : إني أردتلك اليوم ، فعرض من حق الله
ما هو أوجب ، فمليت إليه ، وأنا أجيئك في غد إن شاء
الله .

قال سعيد بن سلمي الباهلي : صلى بنا الهادي صلاة
الغداة فقرا : (عمّ يَتَسَاءَلُونَ) (٤) فابما بلغ قواه
تعالى : ((أَلَسْمُ نَجْعُ عَلِ الْأَرْضِ مِهَاداً)) أرّيج

(١) موسى بن محمد المهدي بن المنصور ولد سنة ١٤٤ هـ ، تولى
الخلافة سنة ١٦٩ هـ .

(٢) الخيزران بنت عطاء جارية اشتراها المهدي ، وولدت له الهادي
والرشيد

(٣) عمر بن بزيع ، تولى ديوان زمام الأزمة في عهد المهدي ،
وديوان الرسائل في عهد الهادي .

(٤) سورة النبأ : ١ و ٦ .

عليه ؛ فردّ دَها ولم يَجنسِرْ أحدٌ أن يَفْتَحَ عليه هَيَبَتَه ،
وكان أهيبَ الناسِ ، فعلمَ ذلك فقراً : ((أَلَيْسَ مِنْكُمْ
رجُلٌ رشيدٌ)) (١) فَفَتَحْنَا عليه ، وكنا نَعُدُّ هذا من
محاسنه .

* * *

الرَّشِيدُ (٢)

قال لحاجبه : احجُبْ عَنِّي مَنٌ إذا قَعَدَ أَطَالَ ،
وإذا سَأَلَ أَحَالَ ، ولا تَسْتَخِفَّنْ بِيدي الحُرْمَةَ ،
وقدَّمْ أَبْنَاءَ الدَّعْوَةِ .

عرض له رجلٌ وهو يطوفُ بالبَيْتِ ؛ فقال : يا أميرَ
المؤمنين ؛ إني أريدُ أنْ أَكَلِّمَكَ بكلامٍ فيه خُشُونَةٌ
فاحتمائه لي . قال : لا ، ولا كرامةَ ، قد بعثَ الله من هو
خيرٌ منك إلى من هو شرٌّ مِنِّي ؛ فقال : ((فَقُولَا لَهُ
قَوْلَا لَيْسَ)) (٣) .

(١) سورة هود : ٧٨ .

(٢) هارون الرشيد بن محمد المهدي ، ولد سنة ١٤٨ هـ ، وتولى

الخلافة سنة ١٧٠ هـ ، وتوفي سنة ١٩٣ هـ .

(٣) سورة طه : ٤٤ .

ولما احتضِر قال : واحياني من رسول الله !

ودعا بعبد الملك بن (١) صالح وعنده وُلاةٌ عهدهِ
وقوادٌ جُنُدهِ ؛ فجيءَ بهِ وهو يترُسُفُ في قَيْدِهِ ،
فلما مثل بين يدي الرشيدِ . قال الرشيدُ :

أريدُ حياته ويريدُ قَتْلِي

عند يركَ مِنْ خَلِيلِكَ من مُرادِ (٢)

واللهِ لَسْكَأَنِي أَنْظُرَ إِلَى شُؤْبُوبِهَا (٣) . وقد هَمَعَ (٤) ،
وإلى عارضِها (٥) وقد لمع ، وإلى الوعيدِ قد أَوْرَى ناراً ؛
فأَقْلَعَ عن رُؤُوسِ بِلَا غَلَاصِمِ (٦) ، وَمَعَاصِمِ بِلَا
بَرَاكِمِ (٧) ، مهلاً مهلاً بني هاشمِ ، فبِي سَهْلَ لَكُمْ

(١) عبد الملك بن صالح العباسي ، من أمراء العباسين ، حبسه الرشيد
سنة ١٨٧ هـ ، وأطلق الأمين سراحه مات سنة ١٩٦ هـ .

(٢) البيت لعمر بن معد يكرب .

(٣) الشُؤْبُوب : دفعة المطر .

(٤) هَمَعَ المطر : سال .

(٥) العارض : السحاب المعترض في الأفق .

(٦) الغلاصم : جمع غلصمه وهي اللحمية بين الرأس والعنق .

(٧) البراجم : جمع برجمة وهي مفصل الإصبع .

الوعرُ ، وصفاً لكم الكدرُ ، فَنَذَارِ نَذَارِ (١) من
 حُلُولِ داهيةٍ خيوطٍ باليدِ ، لَبُوطِ (٢) بالرجلِ .
 فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ أأتكلم فذاً (٣) أو توأماً ؟
 فقال : بل فذاً ، فقال : اتَّقِ الله يا أميرَ المؤمنين فيما
 ولّاك ، وراقبه فيما استرعاك ، ولا تجعل الشُّكرَ
 بموضعِ الكُفرِ لقولِ قائلٍ يَنهَسُ اللحمَ (٤) ، ويأبغُ
 الدمَ ؛ فوالله لقد حدّدتُ القلوبَ على طاعتِكَ ، وذلّلتُ
 الرجالَ لمحبتِكَ ، وكنتُ كما قال أحو بني كلابٍ (٥) .

ومقامٍ ضيقٍ فرَجْتُهُ

بياني ، ولساني ، وجدلِ

أو يقومُ الفيلُ أو فيآلهُ

زلَّ عنِ مثلِ مقامِي وزحلِ (٦)

(١) نذار : اسم فعل أمر بمعنى أُنذر .

(٢) لبوط : صيغة مبالغة من لبط الأرض : ضربها برجله ضرباً
 شديداً .

(٣) الفذ : الفرد .

(٤) يهنس اللحم : ينزعه بالشنايا للأكل .

(٥) لبيد بن ربيعة .

(٦) زحل : تحول عن المكان .

فأمر به فَرُدَّ إلى مَسْحِيَّهِ . ثم قال : لقد دعوت به ، وأنا أرى مكانَ السيفِ من صَليِفِ قَفاه (١) ، ثم هَآنَا قد رثيتُ له .

كتب الرشيدُ إلى الفضل بن يحيى : أطال الله يا أخي مُدَّتَكَ ، وأدامَ نِعَمَتَكَ ، والله ما منَعني من لِتِيَانِكَ إلا التَّطِيرُ من عِيَادَتِكَ ؛ فاعِذِرْ أخاك ، فوالله ما قَلَاكَ ولا سَلَاكَ ، ولا استبدل بك سِوَاكَ .

وعاتبته أم جعفر (٢) في تقرِيطِه للمأمون ، دونَ محمدِ ابنِها ، فدعا خادماً بحضرته ، وقال له : وجهه إلى محمدٍ وعبد الله خادِمَينِ حَصِيفَينِ يقولان لكل واحد منهما على الخلوة : مايفعلُ بهِ إذا أفضت الخلافة إليه ؟ فأما محمدٌ فإنه قال للخادمِ : أَقْطِيعُكَ وأُعْطِيكَ ، وأَقْدَمُكَ . وأما المأمون فإنه رمى الخادمَ بدَوَاةٍ كانت بين يديه ، وقال : يا بنَ اللَّخْنَاءِ (٣) ، أَتَسْأَلُنِي عما أَفْعَلُ

(١) صليِف القفا : عرضه أو رأس الفقر التي تلي الرأس .

(٢) أم جعفر هي زبيدة بنت جعفر بن المنصور تزوجها الرشيد سنة ١٦٥ هـ وهي أول حفيدة خليفة وزوج خليفة وأم خليفة توفيت في أيام المأمون سنة ٢١٦ هـ .

(٣) اللخناء : المنتنة الرائحة .

بك يوم يموتُ أميرُ المؤمنين ، وخليفةُ ربِّ العالمين ؟
إني لأرجو أن نكون جميعاً فداءً له .

فرجعا بالخَبَر ، فقال الرشيدُ لأم جعفر : كيف
تروين ؟ ما أقدم ابنك إلا متابعاً لرأيك ، وتركاً
للحزم .

وسايرهُ يوماً عبدُ الملكِ بنُ صالح ، فقام رجل ،
فقال : يا أمير المؤمنين ، طأطئي من إشرافه (١) ،
واشدُّدُ شكايمه (٢) ، وإلا أفسد عليك مملكك . فقال
الرشيدُ : يا عبد الملك ، ما هذا ؟ قال : حاسدُ نعمة ،
ونافسُ رتبة أغضبه رضاءك عني وباعدَه قُربك مني ،
وساءه إحسانك إلي . فقال الرشيدُ : انخفَضِ القومُ
وعلوتهم ، فتوقدت في قلوبهم جَمرةُ التأسف ، فقال
عبد الملك : أضرمها الله بالتزييد عندك ، فقال : هذا
لك ، وذاك لهم .

(١) الإشراف : العلو والانتصاب

(٢) الشكايم : جمع شكيمة ، وهي الحديدة عن اللجام ، المعترضة

في فم الفرس

كَانَ الْحَسَنُ الْوَلَوِيُّ (١) يَخْتَلِفُ إِلَى الْمَأْمُونِ ، يُلْقِي
عَلَيْهِ الْفَرَاثِصَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ لَيْلَةً وَقَدْ صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ ،
فَجَعَلَ يُلْقِي عَلَيْهِ ، وَنَعَسَ الْمَأْمُونُ فَأَطْبَقَ جَفَنَيْهِ ،
فَقَالَ الْحَسَنُ : أُنِمْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ - وَهُوَ إِذْ
ذَلِكَ صَبِيٌّ - فَقَالَ : عَامِيٌّ وَاللَّهِ لَمْ يُغَدِّ بِالْأَدَبِ ،
خَذُوا بِيَدِهِ وَلَا تُعِيدُوهُ إِلَيَّ .

فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّشِيدَ ، فَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ زَهِيرٍ (٢) :

وَهَلْ يُنْسَبُ الْخَطِيئُ (٣) إِلَّا وَشَيْجُهُ (٤)
وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ

وَصَعِدَ يَوْمًا الْمَنْبَرَ وَقَدْ شَغِبَ الْجُنْدُ ، ثُمَّ سَكَنُوا
بَعْدَ إِيقَاعِ بِهِمْ ، فَقَالَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مَلَائِكَتِهِ
الْمُقَرَّبِينَ ، وَالْأَنْبِيَاءِ أَجْمَعِينَ .

(١) الْحَسَنُ بْنُ زِيَادِ الْوَلَوِيِّ ، مَوْلَى الْأَنْصَارِ ، تَفَقَّهَ بِالْكُوفَةِ وَرَحَلَ
إِلَى بَغْدَادٍ وَاتَّصَلَ بِالْمَأْمُونِ .

(٢) الْمُرَادُ زَهِيرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى .

(٣) الْخَطِيئُ : الرَّمَاحُ ، نَسَبَةٌ إِلَى خَطِّ الْبَحْرَيْنِ .

(٤) الْوَشَيْجَةُ : عَرَقُ الشَّجَرَةِ .

أما بعد ، فقد كان لكم ذَنْبٌ ، وكان لنا عَتْبٌ ،
 وكان منكم اضطِلامٌ (١) ، وكان منّا انتقامٌ . وعندي
 بعد هذا التنفيسُ عن المكروبين ، والتفريجُ عن المغمومين ،
 والإحسانُ إلى المحسنين ، والتَّغْمُدُ (٢) لإساءةِ المسيئين ،
 وألّا يُكْفَرَ (٣) لكم بلاءٌ ، ولا يُحْبَسَ عنكم عطاءٌ ،
 وعليّ بذلك الوفاءُ إن شاء الله . ثم نزل .

قال سعيدُ بن سَلَمٍ : كان فهمُ الرشيدِ فهمَ
 العلماءِ . أنشده العُمَاني (٤) في صفة فرس :

كَأَنَّ أذْنَيْهِ إِذَا تَشَوَّفَا (٥)
 قَادِمَةً أَوْ قَلَمًا مُحَرَّفَا

فقال الرشيدُ : دَعُ كَأَنَّ ، وقُلْ : تَخَالُ أذْنَيْهِ
 حتى يستويَ الشعرُ .

(١) اضطلم الشيء : اجتثه من جذوره .

(٢) التغمّد : السّتر ، وأصله من تخبئة السيف في غمده .

(٣) يكفر : يمحّد .

(٤) هو محمد بن ذؤيب الدارمي ، اشتهر بلقب العماني ، ولم يكن
 من عمان ، شاعر رجاز متوسط من شعراء الدولة العباسية .

(٥) تشوف : نصب عنقه .

أنشد النَّمْرِيَّ (١) الرّشيدَ شِعراً يقول فيه:

ليستْ كَأَسِيافِ الحُسَيْنِ ولا بَنِي
حَسَنٍ ، ولا آلِ الزبيرِ الكُلَّلِ (٢)

فقال له الرشيد : وماتوا لثعلب (٣) بذِكْرِ قَوْمٍ
لا يَنالُهُم ذمٌّ إلا شَاطِرتُهُم إِيَّاه . قد رَأَيْتُ رَأْبِي هَذَا مِنْكَ
وَفِيكَ ، فلا تَعُدُّ لَهُ ، فإنما تَفارِقُهُمْ فِي المَلِكِ وَحدَهُ ،
ثم لا افتراقَ في شيءٍ بَعْدَهُ .

قال الأصمعي : قال لي الرشيد في أول يوم عزم فيه
على تَأْنِيسِي (٤) : يا عبد الملك (٥) ، أنتَ أَحْفَظُ مَنّاً ،
ونحنُ أَعْقَلُ مِنْكَ . لا تَعْلَمُنَا فِي مَلَأٍ ، ولا تُسْرِعْ إِلَى

(١) منصور بن سلمة بن الزبرقان النزارى النمري ، شاعر من
شعراء الدولة العباسية ، حبسه الرشيد حتى أطلقه الفضل بن الربيع ، ومات
في أيام الرشيد .

(٢) الكلل : جمع كال وهو السيف لا حذله ، أو الذي لا يقطع .

(٣) تولع بفلان : شتمه وذمه .

(٤) التأنيس : العلمانية .

(٥) هو عبد الملك بن قريب العلامة اللغوي الأخباري ولد سنة ٨١٣٨ ،

وتوفي سنة ٨٢١٦ هـ .

تذكيرنا في خلاء ، واطرُكنا حتى نثبتدك بالسؤال ،
 فإذا بلغت من الجواب قدر استحقاقه فلا تزدد ،
 وإياك والبداة إلى تصديقنا ، أو شدة العجب بما
 يكون منا . وعلمنا من العلم مانحتاج إليه ، على عتبات
 المناير ، وفي أعطاف الخطب ، وفواصل المخاطبات ،
 ودعنا من رواية حوشي الكلام (١) وغرائب الأشعار ،
 وإياك وإطالة الحديث إلا أن نستدعي ذلك منك .
 ومتى رأيتنا صادفين (٢) عن الحق فأرجعنا إليه
 ما استطعت ، من غير تقرير بالخطأ ، ولا إضجار
 بطول الترداد .

قال : قالت : أنا إلى حفظ هذا الكلام أحوج مني
 إلى كثير من البير .

* * *

الأمين (٣)

قيل لبعض العلماء : كيف كانت بلاغة الأمين ؟

(١) حوشي الكلام : غريبه .

(٢) صدف عن الحق : أعرض .

(٣) هو محمد بن هارون الرشيد ، ولد سنة ١٧٠ هـ ، وبويع له
 بالخلافة سنة ١٩٣ هـ بعد وفاة الرشيد .

قال : والله لقد أتتهُ الخلافةُ يومَ جُمُعَةٍ ، فما كان إلاَّ ساعةً حتَّى نُودي : الصلاةُ جامعةً ، فخرجَ ورَّقِيَّ المِئْتَبَرَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ ، وأثنى عليه . ثم قال :

أيُّهَا النَّاسُ ، ونُحْصِصُ يابني العباس ، إنَّ المُنونَ مرَاصِدُ ذَوِي الأَنْفَاسِ ، حَتَمٌ مِّنَ اللَّهِ لَا يُدْفَعُ حُلُولُهُ ، وَلَا يُنْكَرُ نَزْوَلُهُ ، فَارْتَجِعُوا قُلُوبَكُمْ مِنَ الْحُزَنِ عَلَى الْمَاضِي إِلَى السَّرُورِ بِالْبَاقِي ، تُسْجِرُونَ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ ، وَتُعْطُونَ أَجُورَ الشَّاكِرِينَ .

فتعجب النَّاسُ مِنْ جُرَّاتِهِ ، وَبِلَّةِ (١) رِيقِهِ ، وَشِدَّةِ عَارِضَتِهِ (٢) .

وَكَانَ الْمَأْمُونُ يَقُولُ : كَانَ يَقُولُ لِي الرَّشِيدُ : وَدِدْتُ لَوْ أَنَّ لَكَ بِلَاغَةَ مُحَمَّدٍ ، وَأَنَّ عَلِيَّ غَرَمَ كَذَا وَكَذَا .

وَذَكَرَ أَنَّ مُحَمَّدًا فِي صِبَاهٍ كَانَ كَثِيرَ اللَّعِيبِ ، وَكَانَ الْمُعَلِّمُ يُثْلِقِي عَلَيْهِ فِي الْكُتُبِ ، وَعَلَى الْمَأْمُونِ ،

(١) بلة اللسان : انطباق الحروف على مخارجها .

(٢) سدة العارضة : كناية عن القوة .

وكان محمدٌ يلعبُ ويحفظُ ، والمأمونُ ينسى وهو مُتقبِّلٌ
على العلم يقصدُ قصدهُ .

ذكر أنه دعا يوماً عبدَ الله بن أبي عَفَّانَ ليصطحبَ ،
فأبطأ فلما جاء قال : أظنُّكَ أَكَلْتَ . قال : لا والله .
قال : والله لتصدقنَّ ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فدعا
بحكَّاءٍ فحكَّ أضراسه السفلى ، فلما ذهبَ ليحكَّ
العليا قال : يا أمير المؤمنين ، دعها لغضبةٍ أخرى ،
فيخلَّاهُ .

قال الفضلُ بنُ مروان (١) : سمعته يقول في
خطبته : الناسُ جميعاً آمنونَ إلَّا أصحابَ الأهواءِ .
وقال لكاتبٍ بين يديه : دعِ الإطنابَ ، والزمِ
الإيجازَ ، فإنَّ للإيجازِ إفهاماً ، كما أنَّ مع الإسهابِ
استبهاماً .

(١) الفضل بن مروان بن ماسرئس ولد سنة ١٧٠ هـ أخذ البيعة
للمعتصم سنة ٢١٢ هـ ، وكان وزيراً عنده ، ألف بعض الكتب ، توفي سنة
٢٥٠ هـ .

المأمون (١)

وذكر أن الكسائي (٢) قام إليه يوماً -- وهو يُعلِّمُهُ وهو صغيرٌ -- فضربه . وقد كان صلياً ذلك اليوم قاعداً فقال المأمون : أما تستحي أيها الشيخ تصلياً لله قاعداً ، وتضربني قائماً ! .

قال بعضهم : قرأتُ كتابَ ذي الرياستين (٣) إلى المأمونِ ، وتوقيعَ المأمون فيه ، فإذا في الكتابِ بعد الصَّدر والدعاء :

إنَّ قَارِئاً قرأ البارحة : « وقُلْنَ نِسوةٌ في المدينة » (٤)

(١) عبد الله بن هارون الملقب بالمأمون ، ولد سنة ١٧٠ هـ من أم ولد ، ولي الخلافة سنة ١٩٨ هـ وكان عصره من أزهى عصور الثقافة العربية توفي سنة ٢١٨ هـ .

(٢) هو إمام النحو ، وعالم القراءات واللغة علي بن حمزة الأسدي ، رأس النحويين في الكوفة كما كان سيويه في البصرة ، وكان مؤدباً للأميين والمأمون توفي سنة ١٨٩ هـ .

(٣) هو الفضل بن سهل السرخي ، لقب بدي الرياستين لأنه جمع بين رياستي القلم والتدبير أو لأنه جمع بين رياستي الحرب والتدبير .

(٤) الآية : (وقال نِسوةٌ في المدينة . . .) سورة يوسف : ٣٠ .

فأنكرنا ذلك عليه ، فذكر أن الكسائي أجازَه ، وكتاب
الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فرددنا
علم كتاب الله إلى خليفته .

قال : وإذا توقيعُ المأمون فيه : عَمَّرَكَ اللهُ — ذا
الرياستين — طويلاً في طاعته ، وجعلك قائماً بأمر دينه ،
ذائباً عن حريم أمته ، إن لكل علم دستوراً ، ودستور
هذا العلم القرآن ، فعليك بقراءته على ما أجمع عليه ،
ولا تلتفت إلى مختار قولاً ليعقد له رياسةً ، والسلام .
كتب المأمون إلى طاهر لما قتل علي بن عيسى (١)
في رسالة طويلة :

إنما لك من هذا الأمر موقع السهم من الرميّة ،
والتسديد والرأي ، والتدبير لأبي العباس الفضل بن سهل .
وكان يقول : إذا رُفِعَت المائدة من بين يديه :
الحمد لله الذي جعل أرزاقنا فضلاً عن أقواتنا (٢) .

وقال : ما انفقت علي قط إلا وجدت سببه
جور العمال .

(١) علي بن عيسى بن ماهان ، من قواد العباسيين ، وقائد جيش الأمين .

(٢) اجعل أرزاقنا فضلاً عن أقواتنا : زائدة عنها .

وقال : أهلُ السُّوقِ سُفَّلٌ ، والصَّنَاعُ أُنْدَالٌ ،
والتَّجَارِبُ خَلَاءٌ ، والكَتَّابُ مَلُوكٌ عَلَى النَّاسِ .

وقيل له : ليس في السَّرَفِ شَرَفٌ ، فقال : ليس
في الشَّرَفِ سَرَفٌ .

وقال يوماً لبعضهم : متى فدمت ؟ قال : بعد غدٍ
يا أمير المؤمنين . فقال : بيني وبينك بَعْدُ مرحلتان .

وقال لعبدِ اللهِ (١) بن طاهر : تَشَبَّهْتُ ، فإنَّ
اللهَ قد قطعَ عُدَّةَ العَجُولِ ، بما مَكَّنَّه من التَّشَبُّهِ ،
وأوجبَ عليه الحُجَّةَ على القَلْقِ ، بما بَصَّرَه مِن
فَضْلِ الأَنَاةِ . فقال ابنُ طاهر : أأكتبه ؟ فقال : نعم .

قالوا : لما وجد عمرُ بنُ فرج (٢) كتاباً من أهل
الكَرَّخِ (٣) إلى علي بن محمد بن جعفر بن محمد (٤) —

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي ولد سنة ١٨٢ هـ ،
ولي الشام ومصر سنة ٢١١ هـ ، ثم ولي خراسان وبها توفي سنة ٢٣٠ هـ .

(٢) عمر بن فرج الرخجي من أعيان الكتاب في أيام المأمون .

(٣) المراد به كرخ بغداد ، بناء المعتصم للتجار ، وجعله سوقاً
لبغداد ورتبهم فيه .

(٤) هو علي بن موسى بن جعفر أحد أئمة البيعة الإمامية ، توفي

سنة ٢٥٢ هـ .

رضي الله عنهم — جاء به إلى المأمون ، فقال المأمون :
نحن أولسى من ستر هذا ولم يُشيعه . ودعا علي بن محمد ؛
فقال له : قد وقفننا على أمرك ، وقد وهبنا ذلك لعلّي
وفاطمة — رضي الله عنهما — فاذهب ، وتخيّر ما شئت
من الذنوب ، فإننا نتخيّر لك مثل ذلك من العفو .

رفع الواقدي (١) قصة إليه يشكو غلبة الدين ،
وقلة الصبر ؛ فوقع المأمون عليها : أنت رجل فيك
خلفتان : السخاء والحياء ؛ فأما السخاء ، فهو الذي أطلق
ما في يدك ، وأما الحياء فبلغ بك ما أنت عليه ، وقد أمرنا
لك بمائة ألف درهم . فإن كنّا أصبنا إرادتك فازدَد
في بسط يدك ، وإن كنّا لم نصيب إرادتك فبجنايتك
على نفسك . وأنت كنت حدثني ، وأنت على قضاء
الرشيد ، عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنس بن
مالك أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال للزبير :
« يَا زُبَيْر ؛ إِنَّ مَفَاتِيحَ الرِّزْقِ بِلِزَاءِ الْعَرْشِ ، يُنْزَلُ

(١) الواقدي : هو محمد بن عمر بن واقد ، من المؤرخين ، وحفاظ

الحديث تولى القضاء ببغداد ، ولد سنة ١٧٠ هـ ، وتوفي سنة ٢٥٧ هـ .

اللَّهُ لِلْعِبَادِ عَلَى قَدَرٍ نَفَقَاتِهِمْ؛ فَمَنْ كَثُرَ كُثْرَ لَهُ .
ومن قَلَلْ قَلَلْ لَهُ .»

قال الواقدي : وكنتُ أنسيتُ هذا الحديثَ ؛ فكانت
مذاكرتهُ إِيَّايَ به أعجب إليَّ من صلته .

وقال المأمونُ : الطعامُ لونٌ واحدٌ . فإذا استطَبَّتهُ
فاشبعَ منه . والندمانُ واحدٌ ، فإذا استطَبَّتهُ فاستزدهُ
حتى تقضي وطركَ منه .

وذكر أنَّ إبراهيمَ بنَ المهدي دخلَ على المأمون ،
وبين يديه صاعُ رُطَبٍ ، فقال : ادنُ فكلْ . فقال :
يا أميرَ المؤمنينَ على ما بي ؟ وكان وجعَ العينِ ؛ فقال :
ويحك ولا تهَبُ عينك للرطَبِ .

ودخلَ إليه الطبيبُ فشكا إليه وجعَ الأسنانِ ؛ فقال :
يا أميرَ المؤمنينَ لا تأكلَ الرطَبَ ولا تشربِ الماءَ بثلجٍ ؛
فقال : لولاهما ما أردتُك .

وقَعَ المأمونُ في قصةٍ مُتَظَلِّمٍ من أبي عيسى بن

الرشيد (١) : (فإذا نُفِخَ في الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ
يومئذٍ ولا يَتَسَاءَلُونَ) (٢) .

وتظلم إليه قوم من قاضي جبّيل (٣) ، وذكروا أنه
بعض رؤوس الخصوم ، فوقع في قصتهم : يُشْنَقُ (٤)
إن شاء الله .

وقال : من أراد أن يطيبَ عيشه فليدفع الأيامَ بالأيامِ .
قال العباسُ بن المأمون (٥) لغلامه : إن رأيتَ في
الرُّصَافَةِ بَقْلاً حسناً فاشترِ لي منه بنصف درهم . فقال
المأمونُ : أمّا إذ عرفتَ أنَّ للدرهم نصفاً فوالله
لا أفلحتُ أبداً .

(١) أبو عيسى هو أحمد بن الرشيد ، أمه بربرية ، كان أديباً
ظريفاً وله شعر

(٢) سورة المؤمنون . ١٠١ .

(٣) جبل بلياء ببن النعمانية وواسط ، كانت مدسة كبيرة وينسب
إلى قاضيها في أيام المأمون ما يدل على ضعف عقله .

(٤) يشنق : يؤخذ منه الشنق وهو الأرض ما دون الدابة من المعازل
الصغار .

(٥) العباس بن المأمون ، ولده أبوه الخليفة سنة ٢١٣ هـ .

قال يحيى بن أكثم : ما شئتُ المأمون في بُسْتَانِهِ ،
 ويدُهُ في يَدَيَّ ، فكان في الظلِّ ، وأنا في الشمس . فلما
 بلغنَا ما أردنَا . ورجعنا صرْتُ أنا في الفيء وصارَ هو
 في الشمس : فُدرْتُ أنا إلى الشمس ؛ فقال : ليس هذا
 بإنصاف ، كما كنتُ أنا في الفيء ذاهباً ، فكُنْ أنتُ
 في الفيء راجعاً .

وخطب بمَرَوْ — وقد ورد عليه كتابُ الأمينِ
 يُعزِّيهِ بالرشيدِ ، ويحثُّه على أخذِ البيعة له — فقال :

إنَّ ثمرةَ الصبرِ الأجرُ ، وثمرَةُ الجزعِ الوزرُ ،
 والتسليمُ لأمرِ الله جلَّ وعزَّ فائدةٌ جليلةٌ ، وتجارةٌ
 مُربحةٌ ، والموتُ حوضٌ مُورودٌ ، وكأسٌ مشروبٌ .
 وقد أتى على خليفَتكم — رضي الله عنه — ما أتى على
 نبيِّكم صلى الله عليه وسلم ، فإنَّنا لله وإنا إليه راجعون ،
 فما كان إلا عبداً دُعيَّ فأجابَ ، وأمرَ فأطاعَ ، وقد
 سدَّ أميرُ المؤمنين ثَلَمَتَهُ (١) وقام مقامه ، وفي أعناقكم
 من العهدِ ما قد عرَفْتُم ؛ فأحسنُوا العزاءَ عن إمامكم
 الماضي ، واغتنبوا بالنعماء بالوفاء لخليفَتكم الباقي . يا أهلَّ

(١) الثلثة : الخلل .

نَحْرَاسَانٍ : إِنَّ الْمَوْتَ نَازِلٌ ، وَالْأَجَلَ طَالِبٌ ، وَأَمْسِرْ
وَاعْظُ ، وَالْيَوْمَ مَغْتَنِمٌ ، وَغَدًا مُنْتَظَرٌ . ثُمَّ نَزَلَ .

وَكُتِبَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ عَقَالٍ يُشْنِي عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
طَاهِرٍ ، فَوَقَعَ الْمَأْمُونُ فِي كِتَابِهِ : عَبْدُ اللَّهِ كَمَا ذَكَرْتَ ،
وَعَلَى أَكْثَرِ مِمَّا وَصَفْتَ . قَدْ حَمَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَاحْتَمَلَ ،
وَأَثْقَلَهُ فَاضْطَلَعَ .

كَانُوا يَسْمُونُ أَرْصَادَ السُّلْطَانِ الْمَسَالِحَ مِنَ السَّلَاحِ ،
فَكَرِهَ ذَلِكَ الْمَأْمُونُ فَصَيَّرَهُ الْمَصَالِحَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ .

وَقَالَ : إِذَا أَصْلَحَ الْمَلِكُ مَجْلِسَهُ ، وَاخْتَارَ مِنْ
يُجَالِسُهُ صَالِحٌ مُلْكُهُ كُلُّهُ .

وَرَفَعَ أَهْلُ الْكُوفَةِ قِصَّةً إِلَيْهِ يَشْكُونَ عَامِلًا ؛
فَوَقَّعَ : عَيْنِي تَرَاكُمُ ، وَقَلْبِي يَرْعَاكُمُ ، وَأَنَا مَوْلٌ
عَلَيْكُمْ ثِقَتِي وَرِضَاكُمُ .

وَشَغَبَ الْجَنْدُ فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَيْهِ ؛ فَوَقَّعَ : لَا يُعْطَوْنَ
عَلَى الشَّغَبِ ، وَلَا يُحَوَّجُونَ إِلَى الطَّلَبِ .

قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ : لَمَّا أَرَادَ الْمَأْمُونُ أَنْ يَزُوجَ عَلِيَّ

ابن موسى (١) ، قال لي : يا يحيى تكلم ، فهبت أن
 أن أقول أنكحت ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنت
 الحاكم الأكبر وأنت أولى بالكلام ؛ فقال :
 الحمد لله الذي تصاغرت الأمور لمشيئته ، ولا
 إله إلا الله ، إقراراً برؤيئته ، وصلى الله على محمد
 عند ذكره .

وأما بعد ؛ فإن الله تعالى جعل النكاح سنة
 الأنعام ، وفصلاً بين الحلال والحرام ، وإني قد زوجت
 ابني مفضل من علي بن موسى الرضا ، وقد
 مهرتها عنه أربعمئة درهم .

وقال المأمون : تمام النعمة أن تستتم بلزوم
 شكرها ، وأول منازل الشكر ألا يتوصل إلى معصية
 منعم بفضل نعمته .

قال أحمد بن أبي دؤاد (٢) : قال لي المأمون :

(١) علي بن موسى بن جعفر الملقب بعلي الرضا ، ولد سنة ١٤٨ هـ ،
 وتوفي سنة ٢٠٣ هـ .

(٢) أحمد بن أبي دؤاد القاضي ، ولد سنة ١٦٦ هـ ، كان محباً
 للعلم وتوفي سنة ٢٤٦ هـ .

لا يستطيع الناس أن يُنصفوا الملوك من وزرائهم ،
ولا يستطيعون أن ينظروا بالعدل بين ملوكهم وحُماهم
وكُفائهم ، وبين صنائعيهم وبطانتهم ، وذلك أنَّهم
يسرون ظاهرَ حُرمةٍ وخِدمةٍ ، واجتهادٍ ونصيحةٍ ،
ويرون إيقاعَ الملوكِ بهم ظاهراً ، حتى لا يزال الرجلُ
يقولُ : ما أوقعَ به إلاَّ رغبةً في ماله ، وإلاَّ رغبةً فيما
لا تجودُ النفوسُ به ، أو لعلَّ الحسدَ والملافةَ ، وشهوةَ
الاستبدالِ اشتركتُ في ذلك . وهناك جنایاتٌ في صُلُبِ
الملك ، أو في بعضِ الحُرْمِ لا يستطيعُ الملكُ أن يكشفَ
للعامةِ موضعَ العورةِ في الملك ، وأن يحتجَّ لتلك العقوبة بما
يستحقُّ ذلك الذَّنْبُ ، ولا يستطيعُ تركَ عقابه ، لما
في ذلك من الفسادِ على علمه بأنَّ عذره غيرُ مبسوطٍ عند
العامة ، ولا معروفٍ عند أكثرِ الخاصة . .

ونزل رجلٌ فعَدا بين يديه ، فأشار بيده أنْ حسبك ؛
فقال له بعضُ من كان بقُربٍ من المأمون : اركبُ .
فقال المأمونُ : لا يقالُ لمثلِ هذا : اركبُ ، إنما يقالُ
لهُ : انصرفُ .

تحدث المأمون يوماً ؛ فضحك إسحاقُ بنُ إبراهيم
المُصعبِي (١) ؛ فقال :

يا إسحاقُ ، أوهلُكْ لشرطتي ، وتفتحُ فاك من
الضحكِ ؟ ، خذُوا سوادهَ وسيفه ، ثم قال : أنتَ
بالشرابِ أشبهُ ، ضَعُوا منديلا على عاتقه ؛ فقال إسحاقُ :
أقبلتني يا أمير المؤمنين . قال : قد أقلتكَ . فما ضحك
بعدها .

* * *

المُعْتَصِمُ (٢)

لا أقطعُ المعتصمُ أشُناساً (٣) ضِياعَ الحسنِ بن
سهل ، وجهه الحسنُ بقبالاتها (٤) إلى أشُناس ، وكتبَ إليه :

(١) إسحاق بن إبراهيم المصعبي صاحب الشرطة أيام المأمون -
والمعتصم والواثق والمتوكل - كان صارماً ، وتوفي سنة ٢٣٥ هـ .

(٢) هو محمد بن هارون الرشيد ، ولد سنة ١٧٩ هـ ، وتولى الخلافة
سنة ٢١٨ هـ ، كان شجاعاً قوياً ، بنى مدينة سرمن رأى وبها توفي سنة ٢٥٧ هـ .

(٣) أبو جعفر أشناس ، من القواد ، ولاه المعتصم مصر سنة ٢١٩ هـ ،
اشترك في فتح عمورية ، وتوفي سنة ٢٣٦ هـ .

(٤) القبالات : الضمانات والكفالات .

قد عرفتُ رَأْيَ أميرِ المؤمنينَ في إخلاصِكَ بهذه الضياع ، وأجبتُ ألا تعرض على عَقِبِكَ عُقْبَتِي ؛ فأنفذتُ لك قَبَالَاتِهَا معتدّاً في قبولِكِهَا بِإِسْبَاغِ النعمةِ عليّ ، وادخارِ الشكرِ لديّ ، ومتقرباً به إلى سيّدي أميرِ المؤمنين ، فرأيتُ في الامتنانِ عليّ بقبولِها موفّقاً إن شاء الله .

فلما قرأ الكتابَ أنفذهُ إلى المعتصمِ ، فوقع فيه : ضميمَ فصبر ، وسُلبَ فعدوّ ، فليقابلْ بالشكرِ على صبرِهِ ، وبالإحسانِ على عدوّهِ . وتُرَدُّ عليه ضياعُهُ ، ويرفعُ عنه خسرَاجُهُ . ولا أوامرَ فيه إن شاء الله (١) .

قال كاتبُ العباسِ بنِ المأمونِ : لما تقلّدَ المعتصمُ الخلافةَ عَرَضْتُ له ، فترجّأتُ . فلما بَصُرَ بي ، قال : هذا المجلسُ الذي لم تنزلْ أكرهه الناسِ بحُلُولِي به . قال : فتحيّرتُ ، ولم أدري ما أقولُ ، ثم عن (٢) لي أن قلتُ : يا أميرَ المؤمنين ؛ أنت تعضو عملاً تتيسّقنُهُ .

(١) يؤمر في الشيء : يستشار فيه .

(٢) عن له خاطر : عرض له .

فكيف تُعاقِبُ على ما تتوهمُهُ ؟ قال : فقال : لو أردتُ
عقابكَ لتركْتُ عِتَابَكَ .

وكان سبب خروجهِ إلى « سرٍّ مَن رأى » (١) أن
غلمان الأتراك . كثروا ببغداد فتولّعوا (٢) بحُرْم الناس
وأولادهم ، فاجتمع إليه جماعةٌ منهم ؛ فقالوا : يا أميرَ
المؤمنين ؛ ما أحدٌ أحبُّ إلينا مجاورةً منك ؛ لأنك الإمامُ
والمحامي عن الدين ، وقد أفرطَ غِلْمَانُكَ ، فلما منعَهم
منّا ، ولما نقلتَهم عنّا . فقال : نقلُهم لا يكون إلا
بنقْلي ، ولكني أفتقِدُهم ، وأزيل ما شكوتُم .

فنظر فإذا الأمرُ قد زادَ وعظُم ، وخاف أن يقع
بينهم محرِبٌ ، وعاودُوهُ بالشكوى ، وقالوا : إن قدرْتَ
على نصْفَتنا (٣) ، وإلاَّ فتحولَ عنّا . فقال : أتحولُ
وكرامةً فرحلَ إلى سرٍّ مَن رأى ، واتخذها داراً .

(١) سر من رأى : كانت موجودة قبل المعتصم ، واسمها سامبرا ،
عمرها المعتصم وسمّاها : سر من رأى ، وتسمى أيضا سامراء ، وسر من
راء ، وهي على نهر دجلة .

(٢) تولع بمرض فلان : قذف فيه .

(٣) النصفة والإنصاف بمعنى واحد .

وكان يقولُ : الفضلُ بنُ مروانَ عصى اللهَ
 - عز وجل - وأطاعني ، فسلّطني الله عليه .

وذكر أنه كان معه غلامٌ في الكتاب يتعلمُ معه ،
 فمات الغلام ، فقال له الرشيد : يا محمد ؛ مات غلامُك .
 قال : نعم يا سيدي ، واستراح من الكتاب فقال الرشيدُ :
 وإن الكتابَ ليبلغُ منك هذا المبلغ ، دَعُوهُ إلى حيث
 انتهى ، ولا تعلّمُوهُ شيئاً ؛ فكان يكتبُ كتاباً ضعيفاً ،
 ويقرأ قراءةً ضعيفةً .

حكى عن الفضل بن مروان أنه قال : والله لقد كان
 المعتصم مؤيداً من عند الله في أموره كلّها ؛ لقد رجع
 يوماً من محاربة الروم ، وقد سهر ليلتهُ وبقي إلى العشاء ،
 ولم يتطعم ولم يشرب ؛ فدخل إلى المأمون فعرفه خبّره ،
 فبينما هو يخاطبه إذ صيح : السلاح السلاح ، واستفحل
 أمرُ الروم ؛ فقال له المأمون : ارجع يا أبا إسحاق إلى
 موضعك . فقال : نعم يا أمير المؤمنين . أمضي إلى مضربي
 وأركبُ من ثَمَّ (١) ؛ فكان المأمون كره هذا منه ،

(١) ثم (بفتح الثاء وتشديد الميم) هناك .

وَنَكَّسَ رَأْسَهُ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ تَأْخِيرُهُ لِأَمْرِهِ ، فَفُظِنَ
 الْمُعْتَصِمُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ :
 ((كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاجٍ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى)) (١)
 وَاللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتَنِي وَمَالِي مِنَ الدَّوَابِّ إِلَّا أَرْبَعٌ ، وَمِنَ الْغِلْمَانِ
 إِلَّا أَرْبَعَةً ، وَإِنِّي لَأَقِفُ عَلَى بَابِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ سَائِرَ
 يَوْمِي ، أَتَمَنِّي أَنْ يَأْمُرَنِي بِأَمْرٍ أَنْفَعُ فِيهِ ، وَلِي مِنْ كُلِّ
 هَذَا الْيَوْمِ أَلُوفٌ لَتَفْضُلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ يَأْمُرُنِي
 بِأَمْرٍ فِيهِ شَرَفِي فَأَشْتَرِطُ عَلَيْهِ . أَنَا أَمْضِي مِنْ وَجْهِي هَذَا
 عَلَى هَيْئَتِي هَذِهِ .

فَضَحَكَ الْمَأْمُونُ وَقَالَ : ادْنُ إِلَيَّ ؛ فَدَنَا إِلَيْهِ ،
 فَجَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ بِالظَّفَرِ ، وَخَرَجَ .

* * *

الوائقُ (٢)

قِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهَدِيِّ رَكِبَ الْمُعْتَصِمُ

(١) سورة العلق : ٧ و ٦

(٢) الواثق بالله هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُعْتَصِمِ ، وَلَدَ سَنَةِ ٢٠٠ هـ ، وَلِي

الْخِلَافَةَ سَنَةَ ٢٢٧ هـ ، وَمَاتَ بِسَرٍّ مِنْ رَأْيِ سَنَةِ ٢٣٢ هـ .

حتى صلّى عليه ، ثم قال للواثق : أقيم يا بني حتى
تُجِنَّه (١) . وقيل : بل لم يُصلِّ عليه تجرُّحاً ، وأمر
الواثق بالصلاة عليه ؛ فسأل عن وصيته ، فوجدته قد
أمر بمالٍ عظيم أن يُفَرَّق على أولاد الصحابة كلهم ،
إلا أولاد علي رضي الله عنه ؛ فقال الواثق : والله لولا
طاعة أمير المؤمنين لما وقفت عليه ، ولا انتظرت دَفَنَه .
ثم انصرف وهو يقول : يَنْحَرِفُ عن شرفه ونخيره
أهله ! والله لقد دلَّيته في قبره كافرًا ، وأمر ففُرِّق
في ولد علي — رضي الله عنه — مالا فاضلاً ؛ فأصاب
كل رجل منهم ضعيف ما أصاب غيرهم من وصيته .

نظر الواثق إلى أحمد بن الحصب (٢) يمشي
فتمثَّل :

مِنْ النَّاسِ لِنَسَانٍ دَيْنِي عَلَيْهِمَا
مَلِيَّانٍ لَوْ شَاءَ لَقَدْ قَضَيْتَانِي

(١) تجنه : تسره والمراد : تدفنه وتواريه في القبر

(٢) أحمد بن الحصب وزير للمتصر والمستعين ، نفى إلى المغرب ،

وتوفي سنة ٥٢٦هـ .

خليلي^١ ، أمّا أمّ عمرو فمنهما
 وأمّا عن الأخرى فلا تسلّا^(١)ني
 قال : فبلغ ذلك سليمان بن وهب ؛ فقال : إنّ الله ،
 أحمد بن الحبيب أمّ عمرو ، وأنا الأخرى ؛ فنكبهما
 بعد أيام .

غنى مخارق^(٢) في مجلس الواثق :
 أظلم ، إنّ مصابكم رجل^(٣)
 أهدى السلام بـجـبـكم ؟ ظلم^(٣)
 فغناه « رجل » فتابعه بعض ، وخالفه آخرون ،
 فسأل الواثق عن بقي من رؤساء النحويين بالبصرة ،
 فذكر له أبو عثمان المازني^(٤) ، قال : فأمر بحملي ،

(١) البيتان لابن الدمينه .

(٢) مخارق بن يحيى ، كان مولى ، أعتقه الرشيد ، أحد الحاذقين
 في الغناء ، وأول من أدخل أنشاما فارسية على النغم العربي مات في خلافة
 المتوكل ، وقيل في آخر خلافة الواثق .

(٣) البيت للحارث بن سالة المخزومي .

(٤) أبو عثمان بكر بن محمد المازني ، إمام من أئمة النحو بالبصرة
 له تصانيف كثيرة ، توفي سنة ٢٤٩ هـ .

ولما راحت عيَّتي فلما وصلتُ إليه وسلَّمتُ قال : ميمَنَ
الرجلُ ؟ قلتُ : من بني مازن . قال : أمين مازن قيسٍ ،
أم مازن تميم ، أم مازن ربيعةَ ، أم مازن اليمنِ ؟ فقلتُ :
مين مازن ربيعةَ . فقال لي : بِأَسْمُكَ ؟ يريدُ : ما اسمُك
قال : وهي لغةٌ كثيرةٌ في قومنا ، فقلتُ على القياس :
مَكْرُ ، أي : بكرٌ ، يا أميرَ المؤمنين ؛ فضحك وقال :
اجلس واطبَّئن . فجلستُ ، فسألني عن البيتِ ،
فأنشدتهُ :

أظلمُ ، إنَّ مصابكُم رجلاً .

فقال : أين خبرُ إنَّ ؟ قلتُ : ظلمُ . أما تَسميَ يا أميرَ
المؤمنينَ أنَّ البيتَ كلهُ متعاقٍ بهِ ، لا معنى له حتَّى
يتم بهذا الحرفِ ، إذ قال :

« أظلمُ إنَّ مصابكُم رجلاً أهدى السلامَ إليكم » .

فكأنه ما قال شيئاً ، حتى يقولَ : ظلم . قال :
صدقت . ألك ولدٌ ؟ قلتُ : بُنَيَّةٌ . قال : فما قالتُ
حين ودَّعتها ؟ قلتُ : أنشدتُ شعرَ الأعشى :

تَقُولُ ابْنَتِي حِينَ جَدَّ الرَّحِيلُ
أَرَانَا سَوَاءً وَمَنْ قَدْ يَتِيمُ
أَبَانَا . فَلَا رِمَتْ (١) مِنْ عِنْدَنَا
فَإِنَّا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرِمُ
قَالَ : فَمَا قُلْتَ لَهَا ؟ قَالَ : قَوْلَ جَرِيرٍ :

ثِقِي بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ
وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ
فَقَالَ : تَقِيَّ بِالنَّجَاحِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ أَمَرَ لِي بِأَلْفِ
دِينَارٍ وَكِسْوَةٍ وَطَيِّبٍ .

وَكَانَ الْوَاتِقُ عَالِمًا بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَلَهُ صِنْعَةٌ حَسَنَةٌ
فِي الْغَنَاءِ ، وَكَانَ يُسَمِّي الْمَأْمُونِ الصَّغِيرَ ، لِأَدَبِهِ وَفَضْلِهِ ،
وَكَانَ الْمَأْمُونُ يُجَاسِمُهُ ، وَأَبُوهُ الْمُعْتَصِمُ وَقَفَّ . وَكَانَ
بِقَوْلِ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ لَا تُؤَدِّبْ هَارُونَ ، فَإِنِّي أَرْضَى
أَدَبَهُ ، وَلَا تَعْتَزُّ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ يَمْعَلُهُ .

“ * ”

(١) رَامَ عَنْ الْمَكَانِ يَرِيمُ : نَحُولُ .

المتوكل (١)

قال يزيد المهلب (٢) : أنسَ بي أمير المؤمنين في
سبعة أيام فوق أنس محمد (٣) كان بي في سبع سنين .
فقال : إنما أنستُ بك في سبعة أيام لأنس محمد كان
بك في سبع سنين .

قيل للمتوكل : لم لا تقلد الحسن بن وهب (٤)
ديوان الرسائل . قال : أخاف أن يحيض في الديوان .
قال علي بن يحيى : تغدّيت مع المتوكل ، فقلدتم
لأن كان استهواه ، فوجد فيه ذبابة ، فألقاها وأكل ،
ثم وجد أخرى وأخرى ، فلما رفع من بين يديه قال :

(١) المتوكل هو جعفر بن محمد المعتصم ، ولد سنة ٢٠٦ هـ ، وتولى
الخلافة سنة ٢٣٢ هـ ، وأراد نقل مقرها إلى دمشق ، ولكنها لم تطلب له ،
فعاد إلى سر من رأى .

(٢) يزيد بن محمد ، من أولاد المهلب ، ساعر ، اتصل بالمتوكل
ومدحه ، توفي ببغداد سنة ٢٥٩ هـ .

(٣) المراد بمحمد : المنتصر ابن المتوكل

(٤) الحسن بن وهب بن سعيد كاتب شاعر ، كان وجيهاً سورياً ،

ومات سنة ٢٥٠ هـ

أَعِيدُوا عَلَيْنَا هَذَا اللَّوْنَ غَدًا ، وَلِيَكُنْ أَقْلُ ذَبَابًا مِمَّا هُوَ
الْيَوْمَ ! !

قال إبراهيم بن المديني (١) ، قال المتوكل : إذا خرج
توقيحي إليك بما فيه مصلحة للناس ، ورفق بالرعية
فأنفذه ، ولا تراجعني فيه ، وإذا خرج بما فيه حيف (٢)
على الرعية فراجعني ، فإن قلبي بيد الله عز وجل .

بلغ المتوكل أن أحمد بن حمدون النديم يحمل
رقاع الفتح إلى خادمية فائز ، فأعد له حجاماً ،
وأوصاه بما يريد . فلما جلس أحمد مع الجلساء قال :
يا أحمد ، ماجزأ من أفسد غلام فتى ؟ قال : تقطع
أذنه ، فدعا بالحجام فقطع من أذنه قطعة ، وإنما قال
له هذا لأنه كان يحدثه كثيراً بحديث الفتيان والعيارين
ويتنادر بذلك بين يديه ، ثم نفاه إلى بغداد إلى أن كلمه
الفتح فيه ، فرصيه عنه .

* * *

(١) إبراهيم بن المديني ، شاعر كاتب ، كان المتوكل يحبه ويقربه ،
ثم انقلب عليه وحسبه مدة ثم أطلقه . مات سنة ٢٧٠ هـ
(٢) الحيف : الظلم والجور .

الْمُنْتَصِرُ (١)

قال : لَذَّةُ العَفْوِ أَطْيَبُ مِنْ لَذَّةِ التَّشْفِي ، وذلك
لأنَّ لَذَّةَ العَفْوِ يَلْحَقُهَا حَمْدُ الْعَاقِبَةِ ، وَلَذَّةُ التَّشْفِي
يَلْحَقُهَا ذَمُّ النَّدَمِ .

ولما تمت لهُ الْبَيْعَةُ كَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ عَمِلَهُ أَنْ عَزَلَ
صَالِحَ بْنِ عَلِيٍّ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَوَلَّاهَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ
إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا وَلَيْتُكَ
لِتَخْلُفَنِي فِي بَرٍّ آلِ أَبِي طَالِبٍ ، وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ ،
وَرَفْعِهَا إِلَيَّ ، فَقَدْ نَالَتْهُمْ جَفْوَةٌ ، وَخُذْ هَذَا الْمَالَ
فَفَرِّقْهُ عَلَى أَقْدَارِهِمْ .

فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ : سَأَبْلُغُ بِعَوْنِ اللَّهِ رِضَا
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : إِذَا تَسَعَّدُ بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدِي .
قَالَ بَعْضُهُمْ : سَمِعْتُهُ يَوْمًا وَهُوَ يَنَظُرُ قَوْمًا : وَاللَّهِ
لَا عَزَّ وَفَرُّ بَاطِلٍ ، وَلَوْ طَلَعَ مِنْ جَبِينِهِ الْقَمَرُ ، وَلَا ذَلَّ
ذُو حَقٍّ ، وَلَوْ كَانَ الْعَالَمُ عَلَيْهِ .

(١) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ حَجَفَرِ الْمُتَوَكِّلِ ، وَلَدَ سَنَةِ ٢٢٣ هـ ، تَوَلَّى الْخِلَافَةَ
بَعْدَ قَتْلِ أَبِيهِ سَنَةَ ٢٤٧ هـ ، تَوَفَّى فِي السَّنَةِ نَفْسَهَا بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَلَايَتِهِ .

قال بعضهم : سمعتُ بُغَا الكبير (١) يقول : ما مَشَيْتُ
 بينَ يدي خليفة أهْيَبَ من المنتصر ، وقد كان مَشْيِي
 بينَ يدي المأمونِ ، والمعتصمِ ، والوائقِ والمتوكلِ .
 قال أحمدُ بنُ الحُصَيْب : سمعتُ المنتصرَ لَمَّا عفا
 عن الشاري (٢) يقول : أحسنُ أفعالِ القادرِ العفوُ ،
 وأقْبَحُها الانتقامُ .

* * *

المُسْتَعِينُ (٣)

قيل : لما جيء بكتاب الخلع إليه ، وقيل له : وقع
 بخطك فيه ، أخذ الكتابَ فابتدأ ابنُ أبي الشَّوارب يُملِي
 عليه ، فقال له المستعين : أَمْسِكْ عافاك الله ، ثم كتب :
 أَقرَّ أحمدُ بنُ محمدِ ابنِ أميرِ المؤمنين المعتصمِ
 بالله : « أنه قد بايعَ أبا عبدِ الله المعتزَّ بالله ، هذه البيعة »

(١) بُغَا الكبير : أحد قواد الترك ، كان قائدا للمعتصم والوائق والمتوكل والمنتصر ، مات سنة ٢٤٨ هـ .

(٢) الشاري : نسبة إلى الشراة ، إحدى فرق الخوارج .

(٣) هو أحمد المستعين بن محمد المعتصم ، ولد سنة ٢٢١ هـ ، ولاء
 الترك الخلافة سنة ٢٤٨ هـ ، ثم خلعه وقلوه سنة ٢٥٢ هـ ، وكان عهده
 عهد فتن واضطراب .

المنسوخة في هذا الكتاب ، مُوجِباً على نَفْسِهِ كُلِّ
 مَافِيهِ مِنَ الشَّرَائِطِ الْمَثْبُتَةِ فِيهِ ، وَالْعُهُودِ الْمَوْكَّدَةِ .
 وَأَشْهَدُ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ ، وَأَشْهَدُ مَنْ
 حَضَرَ . وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً » .

قال : فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ فَهْمِهِ وَبَلَاغَتِهِ .
 وَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الشَّوَّارِبِ (١) : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ ، أَشْهَدُ عَلَيْكَ بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ ؟ . قَالَ :
 نَعَمْ خَارَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ .

* * *

الْمُعْتَزُّ (٢)

قال الزبير (٣) : لما وفدْتُ على المتوكل قال لي :
 ادخل إلى أبي العباس يعني : المعتز فدخلتُ إليه وهو

(١) الحسن بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب الأموي قاضي
 المعتمد ، توفي سنة ٢٦١ هـ ،

(٢) المعتز هو محمد بن جعفر المتوكل ، وقيل أحمد ، وقيل الزبير ،
 ولد بسر من رأى سنة ٢٣٢ هـ ، وبايعه الأتراك بالخلافة سنة ٢٥٢ هـ ،
 كثرت الفتن في أيامه ، واضطاره القواد أن يخلع نفسه ، وعدبوه حتى
 مات سنة ٢٥٥ هـ .

(٣) الزبير بن بكار أديب أخباري كان قاضي مكة توفي سنة ٢٥٦ هـ .

عبي فحادثته وأنشدته فسألني عن الحجاز وأهله ،
ثم نهضت لأنصرف فعثرت فسقطت ، فقال لي المعتز :
يا زبير :

كم عثرة لي باللسان عثرتها
تفرق من بعد اجتماع من الشمل
يموت الفتى من عثرة بلسانه
وليس يموت المرء من عثرة الرجل

* * *

المهتدي (١)

كان يقول : لو لم يكن الزهد في الدنيا ، والإيثار
للحق ، مما لطف الله تعالى فيهما ، ووفّقني لهما ،
ولاني أرجو بذلك الفوز يوم القيامة ، لتصنعت بما
أفعله للناس ، لئلا يكون مثل عمر بن عبد العزيز
في خلفاء بني أمية ، ولا يكون في خلفاء بني هاشم بعدهم
مثله ، وهم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقرب .

(١) هو محمد المهتدي بالله بن هارون الواثق ، ولد سنة ٢٢٧ هـ ،
وتولى الخلافة سنة ٢٥٥ هـ ، كان حميد السيرة زاهدا ، خلعه الترك وقتلوه
سنة ٢٥٦ هـ .

قال بعضهم : سمعته يوماً يقولُ لعيسى بن
فرخانشاه (١) : عاون على الخير تسلم ، ولا تجزّه
فتندم . ف قيل له : إنّ هذا بيتُ شعري . قال : ماتعمدتُ
ذلك ، ولكني رويت قولَ الشاعرِ :

تَعَاوَنُ عَلَى الْخَيْرَاتِ تَظْفَرُ ، وَلَا تَكُنْ
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ مِمَّنْ يُعَاوِنُ

* * *

المُعْتَمِدُ (٢)

قال محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان (٣) :
بعثني أبي إلى المعتمد في شيء ، فقال لي : اجلس .
فاستعظمتُ ذلك ، فأعاد ، فاعتذرتُ بأنّ ذلك لا يجوز ،

* * *

(١) عيسى بن فرخانشاه ، وزير المعتمد .

(٢) أحمد المعتمد بن جعفر المتوكل ولد سنة ٢٢٩ هـ ، وولي الخلافة
سنة ٢٥٦ هـ طالت أيام ملكه ، وعاونه أخوه الموفق معاونة كبيرة على قهر
أعدائه ، ثم استبد بالأمر ، مات سنة ٢٧٩ هـ

(٣) محمد بن عبيد الله بن يحيى أبوه وزير المعتمد ، صار محمد
بعده وزيراً للمقتدر وكاتبه .

فقال لي : يا محمد ، إنَّ أدبَكَ في القبول مني خيرٌ من
أدبِكَ في خِلافي .
وقال يوماً لبعضِ نُدَمائِهِ : إذا عدمَ أهلُ التفضُّلِ ،
هَلَكَ أهلُ التَّجَمُّلِ .

* * *

المُعْتَصِد (١)

حدَّثَ العلاءُ بنُ صاعدٍ (٢) قال : لما حُمِّلَ رأسُ
صاحبِ البصرة (٣) ركبَ المعتضدُ في جيشٍ لم يَرِ مثلهُ ،
فاشتقَّ أسواقَ بغدادٍ ، والرأسُ بين يديه ، فلما صرنا
بِبَابِ الطاقِ (٤) صاح قومٌ من دربٍ من تلك الدروبِ :

(١) أحمد المعتضد بن طلحة الموفق ، ولد سنة ٢٤٢ هـ ، أظهر
بسالته في الحروب ، تولى الخلافة سنة ٢٧٩ هـ وكان مهيباً حازماً ، توفي
سنة ٢٨٩ هـ .

(٢) العلاء بن صاعد أبو عيسى كاتب أديب ، كان يتعاطى علم النجوم .
(٣) صاحب البصرة أو صاحب الزنج علي بن محمد ، ادعى أنه
علوي سمي بصاحب البصرة لأنه دخلها وذبح كثيراً من أهلها ، وبصاحب
الزنج لأن أتباعه منهم ، خرج سنة ٢٥٢ هـ ، وقتله الموفق سنة ٢٧٠ هـ .
(٤) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجناب الشرقي منها تعرف
بِطاقِ أسماء .

رَحِيمَ اللَّهِ مُعَاوِيَةَ . وَزَادَ حَتَّى عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ ، فَتَغَيَّرَ
 وَجْهُهُ وَقَالَ : أَمَا تَسْمَعُ يَا أَبَا عَيْسَى ؟ مَا أَعْجَبَ هَذَا !
 مَا ذِكْرُ مُعَاوِيَةَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ بَلَغَ أَبِي الْمَوْتِ ،
 وَمَا أَفْلَتُ أَنَا مِنْهُ إِلَّا بَعْدَ مُشَارَفَتِهِ ، وَلَقِينَا كُلَّ جَهْدٍ وَبَلَاءٍ ،
 حَتَّى أَرْحَنَاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، وَحَصَّنَّا حُرْمَتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ .
 تَرَكُوا أَنْ يَتَرَحَّمُوا عَلَى الْعَبَّاسِ ، أَوْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ،
 أَوْ مَنْ وَلِيَدَ مِنَ الْخُلَفَاءِ ، وَتَرَكُوا التَّرَحُّمَ عَلَى أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ، وَحَمْزَةَ وَجَعْفَرٍ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ،
 وَاللَّهِ لَا بَرَحْتُ أَوْ أَؤْثَرُ فِي تَأْدِيبِ هَؤُلَاءِ أَثَرًا لَا يَعَاوِدُونَ
 بَعْدَهُ مِثْلَهُ .

ثُمَّ أَمَرَ بِجَمْعِ النَّفَّاطِينَ (١) لِتَحْرِيقِ النَّاحِيَةِ ،
 فَقُلْتُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، هَذَا مِنْ أَشْرَفِ أَيَّامِ الْإِسْلَامِ فَلَا
 تُفْسِدُهُ بِجَهْلِ غَائِمَةٍ لَا أَخْلَاقَ لَهُمْ ، وَلَمْ أَزَلْ
 أَدَارِيهِ وَأَرْفُقُ بِهِ حَتَّى سَارَ .

لَمَّا وَلِيَ الْمُعْتَصِدُ حَسُنَتْ آثَارُهُ ، وَأَمَرَ بِالزِّيَادَةِ فِي

(١) النَّفَّاطُونَ : جَمْعُ نَفَاطٍ ، الْجَنْدِيُّ الْمُتَخَصِّصُ بِرَمْيِ النَّفْطِ الْمُسْتَعْلِ
 لِإِحْرَاقِ الْعَدُوِّ .

المسجد الجامع بالمدينة ، وأمر بتسهيل عقبة
حلوان (١) . وأنفق عليها نيفاً وعشرين ألف دينار .
وأمر بردّ المواريث على ذوي الأرحام . وأخبر النّيروز ،
واستبدّ (٢) الخراج إلى وقت إدراك الغلات ، وعمّر
الدّنيا ، وضبط الأطراف ، وأحسن السياسة . وقيل :
إنّه أفضت إليه الخلافة وليس في الخزانة إلا سبعة عشر درهماً
زائفةً ومات وخلف ما يزيد على عشرين ألف ألف دينار .

* * *

المكتفي (٣)

نظر إلى رأس صاحب الزنج ، وقد أخرج إليه من
من الخزانة ، فقال : لعنه الله ! فإنه عدا على الأنساب (٤) .
كما عدا على الأسلاب .

* * *

(١) حلوان : المراد التي بالعراق وعنه حاوان التي بها نخلتا
حلون الشهيرتان وقد غرم فيها عشرين ألف دينار ، فسهلها بعد أن كان
الناس يلقون منها مشقة عظيمة .

(٢) استبد الخراج . أخر ميعاد تسديده

(٣) المكتفي بالله : هو علي بن المعنضد ، ولد سنة ٢٦٣ هـ وتولى
الخلافة سنة ٢٨٩ هـ تغلب على الثائرين عليه ، وتوفي سنة ٢٩٥ هـ .

(٤) المراد : ادعى النسب إلى العلويين وليس منهم . والأسلاب

غنائم الحرب .

المُقْتَدِر (١)

حكى أنَّ علي بن عيسى الوزير (٢) كتب عنه كتاباً إلى ملك الروم ، فلما عرض عليه . قال : فيه موضعٌ يحتاجُ إلى إصلاحٍ ، فسأله عن ذلك — وكان قد كتب في الكتاب : « إن قُرْبَتَ من أمير المؤمنين قُرْبَ منك ، وإن بُعدتَ بُعدَ عنك » — فقال : ما حاجتي إلى أن أقربَ منه ؟ اكتبوا : « إن قُرْبَتَ من أمير المؤمنين قُرْبَ بك ، وإن بُعدتَ بُعدَ ك » .

ولم يُعرفْ للمقتدرِ مثلُ هذا الكلام ، ولا مثلُ هذه الفِطْنَةِ ، وقد ذكرناه على ما حكى ، وهو بكلام غيره من الخلفاء أشبه .

* * *

(١) المقتدر ، هو جعفر بن المعتضد ، ولد سنة ٢٨٢ هـ . وتولى الخلافة سنة ٢٩٥ هـ ، خلعه الناس وبايعوا المعتز ، ثم خلع المعتز وأعيد هو ثانية ، كثرت الفتن في أيامه ، قتله مؤنس سنة ٣٣٠ هـ .

(٢) علي بن عيسى بن داود ، وزير المقتدر ، ولد سنة ٢٢٤ هـ ، وولي الوزارة سنة ٣٠٠ هـ ، وتوفي سنة ٣٣٤ هـ ، وله مؤلفات .

الراضي (١)

لما استوزر ابن البريدي^(٢) ، وهو غائب عن حصرتيه ، وأجابه إلى مقترحاته ، قال الراضي كالآنف من طرحه الوزارة على من يشترط فيها : إن الوزارة قطعة من الخلافة ، ووهنها وهن الخلافة .

• • •

إبراهيم بن المهدي^(٣)

كتب إلي أحمد بن يوسف^(٤) الكاتب : لعن الله زماناً أخيرك عمّن لا يساوي كلّه بعضك .

وقال محمد بن راشد : سألني إبراهيم بن المهدي

(١) هو محمد الراضي بن المفتدر بن المعتضد ، ولد سنة ٢٩٧ هـ ، وتولى الخلافة سنة ٣٢٢ هـ ، تفككت في عهده الدولة العباسية ، ولم يمد تحت يديه إلا بغداد ، مات سنة ٣٣٩ هـ .

(٢) تولى الوزارة للراضي ٣٢٧ هـ ، وللمتقي سنة ٣٣٠ هـ ، وكانت « واسط » تحت نفوذه ، حارب الحمدانيين ، توفي سنة ٣٣٢ هـ .

(٣) إبراهيم بن المهدي أخو الرشيد ، ولد سنة ١٦٢ هـ ، كان أديبا شاعراً حاذقاً في الغناء ، خرج على المأمون عندما ولي علي بن موسى الرضا ولاية المهد ، وقد انتصر عليه المأمون ثم عفا عنه ، توفي سنة ٢٢٤ هـ .

(٤) أحمد بن يوسف بن القاسم من أشهر كتاب الدولة العباسية تولى ديوان الرسائل للمأمون وتوفي سنة ٢١٣ هـ .

عن رجلٍ ، فقالت : يساوي فلسيْن . فقال : زدت
في قيمته درهمين .

وكتب إليَّ صديقٌ لهُ : لو عرفتَ فضلَ الحسنِ
لتجنبتَ القبيحَ وأنا وإياكَ كما قال زهير (١) :

وذِي نَحَطَلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ

مَصِيبٌ ، فَمَا يُلَمِّمُ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهُ

عَبَاتُ لَهُ حَلَمِي ، وَأَكْرَمْتُ غَيْرَهُ

وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ ، وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ

وَمَنْ إِحْسَانَ اللَّهِ إِلَيْنَا ، وَإِسَاءَتَكَ إِلَى نَفْسِكَ أَذِنَا

صَفَحْنَا عَمَّا أَمْكَنَّا ، وَتَنَاوَلْتَ مَا أَعْجَزَكَ .

ولما أُدْخِلَ عَلَى الْمَأْمُونِ عِنْدَ الظَّفَرِ بِهِ سَلَامٌ عَلَيْهِ ،

وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَّ الثَّأْرِ مُحَاكِمٌ فِي الْقِيَصَاصِ ،

وَالْعَفْوُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَمَنْ مُدَّ لَهُ فِي الْأَنَاءِ حَسَنٌ

عِنْدَهُ الذَّنْبُ ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ فَوْقَ كُلِّ ذِي ذَنْبٍ

كَمَا جَعَلَ كُلَّ ذِي ذَنْبٍ دُونَكَ ، فَإِنْ عَاقَبْتَ فَبِحَقِّكَ ،

وَإِنْ عَفَوْتَ فَبِفَضْلِكَ .

(١) زهير بن أبي سلمى ، شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات .

فقال المأمون : يا إبراهيمُ ، إنني شاورتُ العباسَ
ابني ، وأبا إسحاقَ أخي في أمرِكَ ، فأشارا عليَّ بقتلِكَ
إلا أني وجدتُ قدرَكَ فوقَ ذنبِكَ ، فكرهتُ القتلَ
لِلإِزْمِ حُرْمَتِكَ .

فقال : يا أميرَ المؤمنين ، قد نصحَ المشيرُ لما جرت به
العادة في السياسة ، وحيطة الخِلافةِ إلا أنك أبيتَ أن
تطلبَ النصرَ إلاَّ من حيثُ عودتَهُ من العفو ، فإن عاقبتَ
فلكَ نظيرٌ ، وإن عفوتَ فلا نظيرَ لَكَ ، فإن جُرْمي
أعظمُ من أن أنطقَ فيه بعذرٍ ، وعفوُ أميرِ المؤمنين
أجلُّ من أن يَفِيَّ به شُكْر .

فقال المأمون : ماتَ الحقْدُ عندَ هذا العذر .

فاستعَبَرَ إبراهيمُ ، فقال المأمون : ما شأنُكَ ؟
قال : الندمُ ، إذ كان ذنبي إلى مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ في الإِنعامِ
عليَّ ، ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، إنه وإن بلغَ جُرْمي
استحلالَ دمي فحِلِّمُ أميرِ المؤمنينَ وفضلهُ يُبلغاني
عَفْوَهُ ، وإنَّ لي لشفعةَ الإقرارِ بالذنبِ وحقَّ العمومةِ
بعدَ الأبِ فلا يَسْفُطُ عن كَرَمِكَ عَمَلُكَ ، ولا يقع
دونَ عَفْوِكَ عندَكَ .

فقال له المأمون : لو لم يكن في حق نسبك حق
الصفح عنك لبدغتك ماأملت حسن تنصلك ،
ولطف توصلك .

ثم أمره بالجلوس ، وقال له : ماالبلاغة ياإبراهيم ؟
قال : أن يكون معنك يُجَلِّي عن مغزاك .

فقال المأمون : هذا كلام يشدر (١) بالذهب ، لقد
ذهب به وغرأ (٢) كان في صدري عليه .

* * *

عبد الله بن المعتز (٣)

كتب إلى بعض إخوانه : لو كنت أعلم أنك
تحب معرفة خبيري لم أبخل به عليك ، ولو طمعت في

(١) يشدر بالذهب : يفصل به .

(٢) الوغر : احتراق الغيظ ، وذهب وغر صدره ، ووغم صدره :
زال ما فيه من غل وعداوة .

(٣) عبد الله بن المعتز بن المتوكل ، الشاعر المبدع ، والأديب
الناثر ، صاحب كتاب طبقات الشعراء ، ولد سنة ٢٤٧ هـ ، بويج بالخلافة
سنة ٢٩٦ هـ ، وبقي بها يوما واحداً ، ثم خلع وقتل .

جوابيك لسألت عن خبرك ، ورجوت العُتْبَى منك
 لأكثر عِتَابِكَ ، ولو ملكتُ الحواطرَ لم آذَنَ لنفسي
 في ذكرك . ولولا أنْ يضيعُ وصفُ الشوقِ لأطلتُ به
 كتابي ، ولولا أنْ عزَّ السلطان يشغلك عني لشغلت به
 سروري ، والسلام .

وكتب يذمُّ رجلاً : ذكرت حاجةَ أبي فلانِ
 المُكْنَى ليُعرفَ ، لايُكْرَمَ ، فلا وصلها الله بالنجاح ،
 ولايسرَّ بابها للانفتاح وذكرت عذراً نَضَحَ (١) به عن
 نفسه ، فوالله ما نضحَ عنها لكنه نَضَحَ عليها (٢) ، وأنا
 والله أصونك عنه ، وأنصحُ لك فيه ، فإنه خبيثُ النية ،
 متلقِّفٌ للمعائب ، مُقَلِّبٌ للسانه بالملق ، شائن (٣)
 بالتخلق وجهَ الخلق ، موجودٌ عند النعمة ، مفقودٌ
 عند الشدة ، قد أنيسَ بالمسألة ، وضري (٤) بالرد ،
 فلا تعقِّ عقلك باختياره ، ولا توحشِ النعمة بإذلالها به .

(١) نضح عن الشيء : ذب ودفع عنه ، وأصل نضح من رمي السهام .

(٢) نضح عليها : رماها .

(٣) شائن : عائب ، والتخلق : إنداء الإنسان ما ليس من خلقه .

(٤) ضري : تعود .

وقال ابنُ المعتز : الخُصَابُ مِنْ شُهُودِ الزُّورِ .
 ولعبد الله بن المعتز آدابٌ مجموعة . ومواعظٌ
 وحِكَمٌ تمرُّ أكثرها في كلام المتقدمين ، وفيها نواذرٌ من
 كلام أمير المؤمنين عليٍّ كرم الله وجهه وغيره ،
 وقد اخترت بعضها ، وأوردته هذا المكان ، فمنها :
 إعادةُ الاعتذارِ تذكيرٌ بالذنبِ .
 في العواقبِ شافٍ أو مريحٌ .
 العقلُ غريزةٌ تربيها التجاربُ .
 النصيحُ بينَ الملأِ تَقْصِيرٌ .
 أقمِ الرّغبةَ إليك مقامَ الحرمةِ بكِ ، وعظمِ
 نفسك عن التعظمِ ، وتطولُ ولا تتطاولُ (٢) .
 الأملُ رفيقٌ مؤنسٌ ، إن لم يُبْلِغْكَ فقد استمتعتَ به .
 لا يقومُ عِزُّ الغضبِ بذلُ الاعتذارِ .
 الشفيعُ جناحُ الطالبِ .
 إن بقيتَ لم يَبْقَ الهَمُ .

(١) التطاول : الاستطالة والترفع ، والتطول : التفصيل . والتطاول
 عند العرب محبود ، والتطاول مذموم .

لا تُنِكَحْ خَاطِبَ سِرْكَ (١) .
 من زاد أدبُه على عقلِه كان كالرَّاعِي الضَّعِيفِ
 مع غنمٍ كثيرةٍ .
 الدَّارُ الضَّيِّقَةُ العَمَى الأصْفَرُ .
 إذا هرب الزَّاهِدُ من النَّاسِ فاطَّأَبُّهُ ، وإذا طابَهُم
 فاهربَ منه .
 النَّعَمَامُ جِسْرُ المَشْرِ .
 لا تُشِينِ وَجْهَ العَفْوِ بِاتِّقْرِيعٍ .
 إذا زال المَحْسُودُ عليه عَاصَتْ أَنْ الحَاسِدَ كانَ يَحْسُدُ
 على غَيْرِ شَيْءٍ .
 العَجْزُ نَائِمٌ ، وَالْحَزْمُ يَمْظَانُ .
 مَنْ تَجَرَّأَ لَكَ تَجَرَّأَ عَابُكَ
 مَا عَفَا عَنِ الذَّنْبِ مَنْ قَرَّعَ بِهِ .
 أَمْرُ المَكَارِهِ مَا لَمْ يُحْتَسَبْ (٢) .

(١) أي لا تطلعه على ما يريد من سرك .

(٢) يحتسب : أي ينتظر المثوبة في الآخرة .

عبدُ الشهوةِ أذلُّ من عبدِ الرقِّ .

لا ينبغي للعاقل أن يطلبَ طاعةَ غيره ، وطاعةُ نفسهِ
عليه ممتنعة .

الناس نفوسان : واجدٌ لا يكتفي ، وطالبٌ لا يجيد .
ذلُّ العزْلِ يضحك من تيهِ الولاية .

كلما كثرُ خُزَّانُ الأسرارِ ازدادت ضياعاً .
بشرُّ مالِ البخيلِ بحادثٍ أو وَاَرِثٍ .

* * *

الباب الرابع

كلام جماعة

من بني أمية

قال سعيد بن العاص (١) : لا تمازح الشريف ؛
فيحقد عليك ، ولا الدنيء فيجترى عليك .

ودخل عمرو بن سعيد إلى معاوية فقال له : إلى من
أوصى بك أبوك ؟ قال : إنَّ أبي أوصى إلي ، ولم يوص
بي . قال : فبأي شيء أوصاك ؟ قال : أوصاني ألا
يفقد إخوانه منه إلا وجهه . فقال معاوية لأصحابه :
إن ابن سعيد هذا لأشدق (٢) .

قال عتبة بن أبي سفيان (٣) لمعلم والده (٤) : ليكن

(١) المراد هنا سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ، من أجواد
العرب وأشرف بني أمية ، توفي سنة ٥٥٩ هـ .

(٢) الأشدق : الواسع الشدق ، كناية عن الفصاحة .

(٣) عتبة بن أبي سفيان أمير مصر

(٤) اسمه : عبد الصمد بن الأعلى الشيباني .

أَوَّلَ إِصْلَاحَاتٍ لَوَالِدِي إِصْلَاحُ نَفْسِكَ ؛ فَإِنَّ عَيُونَهُمْ
 مَعْقُودَةٌ بِعَيْنِيكَ ؛ فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا اسْتَحْسَنَتْهُ ،
 وَالْقَبِيحُ عِنْدَهُمْ مَا اسْتَقْبَحَتْهُ ؛ عَلَّمَهُمْ كِتَابَ اللَّهِ ،
 وَرَوَّاهُمْ مِنَ الْحَدِيثِ أَشْرَفَهُ ، وَمَنِ الشَّعْرَ أَعَفَّهُ ،
 وَلَا تُكْزِرُهُمْ عَلَى عِلْمٍ فِيمَا لَوْهُ ، وَلَا تَدَعُهُمْ
 فِيهِمْ جُرُوه ، وَلَا تَخْرِجُهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ حَتَّى
 يُتَّقِنُوهُ فَإِنَّ أَرْحَامَ الْعَالَمِ فِي السَّمْعِ مَضَلَّةٌ لَهُمْ ؛
 وَعَلَّمَهُمْ سِيرَ الْحُكَمَاءِ ، هَدَّاهُمْ بِي ، وَأَدَّبَهُمْ دُونِي
 وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى عُنْدِ مَنْنِي ؛ فَإِنِّي أَتَّكَلْتُ عَلَى كَفَايَةِ مَنْكَ .

أَطْعَمَ أَبُو سَفْيَانَ النَّاسَ فِي حُجَّةِ الْوَدَّاعِ ، فَقَصَّرَ
 طَعَامُهُ ، فَاسْتَعَانَ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 فَأَعَانَهُ بِالْأُفِّ شَاةً ؛ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ؛
 لَقَدْ حَارَبْنَاكَ فَمَا أَجَبْتَنَاكَ (١) ، وَسَأَلْنَاكَ فَمَا أَبْخَلْتَنَاكَ (٢) .

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ؛ مُوْطِنَانِ لَا أَعْتَدُرُ مِنَ الْعِيِّ
 فِيهِمَا : إِذَا سَأَلْتُ حَاجَةً لِنَفْسِي ، وَإِذَا أَكَلِمْتُ جَاهِلًا .

(١) أَجَبْتُهُ : وَجَدَهُ جَبَانًا .

(٢) أَبْخَلَهُ : وَجَدَهُ بَخِيلًا .

وكان سعيد بن العاص والياً على المدينة من قبل معاوية . وكان معاوية يعاقب بينه وبين مروان (١) في ولايتها ، وكان يغري بينهما ؛ فكتب إلى سعيد : أن اهدم دار مروان ، فام يهدمها ، وأعاد إليه الكتاب يهدمها ، فلم يفعل ، فعزله ، وولّى مروان ، وكتب إليه : أن اهدم دار سعيد ؛ فأرسل الفعلة ، وركب ليهدمها فقال له سعيد : يا أبا عبد الملك ؛ أتهدم داري ؟ قال : نعم ، كتب إليّ أمير المؤمنين ، ولو كتب إليك في هدم داري لفعلت . فقال : ما كنت لأفعل . قال : بلى ، والله لو كتب إليك لهدمتها . قال : كلاً يا أبا عبد الملك ؛ وقال لخلّامه : انطلق فمجنّي بكتاب معاوية ؛ فجاء به ، فقال مروان : كتب إليك يا أبا عثمان في هدم داري ، فام تهدمها ولم تعلّمني ؟ قال : ما كنت لأهدم دارك ، ولا أؤمن عليك ، وإنما أراد معاوية أن يحرّض بيننا ؛ فقال مروان : فذاك أبي وأمي ، أنت والله أكثرُ مني ريشاً (٢) وعقباً ، ورجع فام يهدم دار سعيد .

(١) مروان بن الحكم .

(٢) الريش . الخصب والمعاش والمال المستفاد واللباس الحسن

الفاخر والعقب : الأولاد .

ذكر العتبيُّ : أنَّ معاويةَ بن أبي سفيان أسرَّ إلى عمرو بن عنبسة بن أبي سفيان حديثاً ، قال عمرو : فجهتُ إلى أبي ، فقلت : إنَّ أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثاً ، أفأحدثُك به ؟ قال : لا ؛ لأنَّه من كَتَمَ حديثه كان الخيارُ إليه ، ومن أظهره كان الخيارُ عليه . فلا تجعلُ نفسك مملوكاً ، بعد أن كنتَ مالِكاً . فقلت : أو يدخلُ هذا بين الرجل وابنيه ؟ قال : لا ، ولكن أكرهُ أن تُدَلِّلَ لسانك بإفشاء السرِّ . قال : فرجعتُ إلى معاويةَ ، فذكرتُ ذلك له . فقال : اعتَقَلِك أخي من رِقِّ الخطأ .

خطب عتبةُ بن أبي سفيان الناسَ بالموسم في سنة إحدى وأربعين ، وعهدُ الناسِ حديثُ بالفتنةِ فاستفتح ، ثم قال :

أيُّها الناس ؛ قد ولَّيْنَا هذا الموضعَ الذي يضاعِفُ الله عزَّ وجلَّ للمحسنينَ فيه الأجرَ ، وعلى المسيءِ الوزرَ (١) ، فلا تمدُّوا الأعناقَ إلى غيرنا ، فإنها تنقطعُ

(١) الوزر : الذنب .

دُونَنَا ، وَرُبَّ مُتَمَنٍّ حَتَفَهُ فِي أَمْنِيَّتِهِ . اقبلوا العافية
ما قبلناها منكم وفيكم ، وإياكم و « لو » ، فقد أتعبت
من كان قبلكم ، ولن تُريحَ من بعدكم . أسألُ الله أنْ
يعينَ كُلاًّ على كلِّ .

قالوا : لما استتبَّ الأمر لمعاوية ، قدم عليه عبدُ الله بن
عباس ، وهي أولُ قِدْمَةٍ قدمها عليه ، فدخل وكأنه
قرحةٌ (١) تَتَبَجَّسُ (٢) ، فجعل عتبةُ بن أبي سفيان
يُطِيلُ النظرَ إلى ابنِ عباسٍ ، وَيُقِيلُ الكلامَ معه .
فقال ابنُ عباس : يا عتبةُ ؛ إنك لتُطِيلُ النظرَ إليَّ ،
وتُقِيلُ الكلامَ معي . أَلِمَسَوْجِدَةٌ فدامتْ ، أو لمعتبةٍ
فلا زالتْ ؟ قال له عتبةُ : ماذا أبقيتَ لما لا رأيتَ ؟
أما طُولُ نظري إليك فسروراً بك ، وأما قِلةُ كلامي
معك فقليلته مع غيرك ، ولو ساءطت الحقَّ على نفسك
لعلمتَ أنه لا ينظر إليك عينٌ مُبْغِضُ .

فقال ابن عباس : أمهيتُ (٣) يا أبا الوليد ، أمهيت !
لو تحقق عندنا أكثرُ ممَّا ظننَّاه لمحاة أقلُّ مما قلت .

(١) القرحة والقرح : أول ما يخرج من البئر حين تحفر .

(٢) تتبجس . تتفجر

(٣) أمهيت . بلغت ما تريد ، وأصله : بلغ الماء في حفره .

فذهب بعضٌ من حضر أن يتكلم ، فقال معاوية :
اسكت . وجعل معاوية يصفق بيديه ويقول :
جندلتانِ اصطكتكما (١) اصطكتكما

دعوتُ عركاً إذ دعوا عيراكـ
إِنَّ الدانحل بين قريش لحائنُ (٢) نفسه .

وقال سعيدُ بنُ العاصِ : قَبَّحَ اللهُ المعروفَ إذا
لم يكن ابتداءً من غير مسألة ، فأماً إذا أتاك ترى دمه
في وجهه ، مخاطيراً لا يدري أُتُعطيه أم لا ، وقد بات
ليلته يتململُ على فراشه ، يُعاقب بين شِقِيَّيه ، مرةً
هكذا ، ومرةً هكذا ، مَنْ حاجته ، فخطرتُ بباله أنا
وغيري ، فَمَيْلٌ (٣) أرجاهم في نفسه ، وأقربهم من
حاجته ، ثم عزم عليّ وترك غيري ، فلو خرجتُ له مما
أملكُ لم أكافيه (٤) ، وهو عليّ أَمَنٌ مني عليه .

(١) الجندلة : الصخرة و« جندلتان اصطكتا » مثل يضرب للقرنين
يتصاولان .

(٢) الحائن : الهالك . أي أتاه الحين : وهو الهلاك .

(٣) ميل بين أمرين : تردد ، ثم اختار أنفعهما له .

(٤) لم أكافه : لم أكافئه ، وكافاً وكافى بمعنى واحد .

قالوا : لَمَّا وَلَّى عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْوَلِيدِ عَبْدَ
 الْمَلِكِ (١) دِمَشْقَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي بَنِي أُمَيَّةَ أَلَبٌ (٢) مِنْهُ فِي
 حَدَاثَةِ سِنِّهِ ، قَالَ أَهْلُ دِمَشْقَ : هَذَا غُلَامٌ شَابٌّ ،
 وَلَا عِلْمَ لَهُ بِالْأُمُورِ ، وَسَيَسْمَعُ مِنَّا ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ :
 أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، عِنْدِي نَصِيحَةٌ . قَالَ لَهُ : لَيْتَ شِعْرِي
 مَا هَذِهِ النِّصِيحَةُ الَّتِي ابْتَدَأْتُنِي بِهَا ، مِنْ غَيْرِ يَدٍ سَبَقَتْ
 مِنِّي إِلَيْكَ ؟ قَالَ : جَارٌّ لِي عَاصٍ مُتَخَلِّفٌ عَنْ ثَغْرِ (٣) .
 فَقَالَ لَهُ : مَا تَقِيَّتَ اللَّهَ ، وَلَا أَكْرَمْتَ أَمِيرَكَ ، وَلَا حَفَظْتَ
 جِوَارَكَ . إِنْ شِئْتَ نَظَرْنَا فِيْمَا تَقُولُ ، فَإِنْ كُنْتَ
 صَادِقًا يَنْفَعُكَ ذَلِكَ عِنْدَنَا ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا عَاقِبْنَاكَ .
 وَإِنْ شِئْتَ أَقْلُنَاكَ . قَالَ . أَقْلُسِي . قَالَ : اذْهَبْ حَيْثُ
 شِئْتَ لِصَاحِبِكَ اللَّهَ . إِي أَرَاكَ شَرَّ جَبَلٍ (٤) رَجُلًا .

(١) عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْوَلِيدِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَلِي نِيَاهِ دِمَشْقَ لِأَبِيهِ
 وَعِزَّاءِ الرُّومِ سَنَةَ ٥٩٤ .

(٢) أَلَبٌ اسْمٌ تَفْضِيلٌ مِنْ لَبٍ : صَارَ ذَا لَبٍ .

(٣) عَنْ ثَغْرِ . عَنْ حَرْبِ الْعَدُوِّ . وَالثَّغْرُ : الْمَوْقِعُ عَلَى الْحُدُودِ
 مَعَ الْعَدُوِّ .

(٤) الْجَبَلُ . كُلُّ صَنْفٍ مِنَ النَّاسِ .

ثم قال : يا أهل دمشق ، أمّا أعظمتُم ما جاء به الفاسق ؟
 إن السعاية — أحسبُ منه (١) — سجيّةٌ ، ولولا أنه
 لا ينبغي للوالي أن يُعاقب قبل أن يُعاتبَ كان لي في
 ذلك رأيٌ ، فلا يأتينَنني أحدٌ منكم بسعايةٍ على أحدٍ
 بشيء ، فإنّ الصادقَ فيها فاسقٌ ، والكاذبَ فيها بهاتٌ (٢) .

✻ ✻ ✻

(١) المعنى : إني أظن أن السعاية طبيعة فيه .

(٢) البهات : صيغة مبالغة من بهته : إذا قال عنه ما ليس فيه .

الباب الخامس

تمكنت لآل الزبير

قدم فضالةُ بنُ شريكٍ (١) ، على عبد الله بن الزبير ،
فقال : إني سِرتُ إليك الهواجرَ (٢) يا أميرَ المؤمنين .
قال : وإيمَ ؟ أما كان لك في البردَين (٣) ما تسيرُهما ؟
كأنك تمادرُ نهساً ، لأبالك ، فقال : إنَّ ناقتي قد
نُقِيبَ (٤) خُفِّها فأحملني . قال : ارقعها بجلد ،
واخصفها بهلب (٥) ، وأنجد بها (٦) ، وسرَّ بها

(١) فضالة بن شريك الأسدي ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام .

(٢) الهواجر جمع هاجرة ، وهي وقت اشتداد الحر في الظهيرة .

(٣) البردان : العداة والعشي لبرود الجو فيهما .

(٤) نقب الخف : رق .

(٥) الهلب : الشعر أو خصلة منه .

(٦) أنجد بها : سرَّ بها في النجد ، وهو ما غلظ وارتفع واستوى من

الأرض .

البرّد بن . قال : إنما أتيتك مُستَحْمِلاً (١) ، ولم آتِكَ
مُسْتَوْصِفاً ، لعنَ الله ناقةً حَسَلْتَنِي إِلَيْكَ . قال : إن (٢)
وراكبَها ، فانصرفَ وهجَاهُ بالأبياتِ التي يقول فيها :
أرى الحاجاتِ عند أبي خُشَيْبٍ (٣)

نَكِيدُنَّ ، ولأُمَيَّةَ في البلادِ (٤)
كان مُصْعَبٌ (٥) يقول : المرأةُ فراشٌ فاستوثِرُوا .
نازع ابنُ الزبيرِ مَرْوَانَ في مجلسِ معاوية ، فرأى
أنَّ ضَلَعَ (٦) معاويةَ مع مروانَ . فقال : يا أمير المؤمنين .
إنَّ لك حقّاً وطاعةً علينا ، وإنَّنا سَيِّطَةٌ (٧) وحرمة ،
فأطعِ الله بِطِيعَتِكَ ، فإنه لأطاعةٍ لكَ علينا إلّا في حقٍّ

(١) مستحمل : طالب منه أن يجعله .

(٢) إن : نعم

(٣) أبو خُشَيْبٍ : كنية ابن الزبير ، يفو لها له من يدمه ، أما من
يمدحه فيكنيه أبا بكر .

(٤) نَكَد الزماد : صاق وانتا

(٥) مصعب بن الزبير : أمير وقائد من قواد أخيه ، ولد سنة ٥٢٦ هـ .

(٦) ضلع معاوية مع مروان : ميله معه .

(٧) السطة : مصدر وسط ، ووسط القوم كناية عن الرفعة والشرف .

الله ، ولا تُطْرَقْ إِطْرَاقَ الْأَفْعُوانِ (١) فِي أَصُولِ
السُّخْبَرِ (٢) .

وَقَالَ لَهُ مَرَّةً : يَا مَعَاوِيَةَ ، لَا تَدْعُ مَرْوَانَ يَرْمِي
جَمَاهِيرَ (٣) قَرِيْشٍ بِمِشَاقِيصِهِ (٤) وَيَضْرِبُ صَفَاتِهِمْ (٥)
بِمَعْوَلِهِ ، لَوْلَا مَكَانُكَ لَكَانَ أَخْفَ عَلَى رِقَابِنَا مِنْ فَرَّاشَةٍ ،
وَأَقْلَ فِي أَنْفُسِنَا مِنْ خَشَّاشَةٍ (٦) ، وَإِيْمُ اللَّهِ لئنْ مَلَكَ
أَعْنَتُ خَيْلٍ تَنْقَادُ لَهُ لِيَرْكَبَنَّ مِنْكَ طَبَقًا (٧) تَخَافُهُ .
فَقَالَ مَعَاوِيَةَ : إِنْ يُطْلَبُ هَذَا الْأَمْرُ فَقَدْ طَمِعَ فِيهِ
مَنْ هُوَ دُونَهُ وَإِنْ يَسْتَرْكُهُ يُتْرَكُهُ لِمَنْ فَوْقَهُ ، وَمَا أَرَاكُمْ
بِمُنْتَهِيْنَ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ لَا يَعْطِفُ عَلَيْكُمْ

(٦) الْأَفْعُوانُ : ذَكَرَ الْأَفَاعِي ، شَبَّهَ بِهِ لِأَنَّهُ يَطْرُقُ عِنْدَ نَفْثِ السَّمِّ .

(٢) السُّخْبَرُ : الشَّجَرُ .

(٣) الْجَمَاهِيرُ : جَمْعُ جَمْهُورٍ ، وَهُوَ مَعْظَمُ النَّاسِ .

(٤) الْمِشَاقِصُ : جَمْعُ مِشْقَصٍ وَهُوَ مَا طَالَ وَعَرِضَ مِنَ النِّصَالِ

وَالْمَرَادُ : لَا يَدْعُهُ يَصِيبُهُمْ بِالْأَذَى .

(٥) الصِّمَامَةُ : الْحَجَرُ الْأَمْلَسُ .

(٦) الْخَشَّاشَةُ : وَاحِدَةُ الْخَشَّاشِ وَهُوَ الْهُوَامُ .

(٧) الطَّبَقُ : جَمْعُ طَبَقَةٍ ، وَهِيَ مَنْزِلَةٌ فَوْقَ مَنْزِلَةٍ ، وَالْمَعْنَى :

لِيَرْكَبَنَّ مِنْكَ أَحْوَالًا وَمَنَارِلًا فِي الْعِدَاوَةِ مَخُوفَةً .

بقِصْرَابَةٍ ، وَلَا يَذْكُرُكُمْ عِنْدَ مُلِيمَةٍ . وَيَسُومُكُمْ (١)
خَسْفًا (٢) ، وَيُورِدُكُمْ تَانِمًا .

قال ابنُ الزبير : إِذَا وَاللَّهِ نَطَلِقُ عِقَالَ الْحَرْبِ .
بِكِتَابِ تَمُورٍ كَرَجَلِ الْجِرَادِ (٣) . تَتَّبِعُ غَيْطَرِيفًا (٤) مِنْ
قَرِيشٍ لَمْ تَكُنْ أُمُّهُ بِرَاعِيَةٍ ثَلَاثَةَ (٥) .

قال معاوية : أَنَا ابْنُ هَنْدٍ ، أَطْلَقْتُ عِقَالَ الْحَرْبِ .
فَأَكَلْتُ ذُرَّةَ السَّنَامِ ، وَشَرَبْتُ عَنَفْوَانَ الْمَكْرَعِ (٦) .
وَلَيْسَ لِلْأَكْلِ إِلَّا الْفِلْدَةُ (٧) ، وَلِلشَّارِبِ إِلَّا الرَّنْقُ (٨) .

لِيَمَّ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى طُلُوعِ خُطْبَتِهِ عَشِيَّةَ
عَرَفَةَ ، فَقَالَ : أَنَا قَائِمٌ وَهُمْ جُلُوسٌ وَأَتَكَلِّمُ وَهُمْ
سَكُوتٌ وَيَضْجُرُونَ ! .

(١) سَامَهُ الْأَمْرُ : أَلْزَمَهُ إِيَّاهُ سِرًّا

(٢) الْخَسْفُ : الْفُحْرُ وَالْإِذْلَالُ .

(٣) رَجَلُ الْجِرَادِ : الْقِطْعَةُ الَّتِي قَوَى بِعَصَاهَا

(٤) الْغَيْطَرِيفُ : السَّيْدُ .

(٥) رَاعِيَةٌ ثَلَاثَةُ : رَاعِيَةُ الْعَمَمِ .

(٦) عَنَفْوَانُ الْمَكْرَعِ : أَوَّلُهُ وَهُوَ أَصْفَى مَا يَكُونُ .

(٧) الْفِلْدَةُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْكِبَادِ أَوْ السَّنَامِ

(٨) الرَّنْقُ : الْكَدَرُ .

وكان عبدُ الله بن الزبير يقول : لاعاش بخيرٍ من
لم يرَ برأيه ما لم يرَ بعينه .

قال عروة^(١) بن الزبير : التواضعُ أحدُ مصاديقِ
الشرف .

لما قال عبدُ الله بن الزبير : أكلتم تمرِي ، وعصيتُم
أمرِي . قال فيه الشاعر :

رأيتُ أبا بكرٍ - وربك غلبُ
على أمره - يبعي الخلافةَ بالتمرِ

قال عمرُ بن شبة^(٢) : وقف ابنُ الزبير على باب
مِيتةٍ ، مولاةٌ كانت لمعاويةَ . ترفعُ حوائجُ الناسِ إليها .
فقال له : يا أبا بكر تقفُ على باب مِيتةٍ ! قال : نعم .
إذ أعيتك الأمورُ من رؤوسها فأتتها من أذنانها .

(١) عروة بن الزبير بن العوام ، أحد الفقهاء العظماء ، ما كان صاحباً
كرماً عالماً بالدين ، ولد سنة ٢٣ هـ ، وتوفي سنة ٩٧ هـ .
(٢) عمر بن شبة : شاعر راوية مؤرخ محدث ، ولد سنة ١٧٢ هـ .
وتوفي سنة ٢٦٢ هـ ، وله مؤلفات .

قال عُرْوَة : لعهدي بالناس ، والرجل منهم إذا
أراد أن يسوء جاره سأل غيره حاجته ، فيشكوه جاره ،
ويقول : تتجاوزني بحاجتيه ، أراد بذلك شَيْئِي (١) .
لما أتى عبد الله بن الزبير قتل مُصْعَبٍ ، خطب الناس ،
فحمّد الله وأثنى عليه ثم قال :

إنه أتاننا خبرُ مَقْتُلِ الْمُصْعَبِ فسررنا واكتئابنا ،
فأما السرورُ فلما قُدِّرَ له من الشهادة ، ونخيرُ له من
الثواب ، وأما الكتابةُ فتلوعةٌ يسجدُها الحميمُ لفراق
حميمه . وإننا والله لانموتُ حَبَجاً (٢) كميتةِ آل أبي
العاص (٣) ، إنما نموتُ قَتلاً بالرماح ، وقَعْصاً (٤)
تحت ظلالِ السيوف ، فإن يهلكِ الْمُصْعَبُ فإنَّ في آلِ
الزبيرِ خَلَفاً .

وقال لما أتاها قَتْلُهُ : أشهيدُهُ الْمُهَلَّبُ ؟ قالوا : لا .

(١) الشين : العيب .

(٢) الحيج : أن تنتفخ بطون الإبل من أكلها العرفج ، وقد تموت
من ذلك .

(٣) والمراد أنه يعيب عليهم إقبالهم على المطاعم والشهوات .

(٤) مات قَعْصاً : إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .

كَانَ الْمَهْلَبُ فِي وَجْهِ الْخَوَارِجِ . قَالَ : أَفَشْهَدُهُ
عَبَّادُ بْنُ الْحُصَيْنِ الْحَبْطِيُّ (١) ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ :
أَفَشْهَدُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمِ السُّلَمِيِّ (٢) ؟ قَالُوا : لَا .
فَتَمَثَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ :

فَقُلْتُ لَهَا عَيْثِي جَعَّارٌ (٣) ، وَجَرَّي
بِلَحْمٍ أَمْرِي لَمْ يَشْهَدْ الْيَوْمَ نَاصِرُهُ

خَرَجَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَوَطَّيْءَ
عَظْمًا ، فَلَمْ يَبْلُغْ دِمَشْقَ حَتَّى ذَهَبَ بِهِ كُلُّ مَتَّحِبٍ ،
فَجَمَعَ الْوَلِيدُ الْأَطْبَاءَ ، فَأَجْمَعَ رَأْيَهُمْ عَلَى قَطْعِهَا .
فَقَالُوا لَهُ : اشْرَبْ مُرْقِدًا (٤) ، فَقَالَ : مَا أَحَبُّ أَنْ
أَغْفُلَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، فَأَحْمِيَّ لَهُ مِنْ شَارٍ ، وَكَانَ

(١) عَبَّادُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ يَزِيدِ الْحَبْطِيُّ ، هَارِسُ ابْنِ عَمِيمٍ ، وَلِي شَرْطَةِ
الْبَصْرَةِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ .

(٢) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمِ بْنِ أَسْمَاءِ السُّلَمِيِّ ، وَلِي إِمْرَةِ خُرَاسَانَ لِبَنِي أُمَيَّةٍ .

(٣) جَعَّارٌ : اسْمٌ لِلضَّبِيعِ أَصْلُهُ جَاعَرَةٌ ، وَعَيْثِي جَعَّارٌ : مِثْلُ يَضْرِبُ
إِذَا أَتَتْ الضَّبِيعُ الْغَنَمَ وَغَابَ الْحَارِسُ .

(٤) الْمُرْقِدُ : شَرَابٌ يَشْرِبُهُ الرَّجُلُ فِي نَامٍ .

قَطْعاً وَحَسْماً (١) ، هَذَا تَوَجَّعٌ ، وَقَالَ : ضَعُوهَا بَيْنَ يَدَيَّ ، لَئِنْ كُنْتُ ابْتُلَيْتُ فِي عَضْوٍ لَقَدْ عُوْفِيتُ فِي أَعْضَاءٍ .

فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ أَتَاهُ نَعِيُّ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ ، وَكَانَ قَدْ اِطْلَمَعَ مِنْ سَطْحٍ عَلَى دَوَابٍ لِلْوَلِيدِ ، فَسَقَطَ بَيْنَهَا فَخَبَطَتْهُ فَقَالَ عَرَوْهُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، لَئِنْ أَخَذْتَ وَاحِداً لَقَدْ أَبْقَيْتَ جَمَاعَةً ، وَلَئِنْ ابْتُلَيْتَ فِي عَضْوٍ لَقَدْ أَبْقَيْتَ أَعْضَاءً .

سَدَّتْ وَهَبٌ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ فِي وِلَايَتِهِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ كِتَاباً يَعْطُهُ فِيهِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنْ لَلْتَقَوَى فِي أَهْلِهَا عِلَامَاتٌ يُعْرِفُونَ بِهَا ، وَيَعْرِفُونَهَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، مِمَّنْ صَبَرَ عَلَى الْبَلَاءِ وَرَضِيَ بِالْقَضَاءِ . وَشُكِّرَ لِلنَّعْمَةِ ، وَذُلَّ لِحُكْمِ الْقُرْآنِ ، وَإِنَّمَا الْإِمَامُ كَالسُّوقِ . يُحْمَلُ إِلَيْهَا مَا زَكَ (٢) فِيهَا ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ أَتَاهُ أَهْلُ الْحَقِّ بِحَقِّهِمْ ،

(١) الْمَعْنَى : وَكَانَ الْفَطْعُ قَطْعاً حَسْماً . وَالْحَسْمُ هُوَ الْكَيُّ بَعْدَ الْقَطْعِ حَتَّى لَا يَنْزِلَ الدَّمُ .

(٢) رَكَآ : طَهَّرَ .

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ أَتَاهُ أَهْلُ الْبَاطِلِ بِبَاطِلِهِمْ ،
فَانْظُرْ أَيُّ الْإِمَامِينَ أَنْتَ . وَالسَّلَامُ .

قال : فكان عبدُ الله يعجب من بلاغةِ هذه الرسالةِ
وإيجازها ، ويضعُها تحتَ فراشه ، ويتعاهدُ قراءتها .
كان لعبدِ الله بنِ عروة مَولاةٌ يُقال لها : شُهدة ،
ففرغتُ ليلاً ، فسمعها تقول : اللهمَّ إِنِّ أَحْسَنْتُ فَأَحْسِنْ
لِي ، وَإِنِّ أَسَأْتُ فَأَسِئْ لِي . فقال : أَيُّ شَهَادَةٍ .
عَتَّقَ مَا يَمْلِكُ (١) إِنِّ لَمْ يَكُنْ هَذَا أَقْلٌ مَالِكٍ عِنْدَ
رَبِّكَ .

قال عبد الله بن عروة بن الزبير : إلى الله أشكو عيبي
مألاً أدعُ ، ونعتي ما لا آتي ، وإنما يُبكي الدنيا بالدين :
نازع عبد الله بن الزبير أخاه صمراً (٢) ، والأمرُ
بالمدينة سعيدُ بن العاص ، واستعلى عبدُ الله في القول :
فأقبل سعيدُ على عمرو ، فقال : إيهأ يا بن أبي ، فأقبلَ

(١) وعق لما يملك حملة دعائه ؛ فوحده وبأدائها بشهاد بدأبلا بما
ومعنى : شهدة في الأهل العسل ، وجمعه سهاد .
(٢) عمرو بن الزبير بن العوام ، كان شديد العارضة ؛ قوباً .

عليه عبدُ الله ، فقال : هيهأ يا بنَ أبي أحيحة (١) ،
 فوالله لأنا خيرٌ منك . ولأبي خيرٌ من أهلك : ولأُمِّي خيرٌ
 من أُمِّك ، ولخالتي خيرٌ من خالك ، ولجدِّي خيرٌ من
 جدِّك . ثمَّ ، اللهُ رفع بالإسلام بيوتاً ووضع به بيوتاً ،
 فكان بيتي من البيوت التي رفع ، وكان بيتك من البيوت
 التي وضع ، وإنَّ نخس (٢) أنفك ، وانتفخت
 لغاديدك (٣) .

اختصم رجلان في حدٍّ بينهما بالأعوص (٤) ،
 فتهاترا وتخاصما ، فأتيا الزبير بن هشام بن عروة (٥) ،
 وجعله حكماً بينهما . قال : فقال لهما : كان رجلان من
 بني إسرائيل اختصما في أرضٍ ، فأذن الله للأرض ،
 فكلاهما فتال : لقد ملكني سبعون أعوراً ، وليس

(١) وأبو أحيحة : هو سعيد بن العاص ، جد سعيد هذا ، توفي
 سنة ٥٣ هـ ، وهو مشرك .

(٢) نخس : من الخس ، وهو تاجر في الأنف مع ارتضاع قليل
 في أرنجه .

(٣) اللغاديد : جمع الغدود : الحمة في الحلق .

(٤) الأعوص : موضع قرب المدينة على أهبال يسيرة منها .

(٥) الزبير بن هشام بن عروة محدث ثقة .

منهم^١ الآن أحد^٢ على ظهر الأرض . قال : فنفرقا .
وقال كل منهما : لا حاجة لي بها ، وترادأها .

قيل لعروة الزبيري حين حُمل إلى الرشيد مُقيَّداً :
اختضب^(١) . فقال : حتى أعلم أراسي لي أم لكم ؟
فأدخل عليه في سِلْسِلَةٍ ، فقال : كنت أشتيهي أن أراك
فيها ، اخلعوا عليه . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ خلعة
شتاء لا خلعة صيف .

* * *

(١) اختضب : صبغ شعره بالحناء .

الباب السادس

نوار أبي عيناء ومخاطباته

حَمَلَهُ بعضُ الوزراءِ على دَابَّةٍ ، فانتظرَ علفَهَا ،
فلما أَبْطَأَ عليه قال : أَيُّهَا الوزيرُ هذه الدَابَّةُ حَمَلَتْني
عليه أو حَمَلْتَهُ عليَّ (٢) .

قال : وقال لي يوماً : لا تكثُرِ الوقِيعَةَ في الناسِ .
فقلتُ : لِيْنَّ لي في بصري شَغْلاً عن ذلك . فقال : ذاك
أشدُّ لحَقْدِك على أهلِ العافية .

وقال له يوماً المتوكلُ : إِنَّ سَعِيدَ بنَ عبدِ الملكِ

(١) محمد بن القاسم ، كنيته أبو العيناء ، ولد سنة ١٩١ هـ ، هاشمي بالولاء
وأديب فصيح ، اشتهر بنوادره ، كاتب شاعر ، ولكنه خبيث اللسان .
كف بصره في الأربعين ، وتوفي بالبصرة سنة ٢٨٧ هـ .
(٢) الدابة تطلق على المذكر والمؤنث .

يضحكُ منك ، فقال : (إنَّ الذينَ أجرَمُوا كانوا منَ
الَّذينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ) (١) .

وقال يوماً بحضرته ليخراشة : ابنُ كَمْ أنتَ ؟
قال : ابنُ نَيْفٍ وخمسين . قال أبو العيناء : زانيةٌ .

ودخل يوماً إلى ابنِ ثَوَابَةِ (٢) ؛ فقال : بلغني ما
خاطبتَ به أمسَ أبا الصَّقْرِ (٣) ، وما منعه من استقصاءِ
الجوابِ إلا أنَّه لم يجدَ عِرْضاً فيضعه ، ولا مجدداً فيهدمه ،
وبعدُ فإنه عافَ لحمكَ أنْ يأكله ، وسهيكَ (٤) دمكَ
أنْ يسفِكَه . فقال : ما أنتَ والكلامُ يا مُكدي (٥) ؟
فقال أبو العيناء : لا تنكر على ابنِ ثمانين ، وقد ذهبَ
بصرُهُ ، وجفاه سلطانُهُ ، أنْ يعوِّلَ على إخوانه ، فيأخذَ
من أموالهم ، ولكن أشدَّ من هذا من يستنزِلُ ماءَ أصلابِ

(١) سورة المطففين : ٢٩ .

(٢) أحمد بن محمد بن ثَوَابَةِ من الكتاب في العصر العباسي ، وكان
كاتبَ الرسائل لمعز الدولة . توفي سنة ٥٢٤ هـ .

(٣) أبو الصَّقْرِ : هو إسماعيل بن بلبل ، وزير ، كان صديقاً
لابن المدبر .

(٤) سهك : استقدر رائحته .

(٥) المكدي : الشحاذ .

الرجال . يستفرغهُ في جوفه . فيقطعُ أرزاقهم ،
ويُعْظِمُ إجرامهم

فقال ابنُ تَوَانِه . ما تشاجر اثنان إلا غلب الأئْمُهُما .
فقال له : بها عابِتَ أبا الصقر .

وقال ابنُ ثَوَابَةِ يومًا : كَتَبْتُ (١) أنفاسَ الرجال
قال : حيثُ كانوا وراءَ ظَهْرِكَ .

وقال له يَوْمًا نَجَّاحُ بن سَلَمَةَ (٢) : ما ظَهْرُكَ
وقد خرجَ تَوَقِّعُ أميرِ المؤمنين في الزنادقة ؟ فقال :
نستدفعُ اللهَ عماكَ وعن أصهارِكَ .

ودخلَ على عُبَيْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ طاهر (٣)
وهو يلعبُ بالشطرنج ، فقال : في أي الحيزين أنت ؟
فقال (٤) : في حيزِ الأميرِ أبده الله .

(١) كتبت أنفاس الرجال جمعنها .

(٢) نجاج بن سلمه كان على ديوان الصباع ، ثم ديوان التوقيع
والتبعية على العمال للمنوذر .

(٣) عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الخزازي ، ولد سنة ٢٢٣ هـ ،
أمير سجاء محب الأدب ، ولي شرطة بغداد ، وكان له ولع بالهندسة
والموسيقى توفي سنة ٣٠٠ هـ

(٤) المراد مع أي اللاعبين أنت .

وغلَّب عبيدُ الله فقال : يا أبا العيناء ؛ قد غُلِبنا ،
وقد أصابك من النَّدب (١) خمسون رطلاً ثلجاً .
فكن أنتَ في حيلتها . قال : فقام ومضى إلى ابن ثوابة ،
وقال : إن الأمير يدعوك ، فلما دخلا قال : أيَّد اللهُ
الأميرَ ، قد جئتُك بجبل هَمَدان ومَا سَيِّدَان (٢) ،
فُخذُ منه ما شئت .

وقال يوماً لولد حمّاج بن هارون : في أي باب
أنت من النحو ؟ قال : في باب الفاعل والمفعول . فقال :
أنتَ في باب أبويكَ إداً .

ومرَّ على دار عدوِّ له ؛ فقال : ما خبِرُ أبي محمد ؟
فقالوا : كما تحبُّ . قال : فما بالي لا أسمعُ الرنّة
والصَّراخَ ؟ .

ووعده ابنُ المدبِّر (٣) بدآبَّةٍ ، فلما طالبه قال :

(١) ندب : الندب والسبق ما بوضع في الرهان فمن سبق أخذه .

(٢) ماسيدان ، موضع على يمين حلوان في العراق .

(٣) ابن المدبر . هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر ، وزير
من الكتاب المترسلين من أهل بغداد ، استوزره المعتمد سنة ٥٢٦٩ هـ ،
وتوفي سنة ٥٢٧٩ هـ .

أخافُ أنْ أحملَكَ عليه فتقطعني ولا أراك . فقال :
 عِدْني أنْ تضمَّ إليهِ حماراً لأواظبَ مُقتضياً (١)
 ووعدهُ أنْ بحمله على بَعْلٍ ، فلقيةُ في الطريق ؛
 فقال : كيف أصبحت يا أبا العناء ؟ قال : أصبحتُ
 بلا بَعْلٍ ، فضحك من قوله ، وبعثهُ إليهِ .

وحمله بعضهم على دابةٍ ، فاستراها ابنُ الرجلِ
 منهُ بثمنٍ أخَّره . ولقيه بعدَ أيامٍ ؛ فقال : كيف أنتِ
 يا أبا العناء ؟ قال : بخيرٍ يا مَنْ أبوه يحملُ وهو يُرجِلُ .
 وقالت له قَيْنَةٌ (٢) : هَبْ لي خاتمتك أذكركَ
 به . فقال : ادكُري بالمنع .

وقالت له قَيْنَةٌ : أنتِ أيضاً يا أعمى ! فقال لها :
 ما أستعيرُ على وجهك بشيءٍ أصالحُ من العمى .
 وقال له ابنُ السَّكَّيتِ (٣) يوماً : تُراكَ أحطتَ

(١) مطالباً بما وعدت

(٢) القينة الجارية المغنبة .

(٣) ابنُ السَّكَّيتِ : هو يعقوب بن اسحق ، من علماء الفقه واللغة

والشعر والأدب

بما لم أحيطُ به . قال : ما أنكرت ؛ فوالله لقد قال الهدهدُ ،
وهو أخسُّ طائرٍ لسليمانَ : (أحطتُ بما لم
تُحيطُ به) (١) .

وقال : وقُدِّمَ إلى مائدةٍ عليها أبو هفَّان (٢) وأبو
العيناء — فالوذجُ (٣) ، فقال أبو هفَّان : لهذه أحرمن
مكانك في جهنم . فقال أبو العيناء : إن كانت هذه حارَّةً
فبرِّدْها بِشِعْرِكَ .

وقال له صاعدٌ يوماً : ما الذي أخبرَكَ عنا ؟ قال :
بُنَيَّتِي قال : وكيف ؟ قال : قالت : يا أبةُ ، قد
كنتَ تغدو من عندنا فتأتني بالخلعة السريَّة ، والحافظة
السنِّيَّة ، ثم أنت الآن تغدو مُسْدِفاً (٤) ، ورجعُ
مُعْتَمِلاً ، فإلى من ؟ قلت : إلى أبي العلاء ذي الوزارتين .

(١) سورة النمل : ٢٢ .

(٢) أبو هفَّان : هو عبد الله بن أحمد المهزومي ، راوية ، شاعر ،
أديب أخذ عن الأصمعي ، كان منهكاً فقيراً ، وله تصانيف بعضها
مطبوع .

(٣) الفالوذج . نوع من الحلوى

(٤) السدف : الظلمة والليل . وأعم . أبطاً وتأخر .

قالت : أُعْطِيكَ ؟ قلتُ : لا . قالت : أَيُشَفِّعُكَ ؟
قلت : لا ، قالت : أَفِيرْفَعُ مَجْلِسَكَ ؟ قلت : لا .
فقالت : يا أَبَهْ ، ((لِمَ تَعُدُّ مَالًا يَسْمَعُ وَلَا
يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا)) (١) .

وقال له عُبَيْدُ اللَّهِ بن سُلَيْمَانَ (٢) : إِنَّ الْأَخْبَارَ
الْمَذْكُورَةَ فِي السَّخَاءِ وَكَثْرَةِ الْعَطَاءِ أَكْبَرُهَا تَصْنِيفُ
الْوَرَّاقِينَ ، وَأَكَاذِبُهُمْ . قال : وَلِمَ لَا يَكْذِبُونَ عَلَى
الْوَزِيرِ أَيَّدَهُ اللَّهُ .

وقال له مُحَمَّدُ بنُ مُكْرَمٍ (٣) : لَهْمَمْتُ أَنْ أَمْرَ
غُلَامِي بِدَوْسٍ بِطْنِكَ . فقال : الَّذِي تَخْلُفُهُ عَلَى عِيَالِكَ
إِذَا رَكَبْتَ ، أَوِ الَّذِي تَحْمِلُهُ عَلَى ظَهْرِكَ إِذَا نَزَلْتَ ؟
وقال يوماً لِرَجُلٍ سَلَّمَ عَلَيْهِ : مَنْ أَنْتَ ؟ قال :
رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ . قال : ادْنُ مِنِّي عَانِقْسُنِي ، فَمَا
ظَنَنْتُ أَنَّهُ بَقِيَ مِنْ هَذَا النَّسْلِ أَحَدٌ .

(١) سورة مريم : ٤٢

(٢) عُبَيْدُ اللَّهِ بن سُلَيْمَانَ بن وَهْبٍ ، كَاتِبٌ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ ، وَلَدَ

سَنَةِ ٢٢٦ هـ ، اسْتَوَزَرَهُ الْمُعْتَمِدُ وَالْمُعْتَصِدُ وَتُوفِيَ سَنَةَ ٢٨٨ هـ .

(٣) كَانَ مَشْهُورًا فِي بَعْدَادَ بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، تُوفِيَ سَنَةِ ٢٣١ هـ

وقال له أحمد بن سعيد الباهلي : إني أصبت لباهلة فضيلة لا توجد في سائر العرب . قال : وما هي ؟ قال : لا يُصابُ فيهم دَعيٌّ . فقال : لأنه ليس فوقهم من يقبلهم ، ولأدوتهم أحدٌ فينزلون إليه .

وحضره يوماً ابن مكرم فأخذ يؤذيه ، فقال له ابن مكرم : الساعة والله أنصرف . فقال : مارأيت من يتهدد بالعافية غيرك .

وقال له يوماً ما يعرض به : كم عدد المكدين (١) بالبصرة ؟ قال : مثل عدد البغاثين ببغداد .

وقدم ابن مكرم من سفر ، فقال له أبو العيلاء : ما أهديت لي ؟ . قال : قدمت في خُفٍّ . قال : لو قدمت في خُفٍّ لخانتك نفسك .

وقال له ابن مكرم : مذهبي اجمع بين الصلاتين . قال : صدقت ، ولكن تجمع بينهما بالتَّرك .

وقال له ابن بدر (٢) يوماً وهو على بابه : أهذا

(١) المكدين : جمع مكدي ، وهو المتسول السائل الملح .

(٢) هو أحمد بن ندر الشرايبي كانت إليه الشرطة زمن الراضي .

المنزل ؟ قال : نعم ، فإن أردتَ أنْ ترى سوءَ أثرِكَ
فانزِل .

قال له أبو الجُمَّاز : كيف ترى غِنائي ؟ قال :
كما قال الله عزَّ وجل : (إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ
الْحَمِيرِ) (١) .

ودخل إلى المتوكِّل ، فتقدَّم إليه طعام ، فغمسَ أبو
العيناء لقمته في نخلٍ كان حامضاً ، فأكلها وتأذَّى
بالحموضة ، وفطن المتوكِّل فجعل يضحك ، فقال :
لا تلمني يا أمير المؤمنين ، فقد مَحَتِ الإيمان من قلبي .
وقال له السَّدْرِيُّ : أشتبهى أن أرى الشيطانَ .
فقال : انظر في المرأة .

قال أبو العيناء : رأيت محمد بن مكرم يصلي
صلواته كلَّها ركعتين ركعتين ، فقلتُ : يا محمد ،
ما هذا الذي أراك تفعله ؟ قال : عزمتُ وحياتك على الخروج
إلى قُصْمٍ (٢) إلى عند أبي .

(١) سورة لقمان : ١٩ .

(٢) قم : بتشديد الميم مدينة بفارس افتتحها المسلمون سنة ٥٢٣ هـ .

قيل لأبي العيناء : لم اتَّخَذْتَ خادمين أسودين ؟
فقال : أما أسودان فثلاثا أُنْتَهَمَ بهما . وأما خادمان
فثلاثا يُنْتَهَمَانِي .

ونظر إلى رجل قبيح الوجه ، فقال : كأنما خلُقَ
هذا الرجلُ لِيَعْلَمَ الناسُ نعمةَ الله عليهم .

وقدمَ صديقٌ له من بعضِ الأعمال السلطانية ،
فدعاهُ إلى منزله وأطعمه وجعل الرجلُ يكثرُ الكذبَ ،
فالتفت أبو العيناء إلى من كان معه فقال : نحن كما قال
الله تعالى : (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّحْتِ) (١)
وقيل : ابنُ كَيْمٍ أنت ؟ فقال : قبضه ، يعني :
ثلاثاً وتسعين .

وقبل له : كيف حمدُك افلان ؟ فقال : أحمدُه
لِلزُّومِ الزمان ، فأما عن حُسْنِ اختيار فلا .

واعترضه يوماً أحمدُ بن سعيد ، فسَلَّمَ عليه ،
فقال أبو العيناء : من أنت ؟ قال : أحمدُ بن سعيد ،
فقال : إني بك لعارف . ولكن عهدي بصوتك يرتفعُ

(١) سورة المائدة . ٤٢ .

إليّ من أسهل . فماله ينحدر عليّ من علّو ؟ قال :
لأنني راكب . قال : لا إله إلا الله . لعهدي بك وأنت
في طمرين (١) أو أقسمت على الله في رغب لأعضاك
بما تكرّه .

وقال يوماً لعبيد الله بن ساسمان : إلى كم يرفعني
الوزير ، ولا يرفع بي رأساً ؟ .

وقال له يوماً : كيف حالك ؟ فقال : أنت الحال ،
فإذا صلّحت صلّحت .

وقال يوماً لعبيد الله بن يحيى . أيتها الوزير ، قد
برّح بي حُجّاتك ، فقال له : ارفق . فقال : لو رفق
بي فعلمك رفق بك قولي .

وقيل له : لاتعجل ، فإنّ العجاة من الشيطان ،
فقال : لو كان كذلك لما قال موسى عليه السلام :
(وعجلتُ إليك ربّ لترضى) (٢) .

وقال لرجل : والله ما فبك من العقل شيء إلا وفقدار
ما تسجّب به الحجة عليك ، والنار لك .

(١) الطمر . الثوب الخلق السالى

(٢) سورة طه ٨٤ .

قال المتوكل : لولا ذهاب بصر أبي العيناء لأردت
مناذمته ، وبلغه ذلك ، فقال : قولوا له : إنني إن أعفيت
من قراءة نقوش الحواتم ، ورؤية الأهلّة صلحت غير
ذلك . وأنهى ذلك إلى المتوكل فضحك وأمر بمناذمته .

قال أبو العيناء : سمعتُ جاراً لي أحرق وهو يقول
بجارٍ له : والله لخممت أن أوكّل بك مَنْ يصفع
رقبتك ، ويخرج هذه الجفون من أقصى حجرٍ بخراسان .

ودخل إلى ابن مكرم ، فقال له : كيف أنت ؟
قال : كما تحب ، فقال : فلم أنت مُطّاق ؟ (١) .

* * *

وَمِنْ رَسَائِلِ أَبِي الْعَيْنَاءِ وَكَلَامِهِ الْمُسْتَحْسَنِ

كتب إلى أبي الوليد بن دواد : جُعِلْتُ فداك ،
مَسْنَنًا وَأَهْلَنَا الضَّرُّ ، وبِضَاعَتُنَا الْمَوْدَةُ وَالشُّكْرُ ، فَإِنْ
تَعَطْنَا أَكُنْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

أَإِذَا الشَّهَابُ الَّذِي يَحْمِي دِيَارَكُمْ
لَا يَخْشَدُ الدَّهْرَ إِلَّا ضَوْعُهُ يَقِيدُ

(١) مطلق : غير متقلد لشؤون الوزارة .

وإن لم تفعل فلسنا مِمَّنْ يَأْتِيكَ (١) فِي الصَّدَقَاتِ .
(فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا
إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ) (٢) .

قال ابن سكرَّم : مَنْ رَعِمَ أَنْ عَبْدَ الْحَمِيدِ أَكْتَبَ
مِنْ أَبِي الْعِينَاءِ إِذَا أَحْسَنَ بِكَرْمٍ أَوْ شَرَعَ فِي طَمَعٍ فَقَدْ وَهَمَ .
كتب إلى عبيد الله بن سليمان وقد نكبه وأباه المعتمد ،
وهما مطالبان بمال ، يبيعان له ما بما كان من عشار
وأثاث ، وعبد وأمة . وأعطيني بخادم أسود عبيد
الله خمسون ديناراً ، فكتب إليه أبو العيناء :

قد علمت — أطل الله بقائك . أن الكريم المنكوب
أجدى على الأحرار من اللئيم الموفور (٣) . لأن اللئيم
يزيد مع النعمة لؤماً ، ولا تريد محنة الكريم إلا كرمه .
هذا مُتَّكِلٌ على رآزقه . وهذا يسيء الظن بخالقه .
وعبدك إلى ملك كافور فقير ، وتمننه على ما اتصل به

(١) يلمز : يعيب ويغتتاب .

(٢) سورة التوبة : ٥٨ .

(٣) الموفور : الكثير الوفر والمال

يسير ، فإن سمحتَ فتلكَ منك عادتِي ، وإنْ أمرتَ
بأنخذِ ثمنه فمالكَ منه مادّتي . أدام الله لنا دولتكَ ،
واستقبل بالنعمة نكبتك ، وأدام عزّك وكرامتك .
فوهب الخادمَ إليه .

قال أبو العيناء : قال ملكٌ لبنيهِ : صِفُوا لي شهواتِكُم
من النساء . فقال الأكبر : تُعجبُنِي القُدودُ والخُدودُ
والنهودُ . وقال الأوسط : تُعجبُنِي الأطرافُ والأعطافُ
والأردافُ . وقال الأصغرُ : تُعجبُنِي الشعورُ والثغورُ
والنحورُ .

كان بين أبي العيناء وبين إبراهيم بن رباح خلّةٌ
ومودةٌ وصداقةٌ قديمة ، فلما نُكِبَ مع الكتاب في
أول خلافة الواثق (١) أنشأ أبو العيناء كلاماً حكاه عن
بعض الأعراب ، فلما وصلَ إلى الواثق وقرّئ عليه .
قال : واضعُ هذا الكلام ما أراد به غير إبراهيم بن رباح ،
وكان أحدُ أسبابِ الرضا عنه . ونسخةُ الكلام : قال :

(١) في سنة ٢٢٩ هـ حبس الواثق بعض الكتاب ، وألزمهم أموالاً

عظيمة .

لقيتُ أعرابياً من أهلِ البادية ، فقلتُ : ما عندك
من خبرِ البلادِ ؟ قال : قتلَ أرضاً عالىماًها (١) . قلتُ :
فما عندك من خبرِ الخليفةِ ؟ قال : تبجبح في عزّة (٢)
فصربَ بجرانِه (٣) ، وأخذَ الدرهم من مِصره ،
وأرغفَ كلَ قلم خيانتِه (٤) .

قاتُ . فما عندك من خبر ابن أبي دُواد ؟ قال :
عُضِلّة (٥) لا تُطاق ، وجندلّة لا تُرام . يُنتَحى
بالمُدَى لسحره فتحور (٦) ، وتُنصبُ له الحبائلُ حتى
يهول : الآن ، ثم يَضُسرُ (٧) صِبْرَةَ الذئب ، ويتملّسُ

(١) كناية عن الخبره بما سئل عنه

(٢) تبجبح : توسط ، كناية عن السكن

(٣) الحران في الأصل باطن العنق ، وقل . مقدم العنق من
مذبح البعير .

(٤) أرغف الإباء ماله حتى سال

(٥) العضلة . الشديد الداهية والخذلة الحجر ، أو ما يجتمع في
النهر من حجارة تمتع الملاحة .

(٦) يحور . ترحح .

(٧) يضبر : يئب ، وأصلها نوع من سير الفرس

تَمَلَّسَ الضَّبَّ ، والخليفةُ يحتو (١) عليه ، والعراق (٢)
يأخذُ بضَبْعَيْهِ .

قلتُ : فما عندك من خبرِ عُمَرَ بنِ فَرَج (٣)؟
فقال : ضُخَامٌ حِضْبَجْرٌ (٤) وغَضُوبٌ هِزْبَرٌ ، قد
أهدَفَه القومُ لبغيِّهم ، وانتَضَوْا له عن قِيسِيَّتهم
وأحسَرُوه بمثلِ مصرعٍ من يُصرعُ منهم ! .

قلتُ : فما عندك من خبرِ ابنِ الزيات ؟ قال : ذاك
رجلٌ وسَّعَ الوريَّ بِشَرِّه ، وبطنَ بالأُمُورِ خَبْرَهُ .
فله في كلِّ يومٍ صرَّيحٌ لا تَظْهَرُ فيه آثارُ مِخْلَابٍ ولا نابٍ ،
إلا بتسديدِ الرَّأي .

قلتُ : فما عندك من خبرِ إبراهيم بنِ رباح ؟ قال :
ذاك رجلٌ "أَوْبَقَّه كَرَمُهُ ، وإنْ يَفْزُ لِلْكَرَامِ قِدْحٌ (٥) .

(١) الحتو : العدو الشديد .

(٢) الضبع : العضد .

(٣) عمر بن فرج حبيسه المتوكل ، وكان أحد من حبسهم الواثق
من الكتاب .

(٤) الضخام : العظيم من كل شيء ، وقيل العظيم الجرم ، الكثير
اللحم ، والحضجر : العظيم البطن .

(٥) القدح : السهم .

فأحرى بمنجاته ، ومعه دُعاءٌ لا يخذله ، وفوقه خليفةٌ
لا يظلمه .

قلت : فما عندك من خبر نجاح بن سلامة ؟ قال :
لادره من خافضٍ أوتادٍ ، يقد كآزته هب نارٍ ، له
في الفينة بعد الفينة جلسة عند الخليفة كحسوة
طائر ، أو كخائسة سارق ، يقوم عنها . وقد أفاد
نعماً ، وأوقع نيقماً .

قلت : فما عندك من خبر الفضل بن مروان ؟ قال :
ذاك رجلٌ حشير بعد ما قبير . فله نشرة الأحياء .
وفيه خفوت الموتى .

قلت : فما عندك من خبر أبي الوزير (١) فقال :
إنحاله كبش الزنادقة . ألا ترى أن الخليفة إذا أهمله
نخضم (٢) فرتع . حتى إذا أمر بنفضه أمطر فأمرع .

قلت : فما عندك من خبر أحمد بن الحبيب ؟

(١) أبو الوزير . وزير المتوكل

(٢) النخسم الأكل بالفم كله .

فَقَالَ : أَحْمَدُ أَكَلَ إِكْلَةً نَهَمَ ؛ فَأَخْلَفَ خِلَافَةً
بَشَمَ (١) .

قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ الْمُعَلَّى بْنِ أَيُّوبَ ؟ قَالَ :
ذَلِكَ رَجُلٌ قَدَّ مِنْ صَخْرَةٍ ، فَصَبَرَهُ صَبْرُهَا ، وَمَسَّهُ
مَسُّهَا .

قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ :
كَتَمُوا غُرُورًا ، وَجَعَلُوا صَبُورًا ، لَهُ جِلْدٌ نَمِيرٌ ، كَأَنَّمَا
قَدُّوا لَهُ إِهَابًا أَنْشَأَ اللَّهُ لَهُ إِهَابًا (٢) .

قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَعْنُوبَ ؟ قَالَ :
(أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (٣)

قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ سَلِيمَانَ بْنِ وَهَبٍ ؟ فَقَالَ :
ذَلِكَ رَجُلٌ اتَّخَذَهُ السُّلْطَانُ أَخًا ، فَاتَّخَذَتْهُ نَفْسُهُ
لِلْإِسْطَانِ عِبْدًا .

(١) بَشَمَ : بِالْغِ فِي الطَّعَامِ حَتَّى التَّخْمَةِ

(٢) الْإِهَابُ : حِلْدُ الْحَيَوَانِ قَبْلَ دَبْغِهِ

(٣) سُورَةُ النَّحْلِ : ٢١ .

قلتُ : فما عندك من خير أخيه الحسن ؟ : فقال
 هناك ما استنوقتُ (١) مسألتك ! ذاك حرمةٌ حُبِستُ
 تحريرهِ المجرم . لبس في القوم في نخلٍ ولا خمرٍ ،
 هيئات .

كُتِبَ الحسنُ والخراجُ عليهم
 و سائرُ المحصناتِ جرَّ الذُّيُولِ (٢)

(١) مأخوذ من المثل : « استنوق الحمل » . إذا ضعب أمره .

(٢) مأخوذ من بيت عمر بن أبي ربيعة

كتب القبل والقنال علينا وعلى المحصنات جر الذُّيُول

الباب السابع

نوار مزبد

أخذه بعضُ الولاة وقد اتَّهَمَهُ بالشُّرب ،
فاستنكَّه (٢) ، فلم يجد منه رائحةً ، فقال : قَيِّئُوهُ .
قال : من يضمنُ عَشَائِي أصابعك الله ؟ .

قيل له مرة - وقد أفحش في كلامه - : أمِّلِ على
كَاتِبِيَّاتِكَ (٣) خَيْرًا . قال : أكرهُ أنْ أَخِاطَ نعالِيهما .
وَادَّعَى رجل عليه شيئاً . وفدَّته إلى القاضي .
فأنكره ، وسألهُ إقامة البَيتِنة ؛ فقال : ليس لي بيتةٌ .
قال : فاستحلفهُ لأي ؟ قال : وَمَا يَمْنُ مَزْبَدٌ أصابعك الله ؟

(١) مزبد المدني كان يضرب به المثل في الهرل والدعابة .

(٢) استنكَّه : شم أي : رائحته

(٣) المراد : الملكان الكانبان .

فقال مُزَبَّدٌ : ابعت ، أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، إلى ابن أبي ذئب (١)
فاستخلفه له .

وتناولَ رجلٌ من لحيته شيئاً ، فسكتَ عنه ، وكانَ
الرجلُ قبحَ الوجه ، فقال : ويحك لم لا تدعولي ؟ فقال :
كرهتُ أن أقولَ صرَفَ الله عنكَ السوءَ فتبقى بلا وجه .

وقيل له : أيسرك أن هذه الحبَّة لك ؟ قال : نعم ،
وأضربُ عشرين سوطاً . قيل : ولم تقول ذلك ؟ قال :
لأنَّه لا يكونُ شيءٌ إلا بشيءٍ .

وأَتاه أصحابُ له يوماً ، فقالوا له : يا أبا إسحاق ؛
هل لك في الخروج بنا إلى العَفِيقِ (٢) ، وإلى قُبَاءِ (٣) ،
وإلى أحدِ ناحيةِ قبورِ الشهداء ؛ فإن يومَنا كما ترى
يوم طيِّب . قال : اليومُ يوم الأَرْبَعاءِ ولستُ أبرحُ من

(١) ابن أبي ذئب من الصالحين .

(٢) العقيق . يطلق على كثير من المواضع ، والمراد هنا عقيق
المدينة ، بجانبها ، فيه عيون ونخل .

(٣) قباء ، في طرف المدينة ، يقصر ويمد ، بها مساكن بعض الأنصار
ومسجد قباء المشهور

متزلي . قالوا : وما تكره ؟ . يومُ الأربعاءِ فيهِ وليدِ
يونسُ بنِ متى عليه السلام . قال : بأبي وأمي أنتم فقد
التقممهُ الحوتُ . قالوا : فخير اليوم الذي نُصيرَ فيه النبي
عليه السلام يومَ الأحزاب . قال : أجل . ولكن بعدَ
إذْ زَاغَتِ الأبصارُ ، وباغَتِ القلوبُ الحناجرُ . وظنُّوا
بالله الظنونَ .

استأذن مُزَبَّدٌ على بعضِ البخلاء وقد أهدى له
تينٌ في أولِ أَوَانِهِ ، فلما أحسَّ بدخوله تناول الطبقَ .
فوضعه تحت السرير ، وبقيت يده معلقة ، ثم قال لمزبَّد :
ما جاء بك في هذا الوقت ؟ قال : يا سيدي ، مررت السَّاعةَ
ببابِ فلان ، فسمعتُ جاريته تقرأُ لحناً ما سمعتُ قطُّ
أحسنَ منه ، فليمنَّا عامتُ من شدةِ محبَّتِكَ للقرآن ،
وسماعِكَ للألحان ، حفِظتُهُ ، وجئتُ لأقرأه . عليك .
قال : فهاتيه . فقال : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ((والزيتون))
وطُورِ سِينِينَ . (((٣) فقال : ويالك ! أين التين ؟ قال :
تحت السرير ! ! .

(١) سورة التين : ٢ و ١ .

احتاج مزبّد أن يبيع جُبته لسوء حاله ، فنّادى
عليها المنادى . فلم يطالب بشيء ؛ فقال : مزبّد : ما كنتُ
أعلمُ أني كنتُ عُرْباناً إلى الساعة .

ونظر يرمأ إلى امرأته تصعد في درجة ، فقال :
أنتِ الطلاق إن صعدتِ ، وأنتِ الطلاق إن وقفتِ ،
وأنتِ الطلاق إن نزلتِ . فرمت بنفسها من حيث بلغت .
فقال لها : فداك أبي وأمي ! إن مات مالكُ احتاجَ إليك
أهلُ المدينة في أحكامهم .

وقالت امرأةُ مزبّد - وكانت حبلى - ونظرتُ
إلى فُبيع وجهه - - . الويلُ لي إن كان الذي في بطني
يُشبهك ، فقال لها : الويلُ لي إن كان الذي في بطني
لا يشبهني .

دفع مرّةً إلى والي مكة ، وقد أفطر في شهر رمضان ؛
فقال له الوالي : يا عدوّ الله ؛ تُفطّر في شهر رمضان !
قال : أنتِ أمّرتني بذلك . قال : هذا شرٌّ ، كيف
أمّرتك ؟ وبالك . قال : حدّثت عن ابن عباس :

أنه من صام يوم عرفة عدل صومه سنة ، وقد صمته .
فضحك الوالي وختلاه

واعتلّ عاه ، وأشرف منها إلى الهلاك ، وأراد أن
يوصي ، فدعا بعض أوليائه ، وأوصى إليه ، وكتب كتاب
وصيته ، وأمر للوصي بشيء ؛ فلما فرغ من الكتابة
رآه مذبذباً وهو يتربّ الكتاب ؛ فقال وهو على تلك
الحال : نعم يا سيدي ، فهو أقضى للحاجة (١) .
ونظر إلى قوم مكتفين يذهب بهم إلى السجن ،
فقال : ما قصة هؤلاء ؟ قالوا : خير . قال : إن كان
خيراً فاكثفوني معهم .

* * *

(١) أشار إلى الحديث الشريف . « إذا كتب أحدكم فليزب فإنه
أنجح » .

الباب الثامن

نوار أبي الحارث حمين^(١)

قيل له : ماتقولُ في فالوذجة ؟ قال والله لو أنَّ موسى لَقَسِيَّ فرعونَ بفالوذجةٍ لآمنَ ، ولكنه لقسه بعَصَا .

وقيل له يوماً : ماتشتهي ؟ فقال : نَشِيشَ مِقْلَاةٍ بين غليانِ قِدرٍ على رائحةٍ شِوَاء .

وكان لا يأكل الباذنجانَ ، فكأيده محمدُ بنُ يحيى واتخذَ ألوانه كلَّها بباذنجان ، فجعل كلما قُدَّمَ لونُ فرابه الباذنجانُ فيه توقَّاه ، وأقبل على الخبز والملح ، فلما عطش قال : يا غلامُ ، اسقني ماءً ليس فيه باذنجان .

وكتب يوماً إلى صديق له : أوصبك بتقوى الله ، إلاَّ أن تَرَى غيرَ ذلك خيراً منه .

(١) أبو الحارث حمين ، أحد المشهورين بالنوادر والمزاح .

وقيل له : سبقتَ بيرذونك هذا قط ؟ قال : بلى ،
مرة . دخلنا زقاقاً لا منفذَ له وكنتُ آخرَ القوم ، فلما
رجعنا كنتُ أولَ الموكب .

ودخل جماعة من إخوانِهِ . فاشتَهوا عليه لونا
يطبخهُ لهم ، فدنا أحدُهُم من القدرِ ليدوقَهَا ، وأخرج
قطعة لحم وأكلَهَا ، وفعل كلُّ واحدٍ منهم كذلك ،
فقال أحدهم : هي طيبةٌ لكنها تحتاج إلى شيءٍ لأدري
ماهو ؟ فقال أبو الحارثِ : أنا أعلمُ . هو ذا تحتاج
إلى اللحم .

وحكى دِعبِلُ قال : بلغني أنَّ أبا الحارثِ قد
فُلج ، فاغتممتُ لظرفه وملاحته . فصيرتُ إليه فوجدتهُ
في عافية . فحمدتُ الله وسألتُهُ عن خبره ؟ فقال :
دخلتُ الحمامَ وأكلتُ السمك ، ودعوتُ المزيّنَ فأخذ
شعري ، فظنُّ الفالِجُ لما رأى المزيّنَ عندي أنَّي احتجّمتُ ،
فلما علمَ أنه أخذَ من شعري تركني وانصرف .

ونظر يوماً إلى بيرذون يُستقي عليه ، فقال :

« وَمَا المرءُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ »

لو أن هذا همّلتج ما كان هذا (١) .

وأكل يوماً مع الرؤساء بيضاً مسلوقاً ، فجعل يأكل
الصفرة ، وينحّي البياض إلى بين يدي أبي الحارث
عبثاً به ، فقال لما طال ذلك عليه - وتنفس الصعداء - :
سقى الله روح العجّة فما أعدّ لهما .

ودخل إلى بعض أصدقائه يوماً ، فقال له : ماتتشي ؟
قال ، أما اليوم فمأء حصرم ، وأما غدا فمهريسة .
قال بعضهم : دخلت على جمّين أعوده من مرض به ،
فقلت له : ما تشتهي ؟ فقال : أعين الرقباء ، وألسن
الوشاة ، وأكباد الحساد .

قل لجمّين - وقد رأى سوداء قبيحة - : ابتلاك
الله بحبّها ، قال : يا بغض ، لو ابتلاني بحبها كانت
عندي من الحور العين ، ولكن ابتلاك الله بأن تكون
في بيتك وأنت تبغضها .

وقال له الرشيد : اللوزينج أطيب أم الفالودج ؟

(١) هلع . أسرع في سبره .

قال : أحضِرْهُمَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَحْضَرَا ، فَجَعَلَ
يَأْكُلُ مِنْ هَذَا وَهَذَا ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَلِمَا
أَرَدْتُ أَنْ أَشْهَدَ لِأَحَدِهِمَا غَمَزَنِي الْآخَرُ بِحَاجِبِهِ .

قال بَصْرِيٌّ لَجَمِينٍ : يَأْتِينَا الْمَدُّ وَالْجَزْرُ فِي كُلِّ
يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ . قَالَ : يَسْتَأْذِنُ اللَّهُ فِي هَلَاكِكُمْ مَرَّتَيْنِ ،
وَكَأَنَّ قَدِيرًا .

وَدَعَتْهُ امْرَأَةٌ كَانَتْ يَحِبُّهَا ، فَجَعَلَتْ تَحَادِثُهُ وَلَا تَذْكُرُ
الطَّعَامَ ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ بِهِ قَالَ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ،
لَا أَسْمَعُ لِلْغَدَاءِ دِكْرًا . قَالَتْ لَهُ : أَمَا تَسْتَحْيِي ! أَمَا فِي
وَجْهِهِ مَا يَشْغَلُكَ عَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ،
لَوْ أَنَّ جَمِيلًا وَبُشَيْنَةً قَعَدَا سَاعَةً لَا يَأْكُلَانِ شَيْئًا لَبَزَقَ (١)
كُلُّهُمَا فِي وَجْهِ صَاحِبِهِ .

* * *

(١) بزق . بصق

الباب التاسع

نوادراجماز (١)

قال الجمّازُ لأبي شُرّاعة (٢) : كيف تجدُك ؟
قال : أجدني وقيّدا (٣) من دماميل قد ظهرت في أقبحِ
المَوَاضِع . قال : ما أرى في وجهك منها شيئاً .

قال بعضُ إخوان الجمّاز — وقد دخل إليه وهو
يطبخُ قِيدراً .. : لا إله إلا الله ما أعجب الرّزق ! فقال
الجمّاز : أعجبُ منه الحرمان . امرأته طالق إن ذُقْتها .

(١) أبو عبد الله محمد بن عمرو الجمّاز ، بصري خبيث اللسان ماجن
وهو ابن أخي سلم بن عمرو الخاسر الشاعر ، كان الجمّاز شاعراً صاحباً ،
مقطعات ، توفي سنة ٢٥٠ هـ في أيام المتوكل .

(٢) هو أحمد بن محمد بن شرّاعة ، شاعر بصري جزيل اللفظ ،
مات في أيام المتوكل

(٣) الوقيد المريعن المشرف على الموت .

وقال له السهريّ : وُلِدَ لي البارحة ابنٌ " كأنه الدينار
المنقوش . فقال الحمّاز : لآعينُ أمّه (١)

صاّي رجلٌ صلاةً خفيفة . فقال له الحمّاز : لو
رآك العجاج (٢) لُسّر بك . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنّ
صلّاتك رجز .

رأى رجلٌ الهلالَ فاستحسنه ، فقال له الحمّاز :
وما تستحسنُ منه ؟ فوالله إنّ فيه لخصالاً لو كانت
إحداهنّ في الحمار لردّ بها ، قال : وما هي ؟ قال : إنه
يدخل الروازن (٣) ، ويمنعُ من الدبيب ، ويدلُّ على
الصوص ، ويسخن من الماء ، ويخرق الكتّان ، ويورث
الزكام ، ويحل الدين ، ويزهيم اللحم .

كان المتوكل يُحدّث عن الحمّاز ، فكتبَ في
حمّليه ، فلما دخل عليه لم يقع الموقع الذي ظنّه ، فقال

(١) لآعن الرجل زوجته إذا قدمها بالزبي .

(٢) عبد الله بن رَوْح العجاج ساعر اشتهر بالرجز .

(٣) الروازن : الكوى .

المتوكل . تكلم فإني أريد أن استبرئ^(١) . فقال الحمّاز :
بحيضةٍ أو بحيضتين ، فضحكت الجماعة .

وقال له الصّح : قد كاتمتُ أميرَ المؤمنين فيكَ حتى
ولاكَ جزيرة القروءِ ، فقال له الحمّاز : أفَلَسْتُ في
السمع والطاعةِ أصلحك الله ؟ فحُصِرَ الفتحُ وسكتَ .

فقال له بعضُ مَنْ حضر : إنّ أميرَ المؤمنين يريد
أن يهبَ لك جاريةً . فقال : ليس مثلي مَنْ غرّم نفسه ،
ولا كذبَ عندَ أمير المؤمنين . إن أرادني أن أقودَ عليها ،
وإلاّ فمالها عندي شيء ، فأمر له المتوكل بعشرة آلاف
درهم ، وأخذها وانحدر ، فمات فرحاً .

* * *

(١) من معاني استبرأ : إن الرجل لا يعطى امرأته إذا كانت متزوجة
قبله ، أو منه حتى تحيض .

الباب العاشر

نوادير المجانين

قال مجنونٌ — ولقي الناسَ منصرفين من الجمعة — :
أيها الناس : (إنِّي رسولُ الله إليكم جميعاً) (١) .
فقال له مجنونٌ آخر . (ولا تعجلُ بِالقُرْآنِ
أن يُقضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ) (٢) .

ومرَّ موسى بن أبي الروقاء ، فناداه صَبَّاحُ الموسوس :
يا بنَ أبي الروقاء أَسَمَنْتَ بِرِذْوَنِكَ ، وَهَزَلْتَ دِينَكَ (٣) .
أما والله إنَّ أَمَامَكَ لَعَقْبَةٌ لَا يَجُوزُهَا إِلَّا الْمُخِيفُ . فَحَبَسَ
موسى بِرِذْوَنِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : هَذَا صَبَّاحُ الموسوس . قال :
ما هو بِموسوس ؟ .

(١) سورة الأعراف : ١٥٨ .

(٢) سورة طه . ١١٤

(٣) هزل لازم ومتعد .

وقف رجلٌ على بُهلُول ، فقال له : تعرفُني ؟
فقال بُهلُول : إيَّ واللهِ ، وأنسِبُكَ نسبةَ الكمأة ،
لا أصلٌ ثابتٌ ، ولا فرعٌ ثابتٌ .

ودعا الرشيدُ بُهلُولاً ليضحكَ منه ، فلما دخلَ دعاهُ
له بمائدةٍ فقُدِّمَ عليها خبزٌ وحُدَّه ، فولى بُهلُولٌ
هارباً ، فقال له : إلى أين ؟ . قال : أجيئُكم يومَ الأضحى ،
فمسي أن يكون عندكم لحمٌ .

أخرجَ بلال بن أبي بُردة (١) من حبسه مجنوناً
يمازحه ، فقال له : أتدري لم أخرجتك ؟ قال : لا .
قال : لأسخر منك . قال : إنَّ المسلمينَ حكَّمُوا
حكَمَيْنِ فسخر أحدهما بالآخر .

قال المُبرِّد : دخلتُ يوماً دَيْرَ هِرَاقِيلَ ، فرأيتُ
في صحنِ الدارِ مجنوناً ، فدلَّعتُ لِسَانِي (٢) في وجهه ،
فنظر إلى السماء ، وقال : الحمدُ والشكرُ مَنْ حلَّوا
ومن ربطُوا .

(١) بلال بن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري ، أمير البصرة
وقاضيه .

(٢) دلع لسانه : أخرجه .

قال بعضهم : رأيتُ بحمصٍ مجنوناً يقول :
يا قوم ، مَنْ يتعلمُ : « لأدري » ؟ يا هذا ، تعلم :
« لأدري » ، فإنَّك إذا قلتَ : « لأدري » علموك حتى
تدري وإذا قلتَ : « أدري » سألوكم حتى لا تدري .
وجاء مجنونٌ فوقفَ عند شجرة ملساء ، فقال :
مَنْ يعطيني نصفَ درهم حتى أصعد ؟ فعجبَ الناسُ
وأعطوه ، فأحرزه ، ثم قال : هاتُوا سلماً . قالوا :
ما كان السلم في الشرط . قال : وكانَ بلا سلم في الشرط ؟ .
ووقف بهلول على رَجُل ، وقال : خبرني عن
قول الشاعر :

* وإذا نَبَا بكَ منزلٌ فتحولَ *

كيفَ هو عندك ؟ قال : جيدٌ . قال : فإن كنتَ
في الحبس فكيف تتحول ؟ . قال : فانقطع الرجلُ ،
فقال بهلول : الصوابُ قولُ غيره :

إذا كُنتَ في دارٍ يسوءُكَ أهلُها

ولم تَكُ مَكبُولاً بها فتحولَ

أصيب إسحاقُ بنُ محمدٍ بنِ الصَّحَّاح الكندي بابنِ

له ، فجزع ، فدخل أهل الكوفة يعزونه ، ودخل فيهم
بسهول ، فقال : أيسرك أنه بقي وأنه مثلي ؟ . قال :
لا والله ، وإنها تعزية ! .

هرب مجنون من الصبيان ، ودخل دهليزا ، وأغلق
الباب في وجوههم وجلس ، فخرج إليه صاحب الدار ،
فقال : ليم دخات داري ؟ . قال : من أيدي هؤلاء
أولاد الزنّي . فدخل صاحب الدار ، وأخرج طبقاً عليه
رطب كثير ، فجلس المجنون يأكل ، والصبيان يصيحون
على الباب ، فأخرج المجنون رأسه إلى صاحب الدار ،
فقال : باب بباطنه فيه الرحمة وظاهره من قبليه
العذاب .

قيل لمجنون كان بالبصرة : عدّ لنا مجانين البصرة .
قال : كلفتموني شططاً ، أنا على عدّ عقلائهم أقدر .
قال الفزاري : رأيت مجنوناً يسوّي رأس سكران ،
ويقول له : يؤيؤ (١) ، والله لا أفلحت أبداً .

شدّ مجنون على رجل بالبصرة ، فأخذه الرجل

(١) المؤيؤ : طائر صغير أصفر اللون يضرب إلى الزرقة .

فَضْرِبْهُ . فَقَالَ النَّاسُ : إِنَّهُ مَجْنُونٌ ، وَجَعَلَ الْمَجْنُونُ يَقُولُ
مِنْ تَحْتِهِ : وَيَحْكُمُ أَفْهَمُوهُ .

وَجَازَ بِهِ لَوْلَ بِسُوقِ الْبَزَّازِينَ ، فَرَأَى قَوْمًا مُسْتَجْمِعِينَ
عَلَى بَابِ دُكَّانٍ يَنْظُرُونَ إِلَى نَقَبٍ قَدْ نُقِبَ عَلَى بَعْضِهِمْ ،
فَاطَّلَعَ نَبِيُّ النَّقَبِ ، ثُمَّ قَالَ : وَكَلِّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذَا مِنْ
عَمَلِ مَنْ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَإِنِّي أَعْلَمُ . فَقَالَ النَّاسُ :
هَذَا مَجْنُونٌ يَرَاهُمْ بِاللَّيْلِ وَلَا يَتَحَاشَوْنَهُ ، فَأَنْعِمُوا لَهُ
الْقَوْلَ لَعَلَّهُ يَخْبِرُ بِذَلِكَ . فَسَأَلُوهُ أَنْ يَخْبِرَهُمْ . فَقَالَ : إِنِّي
جَائِعٌ ، فَهَاتُوا أَرْبَعَةَ أَرْطَالٍ رَقَاقٍ وَرَأْسَيْنِ ، فَأَحْضَرُوا
ذَلِكَ وَأَكَلَ ، فَلَمَّا اسْتَوْفَى قَالَ : هُوَذَا أَشْتَهِي شَيْئًا حُلُوا ،
فَأَحْضَرُوا لَهُ رَطْلَيْنِ فَالَوْدَجَ فَأَكَلَهُ . وَفَرَّغَ مِنْهُ وَقَامَ
وَتَأَمَّلَ النَّقَبُ ، تَمَّ قَالَ : كَأَنَّكُمْ السَّاعَةَ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ هَذَا
مِنْ عَمَلِ مَنْ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : هَذَا مِنْ عَمَلِ اللَّصُوفِ
لَا شَكَّ . وَعَدَا .

جَاءَتْ امْرَأَةٌ دَتْدَانُ الْمَجْنُونِ إِلَى الْقَاضِي ، فَقَالَتْ .
أَصَابَكَ اللَّهُ ، إِنَّهُ يُجِيعُنِي وَيُضْرِبُنِي ! قَالَ الْقَاضِي .

ما تقول ؟ . قال دندان : أما الضربُ فنعم ، وأما
الجوعُ فهي طالقٌ ثلاثاً إن لم تجيء معي إلى منزلي
مع أصحابك أيها القاضي . فقال لأصحابه : قوموا بنا
لا يتحسنت . فقام القاضي ، وذهب معه ، فلما دخل جاء
به إلى منزلة فيها رجيعٌ (١) عظيم ، فقال : أصلحك
الله . هذا يخرجُ من بطن جائعٍ ٢ . قال : أنزلك الله ،
فإنك أحق . قال : أحقُّ مني من أطاع المجانين .

كان بهلول يوماً جالساً والصبيان يؤذونه وهو
يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله . يُعيدهُ مِراراً ، فلما
طال أذاهم له أخذَ عصاه وقال : حمي الوطيسُ .
وطابت الحربُ ، وأنا على بيّنةٍ من ربّي . ثم حمل
عليهم وهو يقول :

أشدّ على الكتيبةِ لا أبالي

أفيها كان حتفي أم سيواها (٢) .

(١) الرجيع : الروث .

(٢) البيت للعباس بن مرداس .

فتساقط الصبيانُ بعضُهم على بعض ، وتهاربُوا ،
فقال : هُزِمَ القوم وولَّوا الدبر . أمرنا أمير المؤمنين —
رضي الله عنه — ألاَّ نتبعَ مُولِّيًّا ، ولا نُدَفِّفَ (١) على
جريح ، تم رجع وجلس وطرح عصاه ، وقال :

فألقتُ عصاهُ واستقرَّ بيها النّوى
كما قرّعينساً بالإياب المُسافرُ (٢)

* * *

(١) دَفَفَ على الجريح : أحجز عليه .
(٢) ألق المُسافرُ عصاه : بلغ موضعه واستقر به

الباب الحادي عشر

نوار البخلاء

قال بعضهم لبخيل . لم لا تدعوني يوماً ؟ . قال .
لأنك جيّد المَضْغِ ، سريع البَلْعِ ، إذا أكلت لُقْمَةً
هَبَّتْ أُخْرَى . قال : فتريدُ مني إذا أكلتُ لُقْمَةً أن
أصِلِّي رَكْعَتَيْنِ ، ثم أعودُ إلى الثانية ؟ .

دخل واحدٌ إلى بعضهم وهو يأكل ، ومعه آخر ؛
فقال للدّاخِلِ : تعالَ كُلْ . قال : قد تَغَدَّيْتُ .
فقال : هذا أيضاً رعم أنه تغدّي .

ودخل آخرٌ تلى بعضهم وبين يديه طبقٌ عليه ثين ؛
فلما أحسَّ بالدّاخِلِ غَطَّى الطَّبْقَ بِذَيْلِهِ ، وأدخَلَ
رأسه في جيبه ، وقال للدّاخِلِ : كُنْ أنتَ في الحَجْرَةِ
الأُخْرَى حتّى أفرِّغَ من بخوري

أكل ابن المدر يوماً عند ابن الفيّاص (١) ، فقدّمت
جُودابة (٢) في نهاية الجوده ، وأمعن ابن المدر شيها .
فلم يصبر ابن الفيّاص حتى قال له : أليس رعت
أنك لست صاحب جُوداب .

وقال بعض المبخّلين لرجلٍ على مائدته : اكسير
ذلك الرّغيف . فقال : دعه يبتلى به عيري .

دعا بخل " قوماً ، واتّخذ لهم طعاماً . فلما جلسوا
يأكلون وهو قائم يخذلهم ، وأمعنوا في الأكل جعل
صاحب البيت يتلو فيما بينه وبين نفسه . (وَجَزَّاهُمْ
سَمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيْرًا) (٣)

وكان جمعهم بن سلمان بحيلاً على الطعام ، فرفعت
المائدة من بين يديه وعليها دحاجة ، فوثب عليها بعض
بنيه وأكل منها ، وأعيدت عليه من غدٍ ، فلما رآها
وقد أكل منها شيء . قال : من هذا الذي تعاطى فعقر (٤)

(١) علي بن محمد الفياض ، كاتب

(٢) الجوداب : طعام يتخذ من اللحم والرر والسكر والبدق .

(٣) سورة الإنسان ١٢٠

(٤) إشارة إلى الآية : (فادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) سورة التمر . ٢٩ .

قالوا : ابنُكَ فلان . فمقطع أرزاقَ بنيهِ كلَّهم ، فلما طال عليهم قال بعضُهم : أتهلكُنا بما فعل السفهاء منا (١) ، فأمر برَّد نِصفِ أرزاقهم .

وقف واحدٌ على الحُطَيْيئة استقرَّ به (٢) فسمع . فقال : إنَّ الرَّمْضَاءَ قد أحرقت قدمي . قال : بلى ، عليهما تبردا قال : وما عندك عبرٌ هذا ؟ . قال : بلى ، هراوةٌ من أرزن (٣) معجَّرة . قال : إي ضيف . قال : للضيفان أعددتُها .

قال أبو الأسود الدؤلي - وكان بَحِيلاً - : أو أطعنا المساكين في أموالنا كُنَّا أسوأ حالاً منهم .

قال الجاحظ : حدثني بعضُ أصحابنا قال : كما منطلقين إلى رجلٍ من كبارِ أهل العسكر . وقد كان لِسُنَّا عنده يطولُ ، فقال له بعضُنا : إن رأيتَ أن تجعل

(١) إشارة إلى الآية : (أهلكنا بما فعل السفهاء منا) سورة الأعراف : ١٥٥ .

(٢) يستقرُّه . يطلب منه القرى ، وهو طعام الضيف .

(٣) الأرزن : شجر صلب والحشبة العجراة التي بها عقد .

أنا أماره إذا طَهَرْتُ خَفَّتْ مِنَّا ، ولم نُشْعِيك بالقمعود .
 وقد قال أصحابُ معاويةَ مثلَ الذي قلنا لك ؛ فقال :
 أماره ذلك إذا قلتُ : إذا شتُم . وقال أصحابُ يزيدَ
 مثلَ ذلك . فقال : إذا قلتُ : على بركةِ الله ، وقيل
 لعبدِ الملك ؛ فقال : إذا ألقيتُ الحَيِّزُوراةَ من يدي ،
 فأَيُّ شيءٍ تجعلُ لنا أصاحك الله ؟ فقال : إذا قلتُ :
 يا غلام ، الغداء .

قال جُحُظَّةُ (١) : دخلتُ وأنا في بقايا عيلةٍ
 على كاتب ، فقدم إلينا مَضِيرَةٌ ، فأُمعنتُ فيها ، فقال :
 جُعِلْتُ فداك ، أنتَ عليلٌ ، وبدنك نحيلٌ ، واللبن
 يستحيل ، فقامت : والعظيمُ الجليل لا تركتُ منها كثيراً
 ولا قليلاً ، وحسبنا الله ونِعْمَ الوكيلُ .

حُفَيْنَ عُمَرُ بنُ يزيدَ الأسدي (٢) بحُقْنَةٍ فيها
 دُهْنٌ ؛ فلما حَرَّكَهُ بطنه كرهَ أن يذهبَ الدهنُ

(١) حُظَّة . هو أحمد بن حمير بن موسى البرمكي ، لقب بحُظَّة
 لمحوط عينيه ، أديب ، وشاعر ، وديم ، ولد سنة ٨٢٢٤ ، وتوفي
 سنة ٨٣٢٤ .

(٢) هو عمر بن بريد الأسدي ، أحد الشعان المقدمين في حكم بني
 مروان .

صياعاً ، فدعا بطست وجلس عليه . ثم قال : صنفوا هذا الدهن فإنه يصلح للسراج .

وأوصى بعضهم ابنه : فقال : كن مع الناس كلاعيب الشطرنج يحفظ شئته .

كان بالكوفة رجل من المصلحين — وهذا لقب المتقدمين منهم في اللؤم — فبلغه أن بالبصرة رجلاً من المصلحين مقدماً في شأنه ، فقام الكوفي ، وصار إلى البصرة ليلقي صاحبه . فلما قدم عليه قال له : من أنت ؟ قال : أنا مصلح من أهل الكوفة ، وقد بلغني خبرك ، فرحبت به ، وأدخله البيت وأجلسته ، وأخذ قطعة ومر ليشتري له شيئاً يأكله ، فلما خرج إلى السوق دنا من البقال ، فقال : عندك خبز ؟ فقال : عندي خبز كأنه السمن فقال المصلح في نفسه : ليم لا أشتري ما نعت به ؟ فذهب إلى آخر ، وقال : أعندك سمن ؟ فقال : عندي سمن كأنه الزيت فقال في نفسه : أذهب فأخذ ما نعت به ، فذهب إلى بقال آخر ، فقال : عندك زيت ؟ قال : عندي زيت كأنه الماء . فقال في نفسه : عندي والله راوية ماء . فرجع إلى البيت ، وأخذ الماء

في غَضَارَةِ (١) وفدمه إلى الكوفي وقال : كُلْ هذا ،
فإنه نَعْتُ النِّعَتِ ، فقال الكوفي : أنا أشهدُ أنكم أحذقُ
بالإصلاح منّا بِألفِ دَرَجَةٍ .

قال بعضهم : بَيْتٌ عند رجلٍ من أهل الكوفة .
وهو من المؤسرين المعروفين بحُسنِ الحال ، وله
صبيانٌ نيامٌ بحُبِّ أراهم ، فرأيتُهُ في الليل يقومُ فيقلبُهم
من جنبٍ إلى جنب ؛ فلما أصبحنا قلت له : رأيتك
يا أبا جعفر البارحة تفعلُ كَيْتَ وكَيْتَ ، قال : نعم ،
هؤلاء الصبيانُ يأكلون وينامون على اليسار ، فيمروهم
الطعام فيصبحون جوعاً ، فأنا أقلبُهم من اليسار إلى
اليمين ؛ لنلا ينهَضِمْ ما أكلوه سريعاً .

قال بعضهم : دخلتُ الكوفة فسمعتُ امرأةً تقول :
يا أبا جعفر الدِّقَّاقُ ، حَسْبِيكَ اللَّهُ (٢) — وقد اجتمعَ
الناسُ عليهما — فقال الدِّقَّاقُ : مالك ؟ قالت : أعطيتني
كَيْلَجَةً (٣) دقيقٍ ما جاء منها إلا ثمانون رغيفاً . قال :

(١) غصارة : إناء كالقلة .

(٢) حسيك الله : انتقم الله منك .

(٣) الكيلجة والكيلقة : شيء يكال به .

يا مُسْرِفَةً ؛ إذا كنتِ تخبزين رُغفاناً مثل الأُرْحَبَةِ
فأيُّ ذنب لي ؟ .

قال آخرُ : رأيتُ بالكوفة صبيّاً ومعه قُرْصَةٌ (١) ،
وهو يكسر لقمةً لقمةً ، ويرمي بها إلى شَقٍّ في بعض
الحيطان يخرج منه دُخَانٌ . ويأكلها . قال : فبقيتُ
أَتَعَجَّبُ منه ، إذْ وقفَ عليه أبوه يسأله عن خَبَرِهِ ؛
فقال الصبي : هؤلاء قد طبخُوا سَكْبَاجَةً (٢) حَامِضَةً
كثيرةَ التوابل ؛ فأنا أَتَادِمُ بِرَائِحَتِهَا . قال : فصفَعَهُ
أبوه صفعةً صُلْبَةً كَادَ يَقْطَعُ بِهَا رَأْسَهُ وقال : تريدُ
تُعَوِّدَ نَفْسَكَ مِنَ اليَوْمِ أَلَّا تَأْكُلَ خَبْزاً إِلَّا بِأَدَمَ .

نزل بكوفيٌّ ضَيْفٌ ، فقال لِحَارِيَّتِهِ : يا جارية .
أصلعي لضيفنا فالوذجاً . قالت الحاريةُ : ايس عندنا
شيء . قال : ويلك ! فهاتي قطيفةَ إِبْرِيَسَمِ (٣) حتى يام .

(٣) القرصة . الحبة من الطعام ، ومثلها القرص .

(٤) السكباجة : طعام يصنع من لحم وخن وبصل وكراث وعسل

مع الأفاويه .

(١) الإبريسم . الحرير

قال الضيفُ : يا سيدي ، فليس بين الفالوذَجِ والقطيغةِ
رغيفٌ وقليلٌ جبنٌ ؟ .

وقال آخر : رأيتُ كوفياً يُخاصِمُ جاراً له ويقَاتِلُهُ ،
فقلت : ما قصَّتكما ؟ . فقال أحدهما : زارني زائرٌ ،
فتشهَّيَ عليَّ رُؤوساً ، فأطعمتهُ ، وأخذتُ العظامَ ،
فرميتُ بها على باب داري أتجملُ بها ، وأكبيتُ
العدوَّ ، فجاء هذا . وأخذها من باب داري ، وجعلها
على باب داره .

وكان بعضُ المياسيرِ منهم له والدَةٌ عجوزٌ ، فقيل
لها : كم يُهجري عليك ابنُك ؟ . قالت : درهماً في
كل أضحى . قيل : يا سبحان الله ! درهمٌ في كل
أضحى ! . قالت : نعم ، وربما أدخل الأضحى في
الأضحى .

وكان بعضهم يأكل وهم على المائدة ابنه وروجتهُ .
فقال : لعن الله الزَّحمةَ . فقال له ابنه : يا أبتهُ ،
تعنييني ؟ فليس ها هنا عيرتي وغيرُ أمي ، قال : فتري
أعني نفسي ؟ .

خرج نفرٌ من أهل مَرَوْ في سَفَرٍ ، وصبروا على تركِ
السراج للارتفاق بما يرجعُ عليهم منه حتى أبلَغَ ذلك
إليهم ، فاتفقوا على أن يُخرجَ كلُّ واحدٍ منهم شيئاً
للسراج ، وامتنع واحدٌ منهم من أن يُعطيَ شيئاً ؛
فكانوا إذا أسرجوا شدُّوا عينيه بمنديل إلى وقتِ النومِ
ورَفَعَ السراج .

قال المنصورُ للوضيين بنِ عَطَاء (١) : ما عِيَالُكَ ؟ .
قال : ثلاثُ بناتٍ والمرأةُ . قال ؛ أربعٌ في بيتك . قال :
فرددَ ذلكَ حتى ظننتُ أنه سَيَصِلُنِي . قال : ثم رفعَ
رَأْسَهُ ؛ فقال : أنت أيسرُ العربِ ، أربعةُ مغازلٍ تدور
في بَيْتِكَ .

وسقَى لِنَسانٍ "بخيل" ضيفاً له نبيلاً عتيقاً على الرِّيق .
فتأوّهَ الرجلُ ؛ فقيل له : لِمَ لا تتكلم ؟ فقال : لِنِ
سَكَتٍ متٍّ ، وإن تكلمتُ ماتَ ربُّ البيتِ .

وكان بعضُ البخلاء يَأْكُلُ نصفَ الليلِ ، فقيل له

(١) الوضيين بن عطاء الشامي : محدث ثقة ، كان من الخطباء البلغاء ،

مات سنة ١٤٩ هـ

في ذلك ، فقال : يبردُ الماء وينقمعُ الدُّباب ، وآمن فجأةً الدَّأخِل ، وصَرَخَتِ السَّائِلُ . وصياح الصبيان .

قال الواقدي : خرجتُ أنا وابنُ أبي الزناد (١) إلى بعض المواضع بالمدينة ، ورجعنا نصفَ النهار في يومٍ صائفٍ ؛ فقال : ما أحوَجنا إلى شربة ماءٍ باردٍ ! فإذا نحنُ بسعيد مولى ابن أبي الزناد ؛ فعلمت له : ابعث لنا شربةَ ماء ؛ فقال : نعم وكرامة ، اجلس . وبادر مستعجلاً ، فدخل الدار ومكث طويلاً ، ثم خرج إلينا ؛ فقال : تعودون العشيَ إن شاء الله .

قال العتيبي : لو بُدِّلَتِ الحَنَّةُ للأَصمعي بدرهم لاستنقص سنّاً .

سأل مُكفَّفُ الأَصمعي ؛ فقال : لا أرتضي لك ما يحضرني ؛ فقال السائلُ : أنا أَرْضى به ، فقال الأَصمعي : هو ، سُورِكَ فاك .

(١) هو عبد الرحمن بن أبي الزناد من العلماء الأجلة ، ولد سنة ٨١٠٠ هـ ، وتوفي سنة ٨١٧٤ هـ .

أعطى المنصور بعضهم شيئاً ثم ندم ، فقال له : لا تنفق
هذا المال واحتفظ به ، وجعل يكرر عليه ذلك ؛ فقال :
يا أمير المؤمنين ، إن رأيت فاختمه حتى ألقاك به يوم
القيامة فضحك ونحلاه .

كان رجلٌ على طعام بعض البغلاء ؛ فأخذ عُرَاقاً (١)
فلم يجد عليه لَحْماً ، فوضعه لئلاَّ يُخَذَّ غيره ، فقال صاحبُ
البيت : العيب بِمَسِّكَ (٢) .

قال بعضهم : فلان عينُه دُولَابٌ لَقَمَ أضيافه .
قال بعضهم لعلامة : هاتِ الطعامَ وأغلق البابَ . فقال
العلام : هذا خطأ . أغلقُ البابَ ، ثم أقدمُ الطعامَ ،
فقال : أحسنت أنت حرٌّ

* * *

(١) العراق العظم .

(٢) أى لم تحد الا لتقاء فلا تأخذ غيرها .

الباب الثاني عشر

كلام شاطر^(١) ومن يجيب محرابهم، وسوادهم.

حكى بعضهم أن شاطراً افتخر . قال : فحفظتُ
من كلامه :

أنا الموجُ الكَـدِرُ ، أنا القُفْلُ العَـسِـرُ ، هذا وجهي
إلى الآخرة ، تَأْمُرُ بشيء ؟ لك حاجة إلى مالكٍ خازِنِ
النارِ ؟ أنا النَّارُ ، أنا العارُ ، أنا الرَّحَا^(٢) إذا دار ،
أنا مشيتُ سَبُوعَيْنِ^(٣) بلا رَأْسٍ ، لولا أَنِي عَـلِيلٌ
لَشَخَرْتُ نَحْرَهُ نِصْفُهَا صَاعِقَةٌ وَنِصْفُهَا زَلْزَلَةٌ . أَضْعُكُ

(١) الشاطر من أعيأ أهله خشاً .

(٢) الرحا مؤنث ، هكذا كتبها المؤلف ، مراعبا السجع ،

متحاورا في الباب الثقيد بالفصحى أحياناً

(٣) أسبوعين كتبها المؤلف بلهجة الشطار .

في جبي ، وأنساك حتى سمن الساعه . أفطف ، أنساك
 وأنجعله زراً فمبصي . أو استنذاك فلا أعطسك إلا في
 الجحيم ، أو أثرناك فلا أسولك إلا على الصراط إذا
 صاح آدم . واهمهوداه . والاك (١) لو كاشفني القيل
 لم يخرس . أو السحر لم يرس . أو عضني الأسد لم يخرس ،
 أو آني عمروذ (٢) لم يتعاس . أصداي أكثر من خوص
 البصره ، وخردل مصر ، وعاس الشام . وحصى
 الجزيره ، وشوك القاطول (٣) . وحينه الموصيل وفصب
 البطائح (٤) . وذي الآدوار . ورسول فاسطين

كان يرو رجل "بتفتي وينشطار" . ولم يكن له يوم
 من أيام العتار قط ولا فـ "مكة" من فتكانيهم . إلى أن

(١) لعل أصلها . وآلك أو وناك ، وهي من كلام الشطار .

(٢) عمروذ -- بالذال أو الدال . ملك جبار

(٣) القاطول . اسم نهر كان في موضع سامرا ، كأنه مقطوع

من دسل

(٤) البطائح . هي بطائح واسط أرض من واسط والبصره ،

كانت قديماً مدناً ميسرة ، ثم علا الماء فعدوها ، بعد انحساره بنيت فيها
 مرقى أكثر دورها ورر

ووقع بنته وبين رجل فمصار فمصر به سر . فمصر به ضرباً
وجمعاً وأذله فكان يصغر بذلك ويصطاول عند الفتيان به ،
فتأذى حبرائه . أحد فصّاب حائه ؛ فجاءوه وقالوا :
والان قد رأينا . فكف عنا سره وتعلمت . وبكم نأه .
وال : لا أدري من هان . ولكن إن سئمتا ضربت
لكم المصار وأنزلت كل مكره به .

ووقع بين ساطر وسبته له كلام ، فقال أحدهما
للآخر . لولا أنك أكبر سينا مني لخرت تحتك . ثم مضى
غدير بعد ، فوقع بينه وبين آخر فقال : والله لولا أنك
أصغر مني لسانك ، فقال له ربه : يا من الزافة .
متى ينطق لك ذ أم زباته ؟

قال بعضهم رأيت ساطرا يشرب بالقانس (١) ،
وهو ينظر إلى الأرض . فلما راح الصرب مثاه قال له
الوالي . ارفع رأسك فقال : يا سبتي . بسى رأسها .
قال . وما معنى نسى رأسها ؟ قال الجلاء : كنت

(١) القانس . مثل عسل من حال السمن ، أه حل سح من اللبف .

أَصْرَاهُ هُوَ مَسُورٌ بِرَجَاهِ فِي الْأَرْضِ بِطَّةً وَقَدْ بَفِي
رَأْسِهَا .

هال إسحاق بن إبراهيم الموصلي . دخلتُ على
عتمان من أهل المدينة بشر بنون ، وإذا هم متكئون على
كاتب كُذِّبَتْ . فقال بعضهم . هاتوا وسادة لآبي محمد ،
فجاءوا بها . فاما اتكأت عايه قالوا : هاتوا له أيضاً
مخباته . فجاءوا حَرَّوْ . فاما تناولوا الأقداح جاء
علام وفي يده فداً أحده فمدح في لحنه من يحبس القلاح .

هذا حار من ناحية . فجاء قوم إلى المعزول
رثه حتمون له . فقال بعضهم أو كان عريباً عذروناه ،
إنا المحدث أنه أنعمك . فقال اعذروه فإن الملك
مستور . والله أعلم

هـ كان سامحاً من طراد سهم ، وكان لا يقعد
في دهاير . ولا يسرب من جناحه . بل يصير في قصير
من قصير الأناة (١) . ولا يطلع في كوة ، ويأمر

(١) انظر في تاريخ طرابلس . له في رواية الخليل الذي يدخل البصرة ،
من أقام . . .

بذلك أصدافاه وأصحابه . ويفول : إن تعودتسم النظر
إلى الماء والخروج إلى المتنزّهات جزعتم من الحبس ، لم تدعوا
ضيمًا ، ولم تكسبوا مالاً .

كان يقول : لا يُعجبني الفتى يكونُ لحاظًا . وكان
صاحبَ إِطراقٍ .

كان يقولُ : إياكم وفضولَ النظرِ ، يدعو إلى
فضولِ القول والعمل .

ومنهم بابويه ، وكان شيخاً كبيراً ذا رأي ونجدة ،
وصديق وأمانة وهمّة بعيدة ، وأنفةٍ شديدة وكان
محبوساً بعادة دماء فلان نَقَبَ حميرُ بنُ مالك السعجني وقام
على باب النقب يُشرب الناس ويحميهم ؛ ليستتم الكرامة ،
وجاء رسوله إلى بابويه ، فقال : أبو نعامه ينتظرك .
وليس له همٌ سيّوأك ، وما بردت مِسْماراً ، ولا فككت
حلفةً ، وأنت قاعد غيرُ مكترثٍ ولا محتفلٍ وقد خرج
الناسُ حتى الصغفاء ؛ فقال بابويه . لابس متلي يخرجُ

في الغمار . وتَدَفَّعُ عنه الرجالُ . لم أَشاور ولم أؤامر (١) .
ثم يقال لي الآن : كن كالظَّعِينَة (٢) . والأَمَة ، والشيخ
الفاني . والله لا أَكون في الجنة تابِعاً ذليلاً .

فلم يبرح . وخرج سائرُ الناس — وإجرامه وحده
كإجرام الجميع — فلما جاء الأَمِيرُ ودخل السجنَ فلم
يرَ فيه غيَرَه قال للحرس : ما بالُ هذا ؟ . فقصُّوا عليه
القصةَ ، فضحك وقال له : خُذْ أي طريق شِئْتَ ؛
فقال بابويه : هذا عاقبةُ الصَّبر .

* * *

(١) ئؤامر . يشاور

(٢) والظَّعِينَة . الزَّوْحَة .

الباب الثالث عشر

العي ومكائبات الحمقى

كتب بعض الرؤساء إلى وكيل له في ضيعة : وقد وصلت النعاج ، هي : تسع نعاج . وتسع نعاج نصفها أربع ونصف نعاج .

قال بعضهم : ما من شر من دين ؛ فقبل له : ولم ذلك ؟ . قال : من جرأ يتعلقون .

قال قاسم التمار في كلام له . بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض .

وقال أيضاً : لو رأيت إيوان كسرى كأنما رفعت عنه الأيدي أول من أمس .

(١) أبقى المؤلف في هذا الباب على كلام الحمقى وذوي العي على الرغم من مخالفة بعضه لقواعد اللغة ، لأنه أراد أن يقدمه كما نطقوه .

قال أبو هفّان : رأيت شيخاً بالكوفة قاعداً على باب دارٍ ، واه زِيَّ وهَيْئَة وفي الدار صُراخ . فقلت : يا شيخ . ما هذا الصراخ ؟ فقال : هذا رجلٌ افتصد أمس فبلغ الموضع شادروانه فمات . يريد : بلغ الموضع شريانه .

وصف بعضهم امرأةً ؛ فقال : عَيْنُهَا الأخرى أكبر من عَيْنِهَا الأخرى .

كتب بعضٌ من وَزَرَ بالريّ أنفاً كتاباً في معنى أبيه إلى صديق له ببغداد — وكان قد حجّ أبوه — : هذا الكتابُ يوصيه فلانٌ ابن فلان ، وهو والدي ، وقديمُ الصِّحة لي ، واجبُ الحق عليّ . ولي بأمره عناية .

ودخل أبو طالب صاحب الطعام على هاشميّة جارية حمدونة بنت الرشيد ، على أن يشتري طعاماً من طعامهم في بعض البيادر ، فقال لها : إني قد رأيتُ متاعك . فقالت هاشميّة : قُل طعامك . قال : وقد أدخلتُ فيه يدي فإذا متاعك قد نخمّ وحَمِي (١) . وقد صار مثل

(١) خم : أنتن .

الجيفة . قالت : يا أبا طالب . أليس قد قلبت الشعير .
فأعطينا ما شئت ، وإن وجدته فاسداً .

ودخل أبو طالب هذا على المأمون ، فقال : كان
أبوك يا أبا خيراً لنا منك ، وأنت يا أبا ليس تعدُّنا . وليس
تبعثُ إلينا . ونحن يا أبا تجتارك وجيرانك . والمأمون في
كل ذلك يتبسّم .

وكان ابنُ سعيدٍ الجوهري يقول : صابى الله
تبارك وتعالى على محمدٍ صابى الله عليه وسلم .

وكان بالريِّ ورّاقٌ حُسن الخط ، وكان إذا كتب
اسم الله تعالى أو اسم النبي في القرآن أو الشعر كتب بعده ،
ما يكتبه الإنسان في سائر المواضع ، فكان يكتب في
القرآن : « إن الله — عز وجل — يأمرُ بالعدلِ والإحسانِ » (١)
« وما مُحمَّدٌ — صلى الله عليه وسلم — إلاَّ رَسُولٌ »
قد نخلت من قبله الرُّسُلُ » (٢) . وكان يكتب في الشعر :

(١) زائد في الآية . « عز وجل » والآية في سورة النحل : ٩٠ .

(٢) زائد في الآية صلى الله عليه وسلم ، والآية في سورة آل

عمران . ١٤٤ .

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا - عَزَّ وَجَلَّ - خَيْرُ نَفَلٍ
وبإذن الله - تبارك وتعالى - ربي وعجل (١)
ويكتب:

هجوت محمداً - صلى الله عليه وسلم - فأجبت عنه
وعند الله - تعالى - في ذلك الجزاء (٢)

وقال الجاحظ قلت لنفيس غلامي : بعثتك إلى
السوق في حاجة فلم تقضها ؛ فقال : يا مولاي ، أنا
ناقه من مرضي ، وليس في ركبتي دماغ .

وقال الجاحظ : قال الحجاج لأبي الجهم الخراساني
النخاس : أتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان ؟ فقال :
شريكائنا في هوازها وشريكائنا في مبادئها ، وكما يجيء
يكون . قال الحجاج : ما تقول ؟ . قال بعض من كان
قد اعتاد الخطأ وكلام العلوج بالعربية : يقول : شركاؤنا

(١) زاد في الشطر الأول : « عز وجل » . وفي الثاني « تبارك
وتعالى » والبيت للبيد .
(٢) زاد في البيت : صلى الله عليه وسلم « في الشطر الأول و » تعالى
في الثاني ، والبيت لحسان يرد به على أبي سفيان .

بالأهواز وبالمداين يبعثون إلينا هذه الدّوابّ ؛ فنحن
نبيعُها على وجوهها .

قال ابن أبي فتن (١) : طلبتُ من عبد الله بن أحمد بن
الحصيب بُخوراً ، فكتب إليه : فدتك نفسي من سوء
برحمته ، كتابي إليك وأنا وحدي ، والجواري عندي ؛
فأما البخور فإنّ أبا العباس في الحَمَّام إن شاء الله .

وكتب بعضُ الشيوخ الفُضلاء إلى شيخ من العدول
باري نَفَقَتْ بَغْلَتُهُ : نُبِّئْتُ أَنَّ الشَّيْخَ قَدْ مَاتَ بَغْلَتُهُ ،
هيهاتَ هيهاتَ .

❖ ❖ ❖

(١) أبو عبد الله أحمد بن أبي فتن ، شاعر مملوك من شعراء العصر
العباسي .

الباب الأول

كلام للنساء الشرائف

فاطمة ابنة رسول الله عليها السلام

قالوا : لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر منعها فداً (١) لاثت (٢) خمارها على رأسها ، واشتملت بجلابها ، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها ، تطأ ذيولها ، ما تخرم (٣) مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه ، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فنيطت دونها ملاءة ، ثم أنت أنفة أجهد لها القوم

(١) فداً : قرية بينها وبين المدينة يومان ، أفادها الله على رسوله ، ذكرت فاطمة أن الرسول تصدق عليها بها . ولم تستطع الإتيان بشاهدين على ذلك ، فحرمها أبو بكر منها

(٢) لاثت الخمار تلوثه : أدارته .

(٣) ما تخرم مشيتها . ما تنقص عنها .

بالبكاء . وارتجَّ المجلس تم أمهلت هُنيَّةً (١) حتى
إذا سكنَ نشيجُ القوم . وهدأتْ هورتُهم افتتحتْ
كلامتها بخمد الله والثناء عابه والصلاة على رسوله صلى
الله عليه . تم قالت :

« اَلْقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ
رَحِيمٌ » (٢) . فانْ تعرفُوه تجدوه أبي دونَ آبائكم ،
وأخا ابن عمِّي (٣) دونَ رجالكم ، فبلغ الرسالة
صادعاً بالندارة ، بالغاً بالرسالة ، مائلاً عن سنن المشركين
ضارباً أشجعهم (٤) ، يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة
والموعظة الحسنة ، آخذاً بأكظام (٥) المشركين ، يهشّم
الأصنام ويفلق الهام ؛ حتى انهزم الجمع وولّوا الدُّبر ،
حتى تنقري (٦) الليل عن صبحه ، وأسفر الخلق عن

(١) هنة : بمعنى هنية ، تصغير هنة ، وهي القياس في التصغير .

(٢) سورة التوبة ١٢٨ .

(٣) إشارة إلى مؤاخاة رسول الله لعلي

(٤) الشج : الوسط

(٥) الأكظام : جمع كظم وهو محرج النفس .

(٦) تقرئ : تشقق .

مَحْضِهِ (١) ، ونطقَ زعيمُ الدين ، وخرستَ شَقَاشِق (٢)
 الشيطان ، وتَمَّتْ كلمةُ الإخلاص ، « وَكُنْتُمْ عَلَيَّ
 شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ (٣) » . نُهْزَةُ (٤) الطامع ،
 وَمَذْقَةُ الشَّارِب (٥) ، وَقَبْسَةُ الْعَجَلَان ، وموطئ
 الأقدام ، تَشْرَبُونَ الطَّرْق (٦) ، وتقتاتون القيد ،
 أَذْلَةً خَاسِئِينَ ، يَخْطِفُكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ ، حَتَّى
 أَنْقَذَكُمْ اللَّهُ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بَعْدَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ ،
 وَبَعْدَ أَنْ مُنِّيَ بِهِمُ الرِّجَالُ (٧) وَذُؤْبَانُ الْعَرَبِ ،
 وَمَرْدَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ « كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا يُلْحَرَبُ
 أَطْفَاءُهَا اللَّهُ » (٨) . أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطَانِ ، أَوْ فَغَرَتْ



- (١) المحض الخالص .
 (٢) والشقاشق القول فيه كذب .
 (٣) سورة آل عمران : ١٠٣ .
 (٤) نهزة الطامع : اسم للشيء المعرض لك كالغنيمة .
 (٥) المذقة : الشربة من اللبن المخلوط بالماء . وفي القول شربة .
 (٦) الطرق : ماء السماء الذي تبول فيه الإبل . والقيد : السير يقيد من
 الجلد . والقديد : اللحم المجفف .
 (٧) بهم الرجال : شجعانهم
 (٨) سورة المائدة . ٦٤

فَاغِرَّةٌ لِلْمَشْرِكِينَ ، قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا ، فَلَا
يُنْكِفِي^١ حَتَّى يَطْلَأَ صِمَاخَهَا (١) بِأَحْمَصِهِ ، وَيُطْفِئُ
عَادِيَةَ لَهَبِهَا بِسَيْفِهِ . أَوْ قَاتَ وَيُخْمِدُ لَهَبَهَا بِحَدِّهِ
مَكْدُوداً فِي ذَاتِ اللَّهِ . وَأَنْتُمْ فِي رَهَاهُ فَكِيهُونَ آمَنُونَ
وَادْعُونَ .

حَتَّى إِذَا اخْتَارَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ دَارَ أَنْبِيَائِهِ
ظَهَرَتْ حَسَكَةٌ (٢) النِّفَاقِ ، وَسَمَلٌ (٣) جَلْبَابُ الدِّينِ ،
وَنَطَقَ كَاظِمٌ (٤) الْغَاوِينَ ، وَنَبَغَ خَامِلٌ الْأَقْبَانِينَ ،
وَهْدَرَ فَنِيْقٌ (٥) الْمِبْطَلِينَ ، فَخَطَرَ فِي عَرَصَاتِكُمْ ،
وَأَطْلَعَ الشَّيْطَانَ رَأْسَهُ صَارِخاً بِكُمْ ، فِدْعَاكُمْ فَأَلْفَاكُمْ
الدَّعْوَتَهُ مُسْتَجِيبِينَ وَلِلْعِزَّةِ مَلَا حِظِينَ ؛ ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ
فَوَجَدَكُمْ خِيفَاةً وَأَحْمَشَكُمْ (٦) فَأَلْفَاكُمْ غِيضَابَا ؛

(١) الصماخ . فتحة الأذن الباطنة وفي المول استعارة .

(٢) الحسكة : الشوكة .

(٣) سمل الجلباب . بلى ورب .

(٤) الكاظم : المبطن للحقد .

(٥) الفنيق . الحمل الفحل .

(٦) أحمشكم : جعلكم تغضبون ، ومن معانها : ساقكم بغضب .

فَوَسَّمْتُمْ غَيْرَ إِبْلِكُمْ ، وَأوردتم غير شِرْبِكُمْ ، هذا
والعهد قريب والكلم رحيب ، والجرح لَمَّا يَنْدَقِلْ .
أبماذا زَعَمْتُمْ : خَوْفَ الْفِتْنَةِ ؟ « أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (١) » ، فِهِيَهَاتَ فِيكُمْ ،
وَأَنْتَى بِكُمْ ، وَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ ، وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ،
زَوَاجِرُهُ بَيِّنَةٌ ، وَشَوَاهِدُهُ لَائِحَةٌ ، وَأَوَامِرُهُ وَاضِحَةٌ ،
أَرْغَبَةٌ عَنْهُ تُرِيدُونَ ؟ أَمْ بغيره تَحْكُمُونَ ؟ « بَشُّسٍ
لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا » (٢) « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا
فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (٣)
ثُمَّ تَلَبَّثُوا إِلَّا رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ نَفَرَتُهَا تَشْرَبُونَ حَسُوا
فِي ارْتِغَاءٍ (٤) ، وَتَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلَى مِثْلِ حَزِّ الْمُدَى
وَأَنْتُمْ الْآنَ تَزْعُمُونَ لَا إِرْثَ لَنَا « أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ
يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ » (٥)

(١) سورة التوبة : ٤٩ .

(٢) سورة الكهف : ٥٠ .

(٣) سورة آل عمران : ٨٥ .

(٤) مثل يضرب لمن يظهر أمراً ويبطن غيره .

(٥) سورة المائدة : ٥٠ .

لِإِيَّاهُ مَعَشَرَ الْمُسْلِمَةِ الْمُهَاجِرَةِ ؛ أَلْبَتَرُ إِرْثَ أَبِيهِ ؟
 أَبِي اللَّهِ فِي الْكِتَابِ بَابِنَ قُحَافَةٍ ، أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلَا
 أَرِثَ أَبِيهِ . لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا (١) . فَدُونَكِهَا مَخْطُومَةٌ
 مَرْحُومَةٌ ، تَلْقَاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ ، فَنَعْمَ الْحَكَمُ اللَّهُ ،
 وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيَامَةُ ، وَعِنْدَ
 السَّاعَةِ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ » وَلِيَكُلَّ نَبَأٌ مُسْتَقَرٌّ
 وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ » (٢) .

ثُمَّ انْكَفَتْ عَلَى قَبْرِ أَبِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَتْ :
 قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَنْشَةٌ (٣)
 لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهَا لَمْ تَكْثِرِ الْخُطْبُ
 إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدَ الْأَرْضُ وَابِلَهَا
 وَاخْتَلَّ أَهْلُكَ فَاحْضِرْهُمْ وَلَا تَغِيبْ (٤)

* * *

فَقَالَات :

-
- (١) الْفَرِي : الْعَمَلُ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ .
 (٢) سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦٧ .
 (٣) الْهَنْشَةُ . الْاِخْتِلَاطُ فِي الْكَلَامِ .
 (٤) فِي الْبَيْتَيْنِ إِقْرَأْ .

عائشةُ أمُّ المؤمنينَ (رضي الله عنها)

رُويَ أنه لما كان يومُ الجَمَلِ قامتُ عائشةُ فتكلّمتُ
فقلتُ :

أيها الناسُ ؛ إنَّ لي عليكم حقَّ الأمومةِ وحقَّ
الموعظةِ ، لا يتَّهمني إلا من عَصَى رَبَّهُ . قُبِضَ
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين سَحَرِي (١)
ونسَحَرِي ، وأنا إحدى نسائِهِ في الجنة ، اه ادَّخَرَنِي
رَبِّي ، ونَعَصَنِي من كل بُضْع (٢) وبِي مُيِّزَ مُؤْمِنِكُمْ
من مُنَافِقِكُمْ (٣) ، وفي رَحْصِ اكُم في صعيدِ الأبواءِ (٤)
وأبي رابع أربعة من المسلمين ، وأولُ مُسَمَّي صِدِّيقاً .
قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه
راضٍ فوقد النفاقَ (٥) ، وأَغَاظَ نَبِيعَ الرَّدَّةِ ، وأطفأ

(١) السحر : الرثة . وقد توفي عليه الصلاة والسلام ورأسه على صدرها

(٢) البضع : الفرج . وربما أرادت أنها الزوج البكر من بين أزواجه

(٣) اشارة إلى حديث الأفلك .

(٤) الأبواء : المفازة .

(٥) وقد النفاق : كسره ودمغه .

ماحشَّتْ (١) يَهُودَ ، وأنتم حينئذ جُحِظُ . تنتظرون
العدوة . وتستمعون الصيحة ، فرأبَ الشَّيْءُ (٢) ،
وأوذَمَ (٣) العطلة ، وامتاحَ من المهوات ، واجتَهَرَ
دُفْنََ الرواد : فقمضهُ اللّٰهَ واطناً على هامة النفاق ،
مذكياً ناراً لحرب المشركين ، يقظانَ في نصرة الإسلام ،
صفوحاً عن الجاهلين .

وروي أنه بلغها أن ناساً يتناولون أبا بكر ، فأرسلتُ
إلى أزفلة (٤) من الناس ، فلما حضروا أسدلتُ
أستارها ، وأعلتُ وسادها ، ثم دنتُ فحمدتِ الله ،
وأثنتُ عليه . وصلتُ على نبيه صلى الله عليه وسلم ،
وعذلتُ وقرعتُ وقالت :

أبي وما أبيه ! أبي والله لا تعطوه (٥) الأيدي ،
تلودُ منيف ، وظلٌ مديد ، هيّهاتَ هيّهات !

(١) حش الحرب . أشعلها .

(٢) رأب . أصلح ، والشئ : الفساد .

(٣) أوذم الشيء : جعل له وذاماً ، وهو سير للدلاء ، والعطلة :
الدلاء ، التي بلا أوذم .

(٤) أزفلة جماعة من الناس ، وصلها أجفلة .

(٥) تعطوه . تناولوه من قرب .

كذبت الظنون . أنجح (١) والله إذ أكديتم ، وسبق !
إذ ونيتهم

* سبق الجواد إذا استولى على الأمد (٢) *
ففي قریش ناشئاً ، وكهفها كهلاً ، يریش
مملقها ، ويفك عانيها ويلثم شعنها ويرأب صدعها
حتى حلتته قلوبها ، ثم استتري في دينه فما برحت
شكيمته في ذات الله ، حتى اتخذ بعناؤه مسجداً يحني فيه
ما أمات المبطلون .

وكان رحمة الله عليه غزير الدمعة ، وقيد الجوانح (٣)
شعبي النشيج ، فانفضت إليه نسوان مكّة وولدانها
يسخرون منه ، ويستهنئون به . ((الله يستهنون بهم
ويتمدهم في طغيانهم يعمهون)) (٤) وأكبرت

(١) أي أصاب إذ أخطأتم .

(٢) صدره .

إلا لمثلك أو من أنت سابقه

والبيت للنابه .

(٣) وقيد الجوانح : محزوناً كأنه مكسور القلب .

(٤) سورة البقرة . ١٥ .

ذلك رجالات قريش ، فَحَنَّتْ إِلَيْهِ قِسِيَّتَهَا ، وَفَوَّقَتْ
 لَهُ سَهَامَهَا وَامْتَلَوْهُ غَرَضًا (١) فَمَا حَلَّوْهُ لَهُ صَفَاةً ،
 وَلَا قَصَفُوا لَهُ قَنَاةً ، وَمَرَّ عَلَى سَيْسَائِهِ (٢) حَتَّى إِذَا ضَرَبَ
 الدِّينَ بِجِرَانِهِ ، وَأَلْقَى بَرْكَهُ (٣) ، وَرَسَتْ أَوْتَادُهُ ،
 وَدَخَلَ النَّاسُ فِيهِ أَفْوَاجًا ، وَمِنْ كُلِّ شِرْعَةٍ أَشْتَاتَا
 وَأَرْسَالَا اخْتَارَ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ لِنَبِيِّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ
 وَتَحِيَّاتُهُ مَا عِنْدَهُ ، فَلَمَّا قَبَّضَ اللَّهُ رَسُولَهُ ضَرْبَ الشَّيْطَانِ
 بِرَوَاقِهِ ، وَمَدَّ طُنُجُبَهُ ، وَنَصَبَ حَبَائِلَهُ ، وَأَجْلَبَ
 بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ ، وَاضْطَرَبَ حَبْلُ الْإِسْلَامِ ، وَمَرَجَّ عَهْدُهُ ،
 وَمَاجَ أَهْلُهُ وَبَغَى الْعَوَائِلُ ، وَظَنَّتْ رِجَالٌ أَنْ قَدْ أَكْثَبَتْ
 نُهُزَهَا ، وَلَاتَ حِينَ الَّتِي يَرْجُونَ ، وَأَنْتَى وَالصَّدِّيقُ بَيْنَ
 أَظْهَرِهِمْ ؟ فَقَامَ حَاسِرًا مَشْمُرًا قَدْ جَمَعَ حَاشِيَتَيْهِ ،
 وَرَفَعَ قَطْرِيَّتَهُ ، فَرَدَّ نَشْرَ الدِّينِ عَلَى غَرِّهِ ، (٤) وَلَمْ

(١) امْتَلَوْهُ : فَصَبَوْهُ . وَالْقِسْيُ : جَمْعُ قَوْسٍ ، وَهُوَ آلَةٌ رَمَى السَّهَامِ .

(٢) السَّيْسَاءُ مِنَ الدَّابَّةِ : ظَهَرُهَا .

(٣) بَرْكُ الْبَعِيرِ : صَدْرُهُ .

(٤) عَلَى غَرِّهِ : عَلَى كَسْرِهِ ، وَالْمُرَادُ تَقْدِيرُ أَمْرِ الدِّينِ ، وَكَسْرُ الرَّدَّةِ .

شعته بطيه ، وأقام أوده بتقافيه ، فامدقمر (١) النفاق
بوطيه ، وانتاش الدين فنعشه .

فلما أراح الحق على أهله ، وأقر الرؤوس على
كواهلها ، وحفن الدماء في أهبيها (٢) حضرته منيته ،
نصر الله وجهه ، فسدت ثلثته بنظيره في الرحمة
ومقتفيه في السيرة والمعدلة ؛ ذلك ابن الخطاب ،
لله أم حملت به ، ودرت عليه . لقد أوحدت ،
فتنخ الكفرة ودنخها (٣) ، وشرذ الشرك شذر مذر
وبعج الأرض ونجعتها (٤) ، فقأت أكابها . ولفظت
خبأها ، ترأمة ويصدف عنها ، وتصدي له وبأباها ،
ثم وزع فيثها فيها ، وودعها كما صحبها . فاروني
ماذا تترئون . وأي يومسي أبي تنقيمون ؟ أيوم إقامته
إذ عدل فيكم أو يوم ظعننيه إذ نظركم . أقول
قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

(١) امدقر اللبن . تفرق .

(٢) جمع إهاب : الجلد .

(٣) فنخ : أذل وقهر ، ودنخها : أخضعها

(٤) بعج الأرض : شقها ، ونجعتها : أذلها .

وقالت : لو نزل بالجلال الراسيات ما نزل بأبي
لهاضها ، قبض رسول الله صلى الله عليه ، فاشرب
النفاق ، وارتدت العرب قاطبة . وعاد أصحاب محمد
كانهم معزى مطيرة في خفش (١) ، فما اختلفوا
فيه من أمر إلا طار أبي بغلته وغنائه .

ومن رأى ابن الخطاب علم أنه كان عوناً للإسلام ،
كان والله أحوذياً (٢) نسيج وحده ، قد أعد للأُمور
أقرانها .

وقالت : من أَرْضَى الله بإسخط الناس كَفَاهُ الله
ما بينه وبين الناس ، ومن أَرْضَى الناس بإسخط الله جَلَّ
ذِكْرُهُ وَكَأَلَهُ الله إلى الناس .

وقالت : إنَّما النكاح رِقٌ فليَنظُرُ امرؤ مَنْ
يُرِقُّ كَرِيْمَتَهُ .

وقالت : نخرجت أقفؤ آثار الناس يوم الخندق ،

(١) الخفش : البيت الدليل .

(٢) الأحوذى والأحوزي : الحسن السياق للأمور .

فسمعتُ وثَّيدَ الأرضِ (١) خَلْفِي ، فالتفتُ فإذا أنا
بسعدِ بنِ مَعَاذٍ (٢) .

وقالت لها امرأةٌ : أَأَقَيِّدُ جَسَمِي ؟ قالتُ : نعمُ ،
قالتُ : أَقَيِّدُ جَسَمِي ؟ فلما عانت ما تريدُ قالتُ : وَجْهِي
من وَجْهِكَ حَرَامٌ ، تعني بالجمال زوجها أي أوحده
عن النساء .

وقالت : لا تؤدي المرأةُ حَقَّ زوجها حتى لو سألها
نَفْسَهَا وهي على ظَهْرِ قَتَبٍ (٣) لم تمنعه .

* * *

أم كلثوم بنت علي (٤)

رُوي عن بعضهم قال : رأيتُ أمَّ كلثوم بنتَ عليٍّ

- (١) وثَّيد الأرض : شدة الوطاء ، يسمع كالدوي من بعيد .
(٢) سعد بن معاذ الأوسي الأنصاري ، صحابي جليل ، وهو الذي
حكَّم على يهود بني قريظة وتوفي في نفس السنة ، وله مواقف مشهورة في
الإسلام .
(٣) أي على ظهر جمل . والقَتَب : الرجل الصغير على قدر سنام البعير .
(٤) أم كلثوم بنت علي أخت الحسين ولدت قبل وفاة الرسول ،
تزوجها عمر بن الخطاب . وله منها ذرية .

بالكوفة ، ولم أرَ خَفِيرَةً^١ والله أنطقَ منها ، كأنما تنطق
وتُقرِّع عن لسانِ أميرِ المؤمنين رضي الله عنه ، وقد
أومأت إلى الناس وهم يبيكون على الحسين - رضي الله
عنه - أن اسكتوا فلما سكنت فورتهم ، وهدأت
الآجراسُ . قالت :

أبدأ بحمدِ الله والصلاة على أبيه . أما بعد ،
يا أهل الكوفة يا أهلَ الخِثَرِ (١) والحدل ؛ ألا فلا
رقات العبرةُ ، ولا هدأت الرنةُ ، إنما مثلكم
كمثل التي ((نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا
تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ)) (٢) ألا وهل
فيكم إلا الصِّلَفُ والشَّنَفُ (٣) ، مَاتِقُ الإمامِ
وغَمَرُ (٤) الأعداءِ وهل أنتم إلا كمرعى على دمنة ،
وكفضة على ملحودة . ألا ساء ما قدَّمْتُمْ لَكُمْ
أنفسكم أن سخطَ الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون .

(١) الخثر : أسوأ الغدر .

(٢) سورة النحل : ٩٣ .

(٣) الشنف : البغض .

(٤) الغمر : الحقد .

أَتَبْكُونَ ؟ إِيَّيْ وَاللَّهِ ، فَابْكُوا ، فَإِنَّكُمْ وَاللَّهِ أَحْرِيَاءُ
 بِالْبُكَاءِ ، فَابْكُوا كَثِيرًا وَاضْحَكُوا قَلِيلًا ، فَلَقَدْ فَرْتُمْ
 بِعَارِهَا ، وَشَتَّارِهَا ، وَلَنْ تَرْحَضُوهَا (١) بِغُسْلٍ
 بِعَمْدَها أَبَدًا ، وَأَنْتَى تَرْحَضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النَّبِیَّةِ ،
 وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ ، وَسَيِّدِ شَبَابِ الْجَنَّةِ ، وَمَنَارِ
 مَحَجَّجَتِكُمْ ، وَمِدْرَه (٢) حُجَّتِكُمْ . وَمَنْزَعِ
 نَازِلَتِكُمْ ؟ فَتَعَسَّأَ وَنُكَّسَا ! اَلْقَدْ خَابَ السَّعْيُ ، وَخَسِرَتِ
 الصَّفْقَةُ ، وَبُؤْتُمْ بِغَضَبِ اللَّهِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمْ
 الدُّلَّةُ وَالْمُسْكَنَةُ . ((لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ
 السَّمَاوَاتُ بِتَفْطَرِنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ
 الْجِبَالُ هَدًّا)) (٣) .

ما تدرون أَيَّ كَبِدٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَرَيْتُمْ
 وَأَيَّ كَرِيمٍ لَهُ أَبْرَزْتُمْ ، وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ . لَقَدْ جِئْتُمْ
 بِهَا شَوْهَاءَ خَرَقَاءَ طِبْلَاعَ (٤) الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ،

(١) رَحَضَ الثَّوبَ : غَسَلَهُ .

(٢) الْمَدْرَه : الْمَدَافِعُ عَنِ الْجَمَاعَةِ .

(٣) سُورَةُ مَرْيَمَ : ٨٩ ، ٩٠ . وَالْإِدُّ : الْأَمْرُ الدَّاهِي الْمُنْكَرُ .

(٤) طِبْلَاعُ الْأَرْضِ : مَأْوَاهَا

أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ قَطَرَتْ السَّمَاءُ دُمًّا ، ((وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ)) (١) .

* * *

حَفْصَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ (٢)

خطبت حفصة بنت عمر فقالت :

الحمد لله الذي لا نظير له والفرْد الذي لا شريك له .
وأما بعدُ ، فكلَّ العَجَبِ من قوم زيّن الشيطانُ
أفعالهم ، وارعَوَى إلى صنيعهم ، ودبّ في الفتنة لَهِمُّ ،
ونصبَ حبائله ليختلهم ، حتى همَّ عدُو الله بإحياءِ
البِدْعَةِ ، ونَبَشِ الفِتْنَةِ ، وتجديدِ الجَوْرِ بعد
دُرُوسِهِ (٣) ، وإظهارِهِ بعد دُثُورِهِ (٤) ، وإِراقةِ
الدِّمَاءِ ، وإِباحَةِ الحِمَى ، وانتهاكِ مَحَارِمِ الله عزَّ
وجَلَّ بعد تحصينها ، فتضرّمَ وهاجَ ، وتوغّرَ وثارَ

(١) سورة فصلت : ١٦ .

(٢) حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين ، تزوجها الرسول
سنة ٥٣ هـ . توفيت سنة ٤١ هـ . أو سنة ٤٥ هـ .

(٣) الدروس : البلى .

(٤) الدثور : الهلاك .

غَضَباً لِلَّهِ وَنُصْرَةً لِدِينِ اللَّهِ ، فَأَخْسَأَ الشَّيْطَانَ وَوَقَمَ (١)
 كَيْدَهُ ، وَكَفَّفَ إِرَادَتَهُ ، وَقَدَّعَ مُحَسَّتَهُ ، وَصَعَّرَ خَدَّهُ
 السَّبْقَةَ إِلَى مُشَايَعَةِ أَوْلَى النَّاسِ بِخِلَافَةِ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، الْمَاضِي عَلَى سُنَّتِهِ ، الْمُقْتَدِي بِدِينِهِ ،
 الْمُتَّقِشَّصَ لِأَثَرِهِ ؛ فَلَمْ يَزَلْ سِرَاجَهُ زَاهِراً ، وَضَوْؤُهُ لَامِعاً
 وَنُورُهُ سَاطِعاً .

لَهُ مِنَ الْأَفْعَالِ الْغُرَرُ ، وَمِنَ الْآرَاءِ الْمُصَاصُ (٢) ،
 وَمِنَ التَّقَدُّمِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ الْأُبَابِ ، إِلَى أَنْ
 قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، قَالِيّاً لِمَا خَرَجَ مِنْهُ ، شَانِئاً لِمَا نَزَلَ مِنْ
 أَمْرِهِ ، شَنِيفاً (٣) لِمَا كَانَ فِيهِ ، صَبَباً إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ ،
 وَائِلاً (٤) إِلَى مَا دُعِيَ إِلَيْهِ ، عَاشِقاً لِمَا هُوَ فِيهِ .

فَلَمَّا صَارَ إِلَى الَّتِي وَصَفْتُ ، وَعَايَنَ مَا ذَكَرْتُ
 أَوْماً بِهَا إِلَى أَخِيهِ فِي الْمَعْدَلَةِ وَنَظْمِيهِ فِي السَّيْرِ ،
 وَشَقِيقِهِ فِي الْمَدْيَانَةِ ، وَلَوْ كَانَ غَيْرَ اللَّهِ أَرَادَ لِأَمَالِهَا إِلَى

(١) وقم الكيد : أذله وقهره .

(٢) المصاص . خالص كل شيء .

(٣) شنفا . مبغضا كارها .

(٤) وائلا : لاجئنا .

ابنه ، ولصيرها في عقبه ، ولم يُخْرِجْهَا مِنْ
 ذُرِّيَّتِهِ ، فَأَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَقَامَ فِيهَا بِقِسْطِهَا ، لَمْ
 يَوْدُهِ ثِقَلُهَا ، وَلَمْ يَبْهِيْظْهُ حِفْظُهَا ، مُشَرِّدًا لِلْكَفْرِ
 عَنْ مَوْطِنِهِ وَنَافِرًا لَهُ عَنْ وَكْرِهِ ، وَمُشِيرًا لَهُ مِنْ مَجْشَدِهِ ،
 حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى يَدَيْهِ أَقْطَارَ الْبِلَادِ ، وَنَصَرَ
 اللَّهُ بِقَدَمِهِ ، وَمَلَأَتْهُ تَكْنُفُهُ ، وَهُوَ بِاللَّهِ مُعْتَصِمٌ ،
 وَعَلَيْهِ مُتَوَكِّلٌ ، حَتَّى تَأْكُودَتْ عُرَا الْحَقِّ عَلَيْكُمْ
 عَقْدًا ، وَاضْمَحَلَّتْ عُرَا الْبَاطِلِ عَنْكُمْ حَلًّا ، نَوْرُهُ
 فِي الدُّجُنَّاتِ سَاطِعٌ ، وَضَوْعُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَامِعٌ ،
 قَالِيًا لِلدُّنْيَا إِذْ عَرَفَهَا ، لَافْظًا لَهَا إِذْ عَجَمَهَا ، وَشَانِيًا لَهَا
 إِذْ سَبَرَهَا ، تَخْطُبُهُ وَيَقْلَاهَا ، وَتَرِيدُهُ وَيَأْبَاهَا (١) ،
 لَا تَطْلُبُ سِوَاهُ بَعْلًا ، وَلَا تَبْغِي سِوَاهُ نُسْحَلًا (٢) أَخْبَرَهَا أَنْ
 الَّتِي يَخْطُبُ أَرْغَدُ مِنْهَا عَيْشًا ، وَأَنْضَرُ مِنْهَا حُبُورًا ،
 وَأَدْوَمُ مِنْهَا سُرُورًا ، وَأَبْقَى مِنْهَا خُلُودًا ، وَأَطْوَلُ مِنْهَا
 أَيَّامًا ، وَأَغْدِقُ مِنْهَا أَرْضًا ، وَأَنْعَمْتُ مِنْهَا جِسْمَالًا ،

(١) تريد : عمر بن الخطاب .

(٢) النحل : العطاء .

وَأَتَمُّ مِنْهَا بُلْهَنِيَّةً ، وَأَعَذِبُ مِنْهَا رُفْهَنِيَّةً (١) فَبَشَّعَتْ
نَفْسَهُ بِذَلِكَ لِعَادَتِهَا ، وَاقْشَعَرَّتْ مِنْهَا لِمُخَالَفَتِهَا ، فَعَرَّكَهَا
بِالْعَزْمِ الشَّدِيدِ حَتَّى أَجَابَتْ ، وَبَارَأَيِ الْجَلِيدِ حَتَّى
انْقَادَتْ ، فَأَقَامَ فِيهَا دَعَائِمَ الْإِسْلَامِ . وَقَوَاعِدَ السُّنَّةِ
الْجَارِيَةِ ، وَرَوَاسِيَ الْأَثَارِ الْمَاضِيَةِ وَأَعْلَامَ أَخْبَارِ
النُّبُوَّةِ الظَّاهِرَةِ ، وَظَلَّ خَمِيصًا مِنْ بَهْجَتِهَا ،
قَالِيًا لِأَثَانِهَا ، لَا يَرِغْبُ فِي زِبْرِجِهَا (٢) وَلَا تَطْمَحُ
نَفْسُهُ إِلَى جِدَّتِهَا ، حَتَّى دُعِيَ فَأَجَابَ ، وَنُودِيَ
فَأَطَاعَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَاحْتَدَى فِي النَّاسِ بِأَخِيهِ
فَأَخْرَجَهَا مِنْ نَسْلِهِ ، وَصَيَّرَهَا شُورَى بَيْنَ إِخْوَتِهِ ،
فَبَايَ أَفْعَالَهُ يَتَعَلَّقُونَ ؟ . وَبَايَ مَذَاهِبِهِ يَتَمَسَّكُونَ ؟
أَبِطَرَائِقِهِ الْقَوِيْمَةِ فِي حَيَاتِهِ ، أَمْ بَعْدُ لَهُ فِيكُمْ عِنْدَ وَفَاتِهِ ،
أَلْهَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ طَاعَتَهُ ، وَإِذَا شِئْتُمْ فَنَفِي
حِفْظِ اللَّهِ وَكَوَلَاتِهِ .

* * *

(١) الرفهنية : رغد العيش وخصبه .

(٢) الزبرج : الوشي .

أَرْوَى بِنْتُ الْحَارِثِ

قيل : دخلت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية بن أبي سفيان بالموسم وهي عجوز كبيرة ، فلما رآها قال : مَرَحَمًا بك يا عَمَّةُ . قالت : كيف أنت يا بن أخي ، لقد كفرت بعدي بالنعمة ، وأسأت لابن عمك الصُّحبة ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت غير حَقِّك ، بغير بلاء كان منك ولا من آبائك في الإسلام ؛ ولقد كفرتم بما جاء به محمد صلى الله عليه . فأتبعس الله الجدود ، وصغرت منكم الجدود ، حتى ردَّ الله الحق إلى أهله ، وكانت كلمة الله هي العليا . ونسبنا محمد صلى الله عليه هو المنصور على من ناوأه ولو كره المشركون .

* * *

رُؤْيَا رُقَيْقَةَ (١)

قال مسخرمة بن نوفل (٢) : حدثني أمي رُقَيْقَةُ بنت أبي صَيْفِي بن هاشم بن عبد مناف ، قالت :

(١) رقية بنت أبي صيفي بن هاشم ، قبل كانت صحابية .

(٢) مخزومة بن نوفل القرشي الزهري ، أمه رقبعة ، كان من مسلمة

الفتح ، ومن المؤلفة قلوبهم شهد حنيناً مع النبي . توفي سنة ٥٥ هـ وعمره ١١٥ سنة .

تَتَابَعَتْ عَلَى قَرِيشَ سَنُونَ أَقْحَحَلَتْ (١) الضَّرْعَ
وَأَرْقَّتِ اللَّحْمَ ، وَأَدَقَّتِ الْعِظَمَ فَبَيْنَا أَنَا نَائِمَةٌ ، لَاهَمَّ
أَوْ مُهَوِّمَةٌ (٢) إِذَا أَنَا بِهَاتِفٍ يَهْتَفُ بِصَوْتِ صَحْلٍ (٣)
أَقْشَعَرَّ لَهُ جِلْدِي : مَعَاشَرَ قَرِيشَ إِنْ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الْمُبْعُوثِ
مَنْكُمْ قَدْ أَظْلَمَتْكُمْ أَيَّامُهُ ، وَهَذَا أَوْانُ نُسْجُومِهِ (٤)
أَلَا فَحَيَّ هَلَا (٥) بِالْخَصْبِ وَالْحَيَا ، أَلَا فَانْظُرُوا مَنْكُمْ رَجُلًا
وَسَيْطًا (٦) عِظَامًا جُسَامًا أَبْيَضَ بَضًّا أَوْ طَفَ الْأَهْدَابِ (٧)
أَشْمَ الْعَرْنَيْنِ (٨) سَهْلَ الْحَدَّيْنِ ، لَهُ نَجْرٌ يَكْظُمُ
عَلَيْهِ (٩) وَسُنَّةٌ تَهْدِي إِلَيْهِ . أَلَا فَايْدُلُّفْ هُوَ وَوَلَدُهُ ،

(١) أَقْحَحَلَتْ الضَّرْعَ : أَيَبَسَتْهُ .

(٢) التَّهْوِيمُ : هَزُّ الرَّأْسِ مِنَ النَّعَاسِ ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا : الْاسْتِغْرَاقُ .
فِي النَّوْمِ .

(٣) صَحْلٌ : فِيهِ بَحَّةٌ .

(٤) النُّجُومُ : الظُّهُورُ .

(٥) حَيَّ هَلَا : أَسْرِعُوا .

(٦) الْوَسَيْطُ : النَّسِيبُ .

(٧) أَوْ طَفَ الْأَهْدَابِ : غَزِيرَهَا .

(٨) الْعَرْنَيْنِ : الْأَنْفُ . وَأَشْمُ الْعَرْنَيْنِ ، كُنَايَةٌ عَنِ الرَّفْعَةِ .

(٩) الْمَرَادُ : لَا يَظْهَرُ .

وليدلّف معه من كل بطن رجل ، فليشئوا (١)
من الماء ، وليمسسوا من الطيب ثمّ ليسسوا الركن ،
وليترقوا أبا قبّيس (٢) ، وليدع الرجل ، وليؤمن
القوم على دعائه ، فغثثتم ما شئتم (٢) .

قالت : فأصبحت - علم الله - مذكورة قد
ولّه قلبي ، واقشعرّ جلدي لما رأيت في منامي فقصصت
رؤياي ، ونمت في شعاب مكة ، فوالحرمة والحرم ،
ما بقي أبطحني إلا قال : هذا شيبّة الحمد ، هذا
عبد المطلب . فتنامت (٤) إليه رجالات قريش ، وهبط
إليه من كل بطن رجل ، فشئوا ومسوا واستلموا ،
ثم ارتقوا أبا قبّيس ، وطفقوا يزفون (٥) حواليه ،
ما أن يبلغ سعيهم مهله ، حتى إذا استوا بذروة
الجبل قام عبد المطلب ، ومعه رسول الله صلى الله

(١) شئ الماء : صبه متفرقاً ، وسنه : صبه مجتمعاً .

(٢) جبل بمكة .

(٣) أتاكم الغيث : وغثتم : فعل مبني للمجهول . .

(٤) تنامت إليه : تناهت إليه .

(٥) يزفون : يسرعون الخطو مع تقارب وسكون .

عليه ، غلامٌ قد أَيْمَعَ أو كَرْبَ (١) ، فَرَفَعَ يدهُ إلى
السَّمَاءِ وقال :

اللَّهُمَّ كاشِفَ الكُربةِ ، وِسادَ الحِلَّةِ ، أَنْتَ عالِمٌ (٢)
غَيْرَ معلَمٍ ، مَسْئُولٌ غَيْرَ مُبْتَخَلٍّ هَذِهِ عَبْدُكَ (٣)
وإِماؤُكَ بَعْدَرَاتٍ (٤) حَرَمُكَ ، يَشْكُونَ إِلَيْكَ سَنَتَهُمْ
الَّتِي أَذْهَبْتَ الظِّلْفَ وَالْخُفَّ (٥) ، فَاسْمَعَنَّ اللَّهُمَّ لَنَا ،
وَأَمْطِرَنَّ غَيْثًا مُغْنِدِقًا مَرِيحًا (٦) . فَمَا رَامُوا الكَعْبَةَ (٧)
حَتَّى تَفْجَرَتِ السَّمَاءُ بِمَائِهَا ، وَكَظَّتْ الوَادِي بِشَجِيحِهِ (٨)
فَلَسَمِعَتْ شَيْخَانِ قَرِيشٍ وَجُلَّتَتْهَا : عَبْدُ اللَّهِ بْنِ
جُدْعَانَ ، وَحَرْبَ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَهَشَامَ بْنِ الْمَغِيرَةِ
يَقُولُونَ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ : هَنِيئًا لَكَ أَبَا الْبَطْشَاءِ هَنِيئًا لَكَ .

* * *

(١) كَرْبٍ . أَوْشَكَ .

(٢) فِي أَسَدِ الْغَايَةِ : أَنْتَ معلَمٌ .

(٣) عَبْدُكَ : عبيدُكَ .

(٤) عَذَرَاتٍ : أَفْنِيَّةٌ .

(٥) الْمَرَادُ : الْغَمُّ وَالْإِبْلُ .

(٦) مَرِيحٌ : تَرْتَعُ فِيهِ الدَّوَابُّ .

(٧) رَامَ يَرِمُ : فَارَقَ .

(٨) الشَّجِيحُ : السَّيْلُ .

هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ (١)

قالت هندُ بنتُ عُتْبَةَ لأبيها : إني امرأةٌ قد ملكتُ أمري ، فلا تزوجني رجلاً حتى تعرضه عليّ . فقال : لكِ ذلك . وقال لها ذاتَ يومٍ : إنَّه قد خطَبَكَ رجلانِ من قومك ، ولستُ مُسَمِّياً لك واحداً منهما ، حتى أصفه لك ، أمّا الأولُ ففي الشَّرَفِ الصِّمِيمِ ، والحَسَبِ الكريمِ ، تخالين به هوجاً من غفلته ، وذلك إسجَاحٌ (٢) من شيمته ، حَسَنُ الصُّحَابَةِ ، سريعُ الإجابة ، إن تابعتَه تابعتِ ، وإن ملتِ كان معكِ ، تقضين عليه في ماله ، وتكتفين برأيكِ عن مشورته .

وأما الآخرُ ففي الحَسَبِ الحَسِيبِ ، والرأي الأريب ، بَدْرُ أرومته ، وعزُّ عَشيرته ، يؤدِّبُ أهله ولا يؤدِّبونه ؛ إن اتَّبَعُوهُ أسهلَ بهم ، وإن جانبُوهُ توعَّرَ عنهم ، شديدُ الغَيِّرةِ ، سريعُ الطَّيِّرةِ ، ضَعْبُ

(١) هند بنت عتبة القرشية الهاشمية زوج أبي سفيان ، أسلمت يوم الفتح ، وعفا عنها الرسول . بعد تمثيلها بحمزة بعد أن قتل ، وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب .

(٢) الإسجَاح : حسن العفو .

حجّابِ القُبَّةِ ، إن حَاجَ فغير مَنزور (١) ، وإن
نُوزع فغيرُ مَنقُور ، قد بينتُ لك كِلَيْهِمَا . .

قالت : أما الأول فسيّدُ مضِياعٍ لكريمته ، مُواتٍ
لها ، فما عسى إن لم تَعْتَصِرْ أنْ تَلِينَ بعد إِبائِها ،
وتَضِيعَ تحتَ خبائِها ؛ إن جاعتهُ بولدٍ أَحمَقَتْ وإن
أُنْجِبَتْ فَعَنَ خَطَأً ما أُنْجِبَتْ . اطوِ ذَكَرَ هَذَا عَنِّي
لا تُسَمِّهِ لِي .

وأما الآخرُ فَبَعْلُ الحُرَّةِ الكَرِيمَةِ ، إني لأَخْلَقُ
هذا لوامِقَةً ، وإني له لِمُوافِقَةٍ ، وإني لأَخْذُهُ بِأَدَبِ
البَعْلِ ، معَ ازومي قُبَّتِي وَقَلْبِي تَلَفَّتِي ، وإنَّ السَّلِيلَ
بِئْسَى وَبَيْنَهُ لِحَرِيٌّ أَنْ يَكُونَ المَدَافِعَ عَن حَرِيمِ
عَشِيرَتِهِ ، الذائِدَ عَن كَتِيبَتِهَا المَحَامِي عَن حَقِيقَتِهَا ،
المُتَشَبِّتَ لأَرْوَمَتِهَا ، غَيْرَ مُشْتَوَاكِلٍ وَلَا زُمَيْلٍ (٢)
عندَ صَعَصَعَةِ (٣) الحروبِ .

(١) غير منزور : غير قليل في حجته .

(٢) الزميل : الضعيف .

(٣) صعصعة الحروب : حركتها أو اضطرابها .

قال : ذلك أبو سفيان بن حرب . قالت : فزوجته
ولا تُلْقِنِي إِيَّاهُ إِقَامَةَ الشَّكْسِ وَلَا تَسْمُهُ سَوِّمَ
الضَّرْسِ (١) ، ثم استخبر الله عز وجل في السماء
بَسْخَرُكَ فِي الْقَضَاءِ . فزوجها أبا سفيان . وكان الآخرُ
سهيل بن عمرو (٢) .

* * *

رُؤْيَا عَاتِكَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (٣)

كانت عاتكة بنت عبد المطلب عمّة رسول
الله صلى الله عليه ، ساكنة بمكة مع أخيها العباس بن
عبد المطلب ، فرأت رؤيا قبل يوم بدر ، وقبل قدوم
ضمضم عليهم ، ففرغت منها ، فأرسلت إلى أخيها
العبّاس بن عبد المطلب من ليلتها ، فجاءها فقالت :

(١) الضرس : الشيء الخلق .

(٢) سهيل بن عمرو القرشي أحد أشراف قريش ، وهو الذي منع
قريشاً عن الارتداد بعد وفاة الرسول ، خرج إلى الشام مجاهداً واستشهد
سنة ٥١٤ هـ .

(٣) عاتكة بنت عبد المطلب ، اختلف في إسلامها ، فقال بعض
العلماء : لم يسلم من عمات النبي غير صفية .

رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا قَدْ أَشْفَقْتُ مِنْهَا ، وَخَشِيتُ عَلَى قَوْمِكَ
الْمُلْكَةَ . قَالَ : وَمَاذَا رَأَيْتِ ؟ قَالَتْ : لَنْ أَحْدَثُكَ
حَتَّى تَعَاهِدَنِي أَلَا تَذَكَّرُهَا لِقَوْمِكَ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ سَمِعُوهَا
أَذَوُّنَا وَأَسْمَعُونَا مَا لَا نُحِبُّ . فَعَاهَدَهَا الْعَبَّاسُ فَقَالَتْ :

رَأَيْتُ رَاكِبًا أَقْبَلَ عَلَى رَاحِلَةٍ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ يَصْبِيحُ
بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا آلَ غُدَّرَ (١) ، اُخْرَجُوا فِي لَيْلَتَيْنِ
أَوْ ثَلَاثٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَصْبِيحُ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ عَلَى رَاحِلَتِهِ
فَصَاحَ ثَلَاثَ صَيِّحَاتٍ ، وَمَالَ عَلَيْهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ
وَالصَّبِيَّانُ ، وَفَزَعَ النَّاسُ لَهُ أَشَدَّ الْفَزَعِ . قَالَتْ :
ثُمَّ أَرَاهُ مَثَلًا عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَصَاحَ
ثَلَاثَ صَيِّحَاتٍ فَقَالَ : يَا آلَ غُدَّرَ ، يَا آلَ فُجَّرَ (٢)
اُخْرَجُوا فِي لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ . ثُمَّ أَرَاهُ مَثَلًا عَلَى أَبِي
قُبَيْسٍ كَذَلِكَ يَقُولُ يَا آلَ غُدَّرَ وَيَا آلَ فُجَّرَ حَتَّى أَسْمَعَ
مَنْ بَيْنَ الْأَنْخَشَبِيِّينَ (٣) مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، ثُمَّ عَمَدَ
لِصَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ فَتَزَعَهَا مِنْ أَصْلِهَا ثُمَّ أَرْسَلَهَا عَلَى أَهْلِ

(١) غدر : معدول عن غادر .

(٢) فجر : معدول عن فاجر .

(٣) الأنخشبانيان : جبلان يضافان تارة لمكة وتارة لمي .

مكة ، فأقبلت الصخرة لها حسٌ شديدٌ ، حتى إذا كانت عند أصلِ الجبلِ ارفضتْ ، فلا أعلمُ بمكة بيتاً ولا داراً إلا وقد دخلتها فلقةً من تلك الصخرة ، فقد خشيتُ على قومك .

ففرعَ من رؤياها العباسُ ثم خرجَ من عندها ، فلقِيَ الوايدَ بنَ عُقبة بنِ ربيعة من آخرِ تلكَ الليلة ، وكان خليلاً للعباس ، فقصَّ عليه رؤيا عاتكة وأمره ألا يذكرها لأحد ، فذكرها لأبيه عتبة ، وذكرها عتبة لأخيه شيبه ، فارتفع الحديثُ حتى بلغَ أباً جهلٍ واستفاضَ في أهلِ مكة .

* * *

فاطمة بنتُ عبدِ الملكِ بنِ مروان

روي عن عطاء ، قال : قلت لفاطمة بنتِ عبد الملك : أخبريني عن عُمَرَ بن عبد العزيز . قالت : أفعل ، ولو كان حياً ما فعلت . إن عمرًا — رحمه الله — كان قد فرَّغَ للمسامينِ نفسه ، ولأموارهم ذهنه ، فكان إذا أمسى مساءً لم يفرَّغْ فيه من حوائج الناس في يومه دعا

بسرّاجه الذي كان يُسَرِّجُ له من ماله ثم صلى ركعتين ،
ثم أقعَى واضعاً رأسه على يديه ، تسيلُ دموعُه على
خديّه يشهقُ الشهقة تكادُ ينصدعُ لها قلبه ، أو تخرجُ
لها نفسه ، حتى يرى الصُّبحَ .

وأصبح صائماً فدنوتُ منه فقلت : يا أمير المؤمنين ،
الشيء كان منك ما كان ؟ قال : أجل ، فعليكِ بشأنك ،
وخلّيني وشأني . فقلت : إني أرجو أن أتعظَ . قال :
إذا أخبرك ، إني نظرتُ قد وجدتُني وليتُ أمرَ هذه
الامةِ أحمرها وأسودها ، ثم ذكرتُ الفقيرَ الجائعَ ،
والغريبَ الضائعَ ، والأسيرَ المقهورَ ، وذا المال القليلَ
والعيالَ الكثيرَ ، وأشياءَ من ذلك في أقاصي البلاد ،
وأطرافِ الأرضِ ، فعلمتُ أن الله عزَّ وجلَّ سائلي
عنهم ، وأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حجيجي (١) ،
لا يقبلُ الله مني فيهم معذرةً ، ولا يقومُ لي مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم حجة ، فرحمتُ والله يا فاطمةُ

(١) حجيج المرء : من يحاجه ويجادله .

نَفْسِي رَحْمَةً دَمَعَتْ لَهَا عَيْنِي ، وَوَجَّعَ لَهَا قَلْبِي ، فَأَنَا
كَلِّمًا أَزْدَدْتُ ذِكْرًا أَزْدَدْتُ خَوْفًا فَأَيْقِظِي أَوْدَاعِي .

* * *

أُمُّ سَلَمَةَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ

في حديث أم سلمة أنها أتت عائشة لما أرادت
الخروج إلى البصرة فقالت لها :

إِنَّكَ سُدَّةٌ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ،
وَحِجَابُكَ مَضْرُوبٌ عَلَى حُرْمَتِهِ ، وَقَدْ جَمَعَ الْقُرْآنُ
ذَيْلَكَ فَلَا تَتَنَدَّحِيهِ (١) وَسَكَّنَ عَقِيرَكَ فَلَا تُصْنَحِرِيهَا .
اللَّهُ مِنْ وَارِءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، لَوْ أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّعِدَ إِلَيْكَ عَهْدًا . عُلَّتِ عُلَّتِ (٢) بَلْ
قَدْ نَهَاكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْفُرْطَةِ (٣) فِي
الْبِلَادِ ، إِنَّ عَمُودَ الْإِسْلَامِ لَا يُثَابُ (٤) بِالنِّسَاءِ إِنَّ مَالَ

(١) لَا تَتَنَدَّحِيهِ : لَا تَتَوَسَّعِي بِالْحَرَكَةِ وَالْخُرُوجِ . وَعَقِيرُكَ : مِنْ
عَقْرِ الدَّارِ .

(٢) عُلَّتِ : مِنْ الْعَوْلِ ، وَهُوَ الْمِيلُ .

(٣) الْفُرْطَةُ : مِنَ الْفُرْطِ وَهُوَ السَّبْقُ وَالتَّقَدُّمُ .

(٤) لَا يُثَابُ : لَا يُصْلَحُ ، مِنْ ثَابَ الرَّجُلُ . إِذَا صُلِحَ بَدَنُهُ .

ولايُرأب (١) بهن أن صُدع ، حُمّادياتُ النساءِ غص
الأطرافِ ، ونحفَرُ الأعراضِ ، وقصر الوهّازة (٢) .

* * *

مُلْتَقَطَاتٌ مِنْ كَلَامِهِنَّ

قالت هندُ بنتُ عتبةَ وقد عُرِّيتُ عن يزيدِ بنِ
أبي سفيان (٣) لما مات فقيل لها : إنا لنرجو أن يكون في
معاويةَ خلفاً منه . قالت : أو مثلُ معاويةَ يكون خلفاً من
أحد ؟ والله لو جُمعت العربُ من أقطارها ثم رُمي به فيها
لخرجَ من أيّها شاء .

قالت خالدةُ بنتُ هاشمِ بنِ عبدِ منافٍ لأخٍ لها - وقد
سمعتُه تجّهّم صديقاً له : أيُّ أخيّ ، لا تطلع من الكلام
إلا ما قد رَوّأت (٤) فيه قبل ذلك ، ومزجته بالحلم ،

(١) يرأب : يصلح .

(٢) الوهّازة : مشية الخفّرات .

(٣) يزيد بن أبي سفيان صحابي ، أسلم يوم الفتح ، وشهد غزوة
حنين ، وهو أحد القادة الذين وجههم أبو بكر إلى الشام ، وولي فلسطين
لعمر ، وتوفي سنة ٥١٨ هـ .

(٤) رَوّأت في الشيء : نظر إليه وعرف عاقبته .

وداويته بالرقيق ، فإن ذلك أشبه بك . فسمعها أبوها
هاشم فقام إليها فاعتنقها وقبّلها وقال : واهاً لك
ياقُبّة الديّاج فلُقبت بذلك .

قالت عائشةُ للنبي عليه السلام وقد دخل عليها :
أين كنت يا رسول الله ؟ قال : « كنتُ عندَ أمِّ سلمة . »
قالت : أما تشبّع ؟ فتبسّم . وقالت : يا رسول الله ،
لو مررتَ بعدُ وتين (١) لإحداهما عافيةٌ لم يرعها أحد ،
وأخرى قد رعّاها الناسُ ، أيّها كنتَ تنزلُ ؟ قال :
« بالعافيةِ الي لم يرعها الناسُ » قالت : فليستُ كأحدٍ
من نسائك .

روى أن عمرَ نَهى أبا سفيانَ عن رشِّ بابِ منزله
لئلا يمرَّ به الحاجُّ فيزلقون فيه . فأم يئته . ومرتْ عمر
فزأقَ ببابه فعلاه بالدرة وقال : ألم آمرُك ألا تفعلَ هذا .
فوضعَ أبو سفيانَ سبّابته على فيه . فقال عمرُ : الحمدُ لله
الذي أراي أبا سفيانَ ببَطحاءِ مكةَ أضربُه فلا ينتصرُ ،
وأمُرُه فيأتمرُ . فسمعتُه هندُ بنتُ عتبة فقالت : إحمده
يا عمرُ فإنك إن تَحْمَدُه فقد أراك عطيماً .

* * *

(١) العدو : شاطئ الوادي أو جانبه .

الباب الثاني

نكت من كلام نساء ومستحسن جواباتهن والفاظهن

مرت امرأة جميلة على مسجد بني نُمَيْرٍ بالبصرة
وعليه جماعة منهم فقال بعضهم : ما أكبر عَجِيزَتِها ،
وقال آخر : إنها مَلْفُوفَةٌ . وقال آخر : أنا أجيشكم
بخبزها . فتبعها وضرب يده على عَجِيزَتِها . قال :
فالتفت إليه وقالت : ((الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْمُشْتَرِينَ)) (١) ثم انصرفت إلى بني نُمَيْرٍ فقالت :
يا بني نُمَيْرِ . والله ما حفظتُهم في قول الله جلَّ وعزَّ ،
ولا قول الشاعر ، قال الله تبارك وتعالى : ((قُلْ
لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)) (٢) وقال الشاعر :

(١) سورة البقرة : ١٤٧ .

(٢) سورة النور : ٣٠ .

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنْكَ مِنْ نُسَيْرٍ
 فَلَ كَعْبَاءَ بَاغَتْ وَلَا كِلَابَا (١)
 قَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ نُسَيْرٍ وَحَضَرَتْهَا الْوَفَاءُ ، وَأَهْلُهَا
 يَجْتَمِعُونَ : مَنْ الَّذِي يَقُولُ :
 لَعَمْرُكَ مَارْمَاحُ بَنِي نُسَيْرٍ
 بِطَائِشَةِ الصُّدُورِ وَلَا قِصَارِ (٢)
 قَالُوا : زِيَادُ الْأَعْجَمِ (٣) . قَالَتْ : فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ
 أَنَّ لَهُ الثُّلَاثَ مِنْ مَالِي . وَكَانَ كَثِيرًا .
 وَقَالَتْ امْرَأَةٌ لَزَوْجِهَا : إِنْ أَكَلْتُكَ لَا قِتِيفَ ، (٤) ،
 وَإِنْ شَرِبْتُكَ لَا شَتِفَ ، وَإِنْ ضَجَعْتُكَ لَا لَتِفَ ،
 تَنَامُ لَيْلَةَ تَخَافُ ، وَتَشْبَعُ لَيْلَةَ تَضَافُ .

-
- (١) الببت بلخير . البيان والتبيين : ٢٤٣/٢ ، وذكر الجاحظ
 بعدها : وأخلق بهذا الحديث أن يكون له لدا .
 (٢) مختار الأغاني : ١٣٧/٣
 (٣) زياد بن سليمان ، لقب بالأعجم لغلبة العجمة على لسانه ، شاعر
 جزل اللفظ ، ولد ونشأ بأصفهان ، وأقام بخراسان إلى أن مات .
 (٤) الاقتفاف : الاتيان على جميع الطعام شرها .

طَلَّقَ أَعْرَابِي امْرَأَتَهُ فَقَالَتْ لَهُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ؛
لَقَدْ كُنْتُ كَثِيرَ الْمَرْقِ طَيِّبِ الْعَرَقِ ، قَلِيلَ الْأَرْقِ ،
قَالَ : وَأَنْتِ فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ؛ لَقَدْ كُنْتُ لِلْيَدَةِ
الْمُعْتَنَقِ ، عِنْدَ الْكَرْمِ وَالْأَرْقِ ، وَلَكِنْ مَا قَضَى اللَّهُ
قَدْ سَبَقَ .

تَزَوَّجَ أَعْرَابِي امْرَأَةً أَشْرَفَ مِنْهُ حَسَبًا وَنَسَبًا فَقَالَ :
يَا هَذِهِ : إِنَّكَ مَهْزُولَةٌ . فَقَالَتْ : هُزَالِي أَوْ بَلْخَنِي بَيْتَاكَ .
قَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَقَدْ دُفِعَ إِلَيْهَا عَلَيْكَ لَتَمْضِغَنِي :
مَا فِيهِ إِلَّا تَعَبُ الْأَضْرَاسِ وَخَيْبَةُ الْحَنْجَرَةِ .

نَظَرَ رَجُلٌ إِلَى امْرَأَتَيْنِ يَتَلَاَعَبَانِ فَقَالَ : مَرًّا لَعْنُكُمَا
اللَّهُ فَإِنَّكَ صَوَاحِبَاتُ يُوسُفَ . فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا :
يَا عَمِّي فَمَنْ رَمَى بِهِ فِي الْجُبِّ . نَحْنُ أَوْ أَنْتُمْ ؟
وَمَرَّتْ بَجَارِيَّةٌ بِقَوْمٍ وَمَعَهَا طَبَّاقٌ مَخْطُوعٌ فَقَالَ
بَعْضُهُمْ : أَيُّ شَيْءٍ مَعَكَ عَلَى الطَّبَقِ ؟ قَالَتْ : فِيلَمَ
غَطَّيْنَاهُ ؟ .

قَالَ الْجَاهِلُ : وَمَنِ الْأَسْجَاعِ الْحَسَنَةِ قَوْلُ
الْأَعْرَابِيَّةِ حِينَ خَاصِمَتْ ابْنَهَا إِلَى عَامِلِ الْمَاءِ : أَمَا كَانَ

بطيني لك وعاء؟ أما كان حـجـري لك فناء؟ أما كان
نديي لك سقاء .

وقالت امرأة : أصبحنا ما برقـد لنا فرّس* ، ولا ينام
لنا حـرّس* .

مرّ رجل بامرأة من غاضرة* ، وإذا ابنٌ لها مُسَجّسٌ
بين يديها . وهي تقول : يرحمك الله يا بني . فوالله ما كان
مالك لبطنك . ولا أمرّك لعرسك ، ولا كنت إلا لـيـنّ
العطفة . يرضيك أقلُّ مما يُسـخـطـك . قال : فقلت
لها : يا أمّه* ، ألك منه خـلـفٌ؟ قالت : بلى ما هو خير
منه . ثوابُ الله والصبرُ على المصيبة .

ولما قُتل الفضلُ بنُ سهـل (١) دخل المأمونُ
إلى أمّه يعزيها فيه . وقال : يا أمّه* ؛ لا تحزني على الفضل ؛
فلاني خلفٌ لك منه . فقالت له : وكيف لا أحزنُ على
ولد عوّضي خلفاً مثلك؟ فتعجّب المأمونُ من جوابها .
وكان يقول : ما سمعتُ جواباً قطُّ كان أحسنَ منه ولا
أخـلـبَ للقلب .

(١) الفضل بن سهل ذو الرياستين وزير للمأمون كان عادلاً حكيماً .

حُكي أنَّ عَجُوزاً من الأعرابِ جالست في طريق
مكةَ إلى فتيانٍ من قُرَيْشٍ يشربون نبيذاً لهم ، فسقوها
قدحاً فطابت نفسها وتبسَّمت ثم سقوها قدحاً آخرَ ،
فاحمرَّ وجهُها وصحكت فسقوها قدحاً ثالثاً ، فقالت :
أخبروني عن نسائكم بالعراق ، أَيَشْرَبْنَ من هذا
الشرابِ : قالوا : نعم . قالت : زَنَيْنَ وربَّ الكعبةِ .
سُئِلت أعرابيةٌ فقيل لها : أتعرفين النُّجُومَ ؟ قالت :
سبحان الله أمّا أعرفُ أشياعاً وقوفاً عليَّ كلَّ ليلةٍ ؟
قِيلَ لامرأةٍ أُصِيبَتْ بولدها : كيفَ أنتِ والجنزَعُ ؟ .
قالت : لو رأيتُ فيه دَرَكَاً ما اخترتُ عليه ، ولو دامَ
لي لدُمْتُ له .

خَطَبَ رجلٌ ابنةَ عمٍّ له فأخبرها أبوها بذلك
فقالت : يا أَبَهْ ، سَلِّهْ مالي عنده ؟ فسأله فقال :
الطفُ برَّها ، وأحْمِلْ ذكراها ، وأعْصِ أمرها . فقالت :
زوَّجْنِيه .

لَمَّا أَهْدَيْتِ ابنةُ عبدِ الله بنِ جعفرٍ إلى الحجَّاجِ
نظر إليها في تلك الليلةِ وعَبَّرَتْهَا تَجُولُ في خَدَّها ،

فقال ممّ بأبي أنت ؟ . قالت : من شرفٍ اتّضع ،
ومن ضعة شرفت .

ولما كتب عبادُ الملكِ إلى الحمّاج بطلاقها قال لها :
إنّ أميرَ المؤمنين أمرني بطلاقكِ قالت : هو أبرُّ بي ممّن
روّجنيك .

حكّم بلالُ بنُ أبي بردة (١) بالتفريق بين رجل
وامرأته . فقالت له المرأة : يا بنَ أبي موسى
إنما بعيتُكم بالتفريق بين المسلمين .

نزلَ رجلٌ بامرأة من العرب فقال لها : هل من
لبنٍ أو طعام يُباع ؟ فقالت : إنك للثيم أو حديث عهد
باللثام . فاستحسن ذلكَ منها وخطبها فتزوجها .

حدّث بعضهم قال : خرجتُ إلى ناحية الطّفاوة (٢)
فإذا أنا بامرأةٍ لم أر أجملَ منها . فقلت : أيتها المرأة ،
إن كان لك زوجٌ فبارك اللهُ له فيك ، وإلاّ فأعلميني .

(١) بلال بن أبي بردة يتصل نسبه بأبي موسى الأشعري ، ولاء خالد
للمصري قضاء المصرية .

(٢) الطفاوة : حي من قيس بن عيلان .

قال : فقالت : وماتصنعُ بي وفيّ شيءٌ لأراكَ ترتضيه .
 قلت : وما هو ؟ قالت : شيبٌ في رأسي . قال : فثّنتُ
 عنانَ دابّتي راجعاً . فصاحتُ بي : على رِسْلِكَ
 أخبرك بشيء . فوقفتُ وقلتُ : ما هو يرحمك الله ؟
 فقالت : والله ما بلغتُ العشرين بعدُ ، وهذا رأسي -
 فكشفتُ عن عناقيدَ كالْحُمَمِ - وما رأيتُ في رأسي
 بياضاً قطّ ، ولكن أحببتُ أن تعلمَ أنا نكرهُ مثلَ ما يُكره
 منّا . وأنشدت :

أرى شَيْبَ الرِّجالِ من الغواني
 بموضعٍ شيبهنَّ من الرِّجالِ

قال : فرجعتُ خجلاً كاسفَ البال .
 وصفتُ امرأةً نساءً فقالت : كنّ صدّوعاً في
 صفّاً ليسَ لعاجزٍ فيهنَّ حظٌّ .

قيل لابنة الحُس (١) : من تريدن أن تتزوجي ؟
 فقالت : لأريدُهُ أنا فلان ولا ابنَ عمِّ فلان ، ولا الظَّريفَ

(١) هي هند بنت الحُس ، لها أخبار مروية في كتب الأدب .

ولا المتظرف ، ولا السمين اللحم ولكني أريدُه كسوباً
إذا غدا ، ضحكوكا إذا أتى .

وقيل لها : مَنْ أعظمُ الناس في عينك ؟ قالت : مَنْ
كانت لي إليه حاجة .

قيل لأعرابية قد حملت شاةً تبيعُها : بكم ؟
قالت : بكذا . قيل لها : أحسني . فتركت الشاة
ومرّت لتصرف . فقيل لها : ما هذا ؟ قالت : لم تقولوا :
أنقصي ، وإنما قلتم : أحسني . والإحسان تركُ الكل .

قالت قريبة الأعرابية : إذا كنت في غير قومك
فلا تنس نصيبك من الدّل .

قيل لأعرابية : ما أطيبُ الروائح ؟ قالت : بَدَن
تُحبه ، وولد تُربّه .

سأل رجل الخيزران (١) حاجة ، وأهدى إليها
هدية فردتها وكتبت إليه : إن كان الذي وجهته ثمننا
لرأي فيك فقد بخستني في القيمة ، وإن كان استزادة
فقد استغششتني في النصيحة .

(١) الخيزران : أم هارون الرشيد .

قتل قتيبة^(١) أبا امرأةٍ وأخاها وزوجها ثم قال لها :
أتعرفين أعدى لك مني ؟ قالت : نعم : نمسي طالبتني
بالغداء بعد من قتلت لي .

تقدمت امرأة إلى قاضٍ فقال لها القاضي : جئنا معك
شهودك كئاثم ؟ فسكتت فقال كاتبه : إن القاضي
يقول : جاء شهودك معك ؟ قالت : نعم . ثم قالت
للقاضي : ألا قلت كما قال كاتبك . كبر سنك ،
وذهب عقلك . وعظمت لحييتك فغطت على عقلك ،
وما رأيت ميتاً يحكم بين الأحياء غيرك .

قالت أعرابيةٌ لزوجها ، ورائته متهماًوما : إن
كان همك بالدنيا فقد فرغ الله منها ، وإن كان الآخرة
فزادك الله همّاً بها .

قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول : إلهي ،
ما أضيق الطريق على من لم تكن دليلته ، وأوحشه على
من لم تكن أنيسه !

قالت عائشةُ للخنساء : إلى كم تبكين على صخرٍ ،

(١) قائد أمير ولي خراسان .

وإنّما هو جَمْرَةٌ في النار ؟ قالت : ذاك أشدُّ لجزعي عليه .

جاءت امرأةٌ إلى عديّ بن أرطاة (١) تستعديه على زوجها ، وتشكو أنّه عنينٌ لا يأتيها ، فقال عدي :
إنّني لأستحيي للمرأة أن تستعدي على زوجها من مثل هذا ،
فقلت : ولم لأرغبُ فيما رغبتُ فيه أمّك فاعلّ الله
أن يرزقني ابناً مثلك .

وقالت أعرابيةٌ لرجلٍ : مالك تُعطي ولا تُعِدُّ ؟
فقال لها : مالك وللوعد ؟ قالت : ينفسُ به الصبرُ ،
وينتشر فيه الأمل ، وتطيبُ بذِكره النفسُ ، ويُرْجى
به العيشُ ، وتربحُ أنت به المرح بالوفاء .

قيل لامرأة : صفي لنا الناقةَ النجيبةَ ، قالت :
كالعقربِ إذا هَوّتْ ، وكالحيةِ إذا التوتْ ، تطوي
الفلاةَ وما انطوتْ .

خطب أعرابي امرأةً وكان قصيراً فاحش القصر ،
عظيم الأنف جداً فكرهتهُ فقال : يا هذه ، قد عرّفتِ

(١) عدي بن أرطاة الفزاري ، ولي البصرة لعمر بن عبد العزيز .

شَرَفَنِي وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ كَرِيمُ الْمَعَاشِرَةِ ، مُحْتَمِلٌ الْمَكْرُوهَ .
 فَقَالَتْ : صَدَقْتُ مَعَ حَمَلِكَ هَذَا الْأَنْفَ أَرْبَعِينَ سَنَةً .
 اسْتَعْمَلَ الْمَنْصُورُ رَجُلًا عَلَى خِرَاسَانَ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ
 فِي حَاجَةٍ فَلَمْ تَرَ عِنْدَهُ غَنَاءً ، فَقَالَتْ : أَتَدْرِي لِمَ وَلَّاكَ
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا : قَالَتْ : لِيَنْظَرَ هَلْ يَسْتَقِيمُ
 أَمْرُ خِرَاسَانَ بِلَا وَالٍ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : نَخْطَبُ امْرَأَةً فَأَجَابَتْ ، فَقُلْتُ :
 إِنِّي سَيِّئُ الْخُلُقِ : فَقَالَتْ : أَسْوَأُ خُلُقًا مِنْكَ مَنْ يُلْجِئُكَ
 إِلَى سُوءِ الْخُلُقِ .

قِيلَ : إِنَّ الْحَسَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طَلَّقَ امْرَأَتَيْنِ
 قَرَشِيَّةً وَجُعْفِيَّةً وَبَعَثَ إِلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَشْرِينَ
 أَلْفًا . وَقَالَ لِلرَّسُولِ : احْفَظْ مَا تَقُولُ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا
 فَقَالَتِ الْقَرَشِيَّةُ : جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا . وَقَالَتِ الْجُعْفِيَّةُ :
 مَتَاعَ قَلْبِلٍ مِنْ حَبِيبٍ مَفَارِقٍ . فَرَاغَتْهُمَا وَطَلَّقَ الْأُخْرَى .

وكَانَتْ عِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ امْرَأَةٌ فَضَّجِيرٌ
 يَوْمًا وَقَالَ : أَمْرُكَ فِي يَدِكَ . فَقَالَتْ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ
 كَانَ فِي يَدِكَ عَشْرِينَ سَنَةً فَحَفِظْتَهُ ، أَفَأُضَيِّعُهُ فِي سَاعَةٍ

صارَ في يدي . قد رددتُ إليك حقّك . فأعجبه قولها
وأحسن صحبتها .

قالت الخيزران : قبح الله الحَدَمَ ليس لهم حزمُ
الرجالِ ولا رِقَّةُ النساءِ .

كتب المأمونُ إلى شِكْلَةَ (١) أمَّ إبراهيمَ بنِ المهدي (٢)
يتوعدّها فأجابته : أنا يا أميرَ المؤمنين أمُّ من أمهاتِكَ ،
فإن كان ابني عصَى اللهَ فيك فلا تعصّه فيّ ، والسلام .
عُرِضَتْ عَنّانُ ، جاريةُ الناطقيّ على الرشيد وهو
يتبخّر ، فقال لها : أتُحِبِّين أن أشتريكِ ؟ فقالت : ولمَ
لا يا أحسنَ الناسِ خَلْقًا وخَلُقًا ؟ فقال : أمّا الخَلْقُ
فقد رأيته ، فالخَلْقُ أنّي عَرَفْتِهِ ؟ قالت : رأيْتُ
شرارةً طاحتُ من المِجْسمرة فلمعتُ في خدّك فما
قطّبتُ لها ولا عاتبْتُ أحداً .

(١) شكلة أم إبراهيم بن المهدي ، سبيت ، وحملت إلى المنصور
فوهبها لأم ولده ، أخذها المهدي فولدت له إبراهيم .

(٢) إبراهيم بن المهدي أديب شاعر له صنعة في الغناء ، ولي الخلافة
بعد قتل الأمين ، ولما جاء المأمون استتر ثم استعطفه فعفا عنه .

كان معاوية^١ يمشي مع أمّته فَعَثَرَ ، فقالت له :
 قم لا رَفَعَكَ الله - وأعرابي^٢ ينظر إليه - فقال : لم
 تقولين له هذا ؟ فوالله إنني لأظنه سيسود قومه .
 فقالت . لا رفَعَه الله إن لم يسُدْ إلا قومه .

قال محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان :
 جمَعَتْنَا أمّنا فاطمة بنت الحسين عليه السلام فقالت :
 يا بنيّ إنّه والله ما نال أحد من أهل السّفْه بشفههم
 شيئاً ، ولا أدركوه من لذّاتهم إلا وقد ناله أهل
 المروءات بمروءاتهم . فاستتبروا بيسر الله .

لما قصّص المعتضد^(١) بني شيبان اصطفتى منهم
 عجوزاً سريعة الجواب فصيححة ، فكان يُغري بينها
 وبين الجلّساء . فجاءت يوماً فقعدت بلا إذن فقال لها
 خفيف السمرقندي الحاجب : أتجلسين بين يدي أمير
 المؤمنين ، ولم يأذن لك ؟ فقالت : أنت جار ذلك وحاجبه ،
 كان يجب أن تعرفي ما أعمل قبل دخولي إذ لم تكن

(١) هو أحمد بن الموصي ، الخليفة العباسي ، تولى الخلافة سنة ٢٧٩ هـ
 وتوفي سنة ٢٨٩ هـ ، وكان شجاعاً فاضلاً .

لي عادةً بمثله . ثم قامت . فتغافل المعتضد عنها فقالت :
يا سيداهُ ؛ أقيامٌ إلى الأبد ، فمتى ينقضي الأمد ؟
فضحك وأمرها بالجلوس . .

قالت هند بنت عتبةَ لأبي سفيانَ بنِ حَرْبٍ لما
رجع مُسلماً من عند رسول الله صلى الله عليه إلى مكة
في ليلة الفتح فصاح : يا معشرَ قريشٍ ، ألا إنِّي قد
أسلَمتُ ، فأسلموا ، فإن منحمداً قد أتاكم بما لا قبيلَ
لكم به . فأخذت هند رأسه وقالت : بثسَ طليعة القوم .
والله ما خدشتُ خدشاً . يا أهلَ مكة . عليكم
الحمية (١) الدسم فاقتلوه .

وقالت هند : إنَّما النساءُ أغلالٌ ، فليخزِ الرجلُ
غلاً لبيده .

وذكرت هندُ بنتُ المهلبِ النساءَ فقالت : مازيِّنٌ
بشيءٍ كأدبِ بارعٍ تحته لبُّ ظاهرٌ .

وقالت أيضاً : إذا رأيتم النعم مستدرةً فبادروا
بالشكر قبلَ حلولِ الزوالِ .

(١) الحميت : الزق . شبهته به إعظاماً لما قال .

قدمت ليلى الأنخيايئة على الحجاج ومدحتة . فقال :
يا غلام ، أعطيتها خمسمئة ، فقالت : أيها الأمير ،
اجعلها أدماً (١) . فقال قائل : إنما أمر لك بشيء
قالت : الأمير أكرم من ذلك . فجعلها إبلاً إنثى ،
استحياء . وإنما كان أمر لها بشيء أولاً .

كانت آمنة بنت سعيد بن العاص عند الوليد بن
عبد الملك ، فلما مات عبد الملك سعت بها إحدى
صرااتها إلى الوليد . وقالت : لم تبك على عبد الملك
كما بكّت نظائرها . فقال لها الوليد في ذلك : فقالت :
صدق القائل لك . أكنت قائية : يا ليتني بقيت حتى
نقتل أخا لي آخر كعمرو بن سعيد .

كانت ابنة هانيء بن قسيصة عند لقيط بن زُرارة ،
فقُتِل عنها وتزوجها رجل من أهلها ، فكان لا يزال
سراها تذكر لقيطاً . فقال لها ذات مرة : ما استحسنت
من لقيط ؟ فقالت : كل أموره كانت حسنة . ولكنني
أحذثك إنه خرج مرة إلى الصيد وقد انتشى ، فرجع

(١) الأدم . البيض من الجمال ، وهي بما تمدح .

إليّ وبضميصة نَضَحَ من دَمٍ صيدهِ والمِسْكُ يَضُوعُ
 من أعطافه ، ورائحةُ الشَّرَابِ من فيه . فضمني ضمةً
 وشمّني شمةً ، فليتني كنت ميتاً ثمةً . قال : ففعل
 زوجها مثل ذلك ثم ضمّها إليه وقال : أين أنا من لقيط ؟
 فقالت : ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان .

قالوا : كان ذو الإصبع العدواني (١) غيُوراً ،
 وكان له بناتٌ أربعٌ لا يزوّجهنَّ غيرةً ، فاستمع عليهنَّ
 مرّةً وقد خَلَوْنَ يتحدثنَ . فذكرنَ الأزواجَ حتّى
 قالت ، الصُّغرى منهنَّ : زَوْجٌ من عُدٍ خيرٌ من قُعود .
 فخطّبنَ فزوّجهنَّ .

ثم أسهلنَّ حَوَلاً ، ثم زارَ الكبرى فقال لها : كيف
 رأيتِ زوجك ؟ قالت : خيرٌ زوجٌ يكرمُ أهله ، ويتنسى
 فضله . قال : حظيت ورضيت . فمأسألكم ؟ قالت : خيرٌ
 مال . قال : وما هو ؟ قالت : الإبلُ ، نأكلُ لحمانها
 مِزَعاً ، ونشربُ ألبانها جُرْعاً ، وتحملنا وضعفَتنا معاً .
 فقال : زوجٌ كريمٌ ومالٌ عَمِيمٌ .

(١) ذو الإصبع العدواني . حُرثان بن عمرو ، شاعر فارس بن
 شعراء الجاهلية .

ثم زار الثانية فقال : كيف رأيت زوجك ؟ قالت :
يكرمُ الحليمةَ ويقرب الوسيلة (١) ، قال : فما مالكم ؟
قالت : التقرُّ قال : وما هي ؟ قالت : تألفُ الفينة ،
وتملأُ الإناء ، وتودك السقاء (٢) ، ونساءٌ مع نساء . قال :
رضيتِ وحظيتِ .

ثم زار الثالثة فقال : كيف رأيت زوجك ؟ فقالت :
لا سمحٌ بذيرٌ ، ولا بخيلٌ حكيرٌ (٣) . قال : فما لكم ؟
قالت : الميعزى . قال : وما هي ؟ قالت : لو كنا
نولدُها فطُماً ، ونسليخها آدمًا . لم نبغِ بها نعامًا .
فقال : جادةٌ مغنية (٤) .

ثم زار الرابعة فقال : كيف رأيت زوجك ؟
فقالت : شرٌّ زوجٌ ، يُكرِّمُ نفسه ، ويُهينُ عيرتهُ .
قال : فما مالكم ؟ قالت : شرٌّ مالٌ ، الضأنُ . قال :
وما هي ؟ قالت : جوفٌ يشبعن ، وهيمٌ لا ينقعن ،

(١) الوسيلة . الخاجة .

(٢) تودك : من الودك ، وهو الدسم .

(٣) الحكير : السوء العشرة .

(٤) جادة : مطعة .

وصُمُّ لا يسمعنَ ، وأمرَ مغويَّتهنَّ يتَّعنَ (١) . فقال :
أَتُنسَهَ امرأَةً بعضُ بَزْدٍ (٢) . فارساها مثلاً

قال الأصمعي : قيل لامرأة : علامَ تمنعينَ زوجك
القِصَّة (٣) ؟ فإنه بعثَلُ بِيكِ . ففالت : كَذَبَ واللَّهِ ،
إني لأُطاطِيءُ الوِسادَ وأُرْخِي اللُّبادَ (٤) .

قال بعضهم : سمعتَ أعرابيةً بالحجاز تَرْقِي رجالاً
من العين فقالت :

أُعِيذُكَ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ ، التي لا تجورُ عليها
هَامَّةٌ (٥) ، من شرِّ الجنِّ وشرِّ الإنسِ عامة ، وشرِّ
النَّظَرَةِ وَاللَّامَةِ (٦) . أَعِيذُكَ بِمَطْلَعِ الشَّمْسِ ، من
شرِّ ذي مَشْيٍ هَمَسَ ، وشرِّ ذي نظَرٍ خَمَسَ ،

(١) أي إن الشاة الواحدة قد تمع فيمع وراها باقي القطيع .

(٢) البز : الثياب .

(٣) القصة : افراع العذراء

(٤) نوع من القباء ؛ أو هو اللورد الي تفرس كالبساط .

(٥) الهامة : الواحدة من خنثاش الأرض نحو العقرب

(٦) اللامه . العين تصيب بالسوء

وشرّ ذي قولٍ دسّ ، من شرّ الحاسدين والحاسدات ،
والنّافسين والنّافسات ، والكائدين والكائدات .

نَشَرْتُ عَنْكَ بِنُشْرَةٍ نَشَارَ (١) ، عن رأسك ذي
الأشعار ، وعن عَيْنَيْكَ ذَوَاتِي الْأَشْفَار ، وعن فَيْلِكَ
ذِي الْمَحَارِ (٢) ، وَظَهْرِكَ ذِي الْفَقَار ، وَبَطْنِكَ ذِي
الْأَسْرَار ، وَفَرْجِكَ ذِي الْأَسْتَار ، وَيَدَيْكَ ذَوَاتِي
الْأَظْفَار ، وَرَجْلَيْكَ ذَوَاتِي الْآثَار ، وَذَيْلِكَ ذِي الْغُبَار ،
وعنك فضلاً وذا إزار ، وعن بيتك فَرْجاً وذا أَسْتَار .
رَشَشْتُ بِمَاءٍ بَارِدٍ نَاراً ، وَعَيْنِينَ وَأَشْفَاراً ، وَكَانَ
اللَّهُ لَكَ جَاراً .

ذُكِرَ أَنَّ الْجُمَانَةَ بِنْتَ الْمُهَاجِرِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ
نَظَرَتْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ يَرْقِي الْمَنْهَرَ ،
يَخْطُبُ بِالنَّاسِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ فَقَالَتْ حِينَ رَأَتْهُ رَقِيَ الْمَنْهَرُ :
أَيَا نَقَّارُ انْقُرْ . أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ فَوْقَهُ أَعْجِيبٌ مِنْ
بَنِي أُمَيَّةَ ، أَوْ صَقْرٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ لَقَالَ الْمَنْهَرُ :

(١) النُشْرَةُ : الرقية ، ونشر عنه : رقاه .

(٢) المحار : إما بمعنى الصدف تشبيهاً للأسنان به وإما بمعنى باطن الحنك

طَيْقُ طَيْق . قال : فَأَنْسِيْ كَلَامُهَا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الزُّبَيْرِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَأَتَى بِهَا فَقَالَ لَهَا : مَا الَّذِي بَلَغَنِي
عَنْكَ يَا لَكَّاع ؟ قالت : الحقُّ أبلغتَ يا أميرَ المؤمنين ،
قال : فما حملك على ذلك ؟ قالت : لا تعدُّ الحسنةُ
داماً (١) . والسَّخَطُ ليس براضي . ومع ذلك فما عدوتُ
فيما قلتُ لكَ أنْ نسبتُك إلى التَّواضعِ والدينِ ،
وعدوتُك إلى الحَيَلَاءِ والطَّمَعِ . ولئن ذاقُوا وبالَ أمرهم
لتَحْمَدَنَّ عاقبةَ شانك ، وليسَ من قال فكذبَ كمن
حدثَ وصَدَقَ . وأنتَ بالتَّجَاوِزِ جديرٌ ، ونحنُ للعفوِ
أهلٌ ، فاستُرْ عليَّ الحُرْمَةَ ، تستقيمُ النِّعْمَةُ ، فواللهِ
ما يرفعُكَ القولُ ولا يَضَعُكَ . وإنَّ قريشاً لتعلمُ
إنَّكَ عابِدُها وشجاعُها ، وسنانُها ولسانُها ، حاطةٌ
اللَّهِ لكَ دنياكَ ، وعصمتُ أخراكَ ، وألْهَمَكَ شُكْرَ
ما أوَّلَاك .

ذكر الأصمعيُّ عن أبان بن تغلب (٢) قال : خرجتُ
في طلبِ الكَلَأِ ، فانتَهيتُ إلى ماءٍ من مياهِ كَلْبٍ ،

(١) الذام : العيب ، والقول من الأمثال .

(٢) أبان بن تغلب ، ففيه معروف وقاريء مشهور .

وإذا أعرابيٌّ على ذلك الماء ومعه كتابٌ منشورٌ يقرؤه
عليهم ، وجعل يتوعدّهم . فقالت له أمّه وهي في خباثتها .
وكانت متّعدةً كبيراً : ويلّك ! دعي من أساطيرك .
لا تحمِلْ عُقوبَتَكَ على من لم يحْمِلْ عليك ، ولا تتطاولُ
على من لا يتطاولُ عليك . فإنّك لا تدري ما يُقَرِّبُكَ إليه
حوادثُ الدهور ، ولعلّ من صَيَّرَكَ إلى هذا اليوم أن
يُصَيِّرَ غيرَكَ إلى مثله غداً ، فينتقم منك أكثر ممّا
انتقمت منه ، فاكفُفْ عما أسمع منك ألم تسمع إلى
قول الأوّل (١) .

لا تحقِّرنَّ الفقيرَ علَّكَ أن
تَرْكِعَ يوماً والدَّهرُ قد رَفَعَهُ

قال مهدي بن أبان : قلت لولادة العبدية — وكانت
من أعقل النساء — إنّي أريد الحجّ فأوصيني . قالت :
أوجِزْ فأبْلِغْ ، أم أطيلُ فأحْكِمْ . فقلت : ما شئت .
قالت : جُدْ تَسُدْ . واصبرْ تفز . قلت : أيضاً قالت :
لا يتعدَّ غضبُك حلمَكَ ، ولا هواكَ عِلْمَكَ ، وقِ

(١) هو الأضبط بن قريع . شاعر جاهلي .

دينك بدنياك ، وفير عيرضك بعرضك ، وتفضل
تخدم ، واحلم تقدم .

قلت : فمن أستعين ؟ قالت : الله . قلت : من
الناس ؟ قالت : الجند النشيط ، والناصح الأمين .
قلت : ومن أستشير ؟ قالت : المجرب الكيس ،
أو الأديب الصغير .

قلت : فمن أستصحب ؟ قالت : الصديق المسلم ،
أو المداجي المتكرم . ثم قالت : يا أبتاه ، إنك تفيد
إلى ملك الملوك ، فانظر كيف يكون مقامك بين يديه .

روى أن رسول الله صلى الله عليه خرج ليلة هاجر
من مكة إلى المدينة وأبو بكر رحمه الله وعامر بن
فهيضة (١) ودلياهما اللبني عبد الله بن أريقط .
فدروا على خيمة أم معبد الخزاعية (٢) - وكانت
امرأة برزة جلدة نحتني بفناء الكعبة ، ثم تسقي

(١) عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، من السابقين إلى الإسلام ، شهد
ندراً وأحداً ، وقتل يوم بئر معونة .

(٢) اسمها عاتكة ، وهي أخت حبيش بن خالد .

وَتُطْعَمُ — فَسَأَلُولَهَا لَحْمًا وَتَمَرًا لِيَشْتَرَوْهُ مِنْهَا ، فَلَمْ يَصِيبُوا
عِنْدَهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، وَكَانَ الْقَوْمُ مُرْمِلِينَ مُسْنِينَ (١) ،
فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَى شَاةٍ فِي كَيْسَرِ الْحَيْمَةِ .
فَقَالَ : مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبِد ؟ قَالَتْ : شَاةٌ نَحَلَفْتُهَا
بِالْجَهْدِ عَنْ الْغَنَمِ . قَالَ : هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ ؟ قَالَتْ : هِيَ
أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ : أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَحْلُبُهَا . قَالَتْ :
يَا بِي وَأُمِّي أَنْتَ . نَعَمْ ، إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلَبًا فَاحْلُبْهَا . فَدَعَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِالشَّاةِ فَمَسَحَ ضَرْعَهَا ، وَسَقَى
اللَّهُ وَدَعَا لَهَا فِي شَاتِيهَا ، فَتَفَاجَّتْ (٢) عَايَهُ وَدَرَّتْ
وَأَخْتَرَتْ (٣) ، وَدَعَا بِإِنَاءٍ يُرْبِضُ الرَّهْطَ (٤) فَحَنَبَ
فِيهِ ثَجًّا (٥) حَتَّى غَلَبَهُ الشَّمَالُ (٦) . ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى
رَوَيْتَ ، وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا ، ثُمَّ شَرَبَ آخِرَهُمْ

-
- (١) أصابتهم السنة أي الفقر .
(٢) تفاجت : بالغت في تفريج رجلها .
(٢) اخترت : أكثرت .
(٤) يربض الرهط : يرويه ويشبعهم .
(٥) ثجا : لبنا سائلا كثيرا .
(٦) الشمال : جمع شمالة وهي الرغوة .

وقال : سَأَقِي الْقَوْمَ آخِرُهُمْ شُرْبًا . فشرَبُوا جميعاً عللاً
بعدنَهَلْ ، ثم أراضُوا (١) ، ثم حلب فيه ثانياً عوداً على
بدءٍ حتَّى مَلَأَ الإِنَاءُ ، ثم غادره عندهما وباعها وارتحلوا
عنها .

كانت حميدةُ بنتُ النعمانِ (٢) بنِ بشيرِ بنِ سعد
تحت رَوْحِ بنِ زنباعِ (٣) فنظر إليها يوماً تنظرُ إلى قومه
جُلُدامٍ وقد اجتمعوا عنده فلامها . فقالت : وهل أرى
إلا جُلُداماً ؟ فوالله ما أحبُّ الحلالَ منهم فكيف الحرام .

قالت الجُمَمانَةُ بنتُ قيسِ بنِ زُهَيرِ العبَّاسيِّ لِأبيها
لَمَّا تَرَقَّ ما بينه (٤) وبين الربيعِ بنِ زيادِ (٥) في الدَّرْعِ :
دعني أناظرُ جدي ، فإن صالِحَ الأمرِ بينكما ، وإلا كنتُ
من وراء رأيك . فأذن لها ، فأَتَتِ الربيعَ فقالت : إن كان

(١) أراضه : صب اللبن على اللبن وروي .

(٢) شاعرة مجيدة ، كانت تهجو زوجها رَوْحَ بنِ زنباعِ .

(٣) رَوْحُ بنِ زنباعِ أميرُ فلسطين ، كان ذا رأيٍ مقدما عند

الخلفاء توفي سنة ٥٨٤ .

(٤) شرق : اختلط واضطرب .

(٥) الربيع بن زياد العبَّاسي أحد شجعان العرب .

قَيْسٌ أَبِي فَإِنَّكَ يَا رَبِّيعُ جَدِّي ، وما يجبُ له من حقِّ
الأبوة عليَّ إلا كالذي يجب عليك من حقِّ البنوة لي .
والرأيُ الصحيحُ تبعثُه العنايةُ ، وتُجَلِّي عن متحضره
النصيحة . إِنَّكَ قد ظلمتَ قيساً بأخذِ درْعِه ، وأجد
مكفآتَه إِيَّاكَ سوءَ غرمه ، والمُعَارِضُ مُنْتَصِرٌ ،
والبادي أظلم ، وليس قيسٌ ممَّن يخوَّف بالوعيد ولا
يردعه التهديد ، فلا تركزنَّ إلى مُتَنَابِلَتِه ، فالحرَمُ في
مُتَارَكَتِه ، والحربُ مُتَلَفَةٌ للعباد ، ذَهَابَةٌ بالطَّارِفِ
والتَّالِدِ ، والسَّلامُ أرخى للئال . وأبقى لأنفسِ
الرَّجَالِ . وبحقِّ أقول ، لقد صدَّعتُ بحُكْمِ ، وما يدفعُ
قولي إلا غيرُ ذي فهم .

دخَلَ عبدُ اللَّهِ بنُ الزَّبيرِ على أمِّه أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ
في اليوم الذي قُتِلَ فيه ، فقال : يا أمَّةُ ! خذاني النَّاسُ
حتى أهلي وولدي ولم يبقَ معي إلا اليسيرُ ومن لا دَفْعُ
عنده أكثرَ من صبرِ ساعةٍ من النَّهارِ . وقد أعطاني القومُ
ما أردتُ من الدُّنيا فما رأيُكَ ؟ قالت : إن كنتَ على
حقٍّ تدعو إليه فامضِ عليه ، فقد قُتِلَ عليه أصحابُكَ ،
ولا تُمَكِّنْ من رقبتيك غيلمانَ بني أُمَيَّةٍ فيشاعَبُوا بِكَ .

وإن قلت : إني كنتُ على حقٍّ فلاماً وهن أصحابي
 صَعُفَتْ نِيَّتِي فَايَسَ هَذَا فَعَلَ الْأَحْرَارِ ، وَلَا فَعَلَ
 مِنْ فِيهِ خَيْرٌ ، كَمْ نَحْلُو دُكَّ فِي الدُّنْيَا ؟ الْقَتْلُ أَحْسَنُ مَا تَقَعُ
 بِهِ يَا بَنَ الزَّبِيرِ . وَاللَّهِ لَضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ فِي عِزٍّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
 ضَرْبَةٍ بِسَوْطٍ فِي ذُلٍّ .

قال لها : هذا والله رأيي ، والذي قمتُ به داعياً إلى
 الله . والله ما دعاني إلى الخروج إلاَّ الغضبُ لله عز وجل
 أن تُهَيِّتَكَ محارمه . ولكنني أحببتُ أن أطلعَ رأيك
 فيزيديني قُوَّةً وَبَصِيرَةً مع قُوَّتِي وَبَصِيرَتِي . والله ما
 تَعَمَّدْتُ إِيْتِيَانِ مُنْكَرٍ وَلَا عَمَلًا بِفَاحِشَةٍ ، وَلَمْ أَجْرُ
 فِي حُكْمٍ ، وَلَمْ أَغْدِرْ فِي أَمَانٍ ، وَلَمْ يَبْلُغْنِي عَنْ عَمَالِي
 فَرَضِيَةٌ بِهِ . بَلْ أَنْكَرْتُ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ عِنْدِي آثَرُ
 مِنْ رِضَا رَبِّي .

اللهمَّ إني لا أقول ذلك تزكيةً لنفسِي ، ولكن أقوله
 تعزيةً لأنَّمي لتسلو عني . قالت له : والله إني لأرجو أن
 يكون عزائي فيك محسناً بعد أن تقدّمتني أو تقدّمتك ،
 فإنَّ في نفسي منك حرجاً حتّى أنظرَ إلى ما يصيرُ أمرك .

ثم قالت : اللهم ارحم طول ذاك التحيب والظماً
في هواجر المدينة ومكة وبرّه بأُمّه . اللهم إني قد سلّمتُ
فيه لأمرك ، ورضيتُ فيه بقضائك ، فأثبني في عبد الله
تواب الشاكرين . فودّعها وقال : يا أُمّه لا تدّعي الدّعاء
لي قبل قتلي ولا بعده . قالت : ان أدّعه لك . فمن قُتل
على باطلٍ فقد قُتل على حق . فخرج وهو يقول :
فأستُبجّيتُ بالحياة سبباً

ولا مُرتقى من نخشية الموتِ سلّماً (١)

وقال لأصحابه : احمّلوا على بركة الله . وحارب
حتى قُتل .

وروي أنه دخل على أُمّه أسماء وهي عليّة ، فقال :
يا أُمّه . إنني الموت لراحة . فقالت : يا بني ، أهلك
تتمنّى موتي فوالله ما أحب أن أموت حتى تأتي على أحدٍ
لرفيائك ، فإما أن تظنّهم بعدوك فتقرّ عيني وإما أن تُقتل
فأحتسبك . قال : فالتفت إلى أخيه عروة (٢) وضحك .

(١) السبت للحصين بن الحمام المري .

(٢) عروة بن الزبير ، المدني الفقيه ، جمّاع العلم
والسيادة وكان بصوم الدهر ، ولد سنة ٢٩ هـ وتوفي
سنة : ٩٤ هـ .

فلما كان في الليلة التي قُتِلَ في صبيحتها دخل في
السحر عليها فشاورها ، فقالت : يا بُني لا تجيبن إلى
خُطَّة تخافُ على نفسك القتل . قال : إنما أخافُ
أن يُسَمِّئُوا بي . قالت : يا بُني ، زِنِ الشاةَ لا تألَمِ
السَّخَّ بعد الدَّبَح .

حجَّت أمُّ حبيب بنتُ عبد الله بن الأَهِتَم فبعث
إليها الحسنُ بنُ علي بن أبي طالب عليهما السلام فخطبها ،
فقالت : لأنني لم آتِ هذا البلد للتزويج ، وإنما جئت لزيارة
هذا البيت فإذا قدمت بالدي وكانت لك حاجةٌ فشاؤناك .
قال : فازداد فيها رَغْبَةً ، فلما صارت إلى البصرة أرسل
إليها فخطبها ، فقال إخوانها : إنها امرأة لا بُفَّتَاتُ
على مثلها برأي ، وأتوها فأخبروها الخبر ، فقالت : إن
تَزَوَّجني على حُكْمِي أَجَمْتُهُ . فأدوا ذلك إليه فقال :
امرأةٌ من تميم ، أتزوجها على حُكْمِهَا . ثم قال : وما
عسى أن يبلغَ حُكْمُهَا لها ؟ قال : فأعطاها ذلك . فقالت :
قد حَكَمْتُ بِصَدَاقِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَبَنَاتِهِ ؛
اثني عشرَ أوقيةً . فتزوجها على ذلك ، وأهدى لها مائة
ألفِ درهم . فجاءت إليه فبَسَنَى بها في ليلة قَائِظَةٍ على سطح

لا حظّارَ (١) عليه ، فلمّا غلبته عينه أخذت خمارها
فشدّته في رجله ، وشدّت الطرف الآخر في رجلها .

فلما انتبه من نوميه رأى الخمار في رجله . فقال :
ما هذا ؟ قالت : أنا على سطح ليس عليه حظّار ، ومعى
في الدار ضرائر ، ولم آمن عليك وسنّ النوم ، ففعلتُ
هذا حتى إذا تحركت تحركت معك . قال : فازداد فيها
رغبة ، وبها عجباً . ثم لم يلبث أن مات عنها فكلّموها في
الصلح عن ميراثه . فقالت : ما كنت لأخذ له ميراثاً أبداً ،
وخرجت إلى البصرة ، فبعث إليها نفرٌ يخطبونها منهم
يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص (٢)
وعبد الله بن عامر (٣) فأتاها إخوتها فقالوا لها : هذا ابنُ
أمير المؤمنين . وهذا ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه ،
وهذا ابنُ محواريّه ، وهذا ابنُ عامرٍ أميرُ البصرة .

(١) الحظار بفتح الحاء وكسر ها : بناء يمنع السقوط من السطح .

(٢) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص الأموي ، قائد وأمير شجاع
افتتح طبرستان ، توفي سنة ٥٥٩ هـ .

(٣) عبد الله بن عامر الأموي أمير قائد ولاء عثمان على العراق وافتتح
خراسان وأطراف فارس وتوفي سنة ٥٥٩ هـ .

المختاري من شئت منهم . قال : فردّتهم جميعاً . وقالت :
ما كنت لأتخذ حتماً بعد ابن رسول الله صلى الله عليه .

وقال المدائني : أتت عبيد الله بن زياد (١) بامرأة
من الخوارج ، فقطع رجلها وقال لها : كيف ترين ؟
فقلت : إن في الفكر في هول المطلق لشغلاً عن
حد يدك هذه . ثم قطع رجلها الأخرى وجذّ بها ،
فوضعت يدها على فرجها . فقال : إنك لتسترينه .
فقلت : لكنّ سُميّة أمّك (٢) لم تكن تستره .

قال المهدي للخيزران أم موسى وهارون ابنيه :
إن موسى ابنك يتيه أن يسألني حوائجه . قالت : يا أمير
المؤمنين ، ألم تك أنت في حياة المنصور لا تبدئه بحوائجك
وتحب أن يبتدئك هو ؟ فموسى ابنك كذلك يحب
منك . قال : لا ، ولكنّ التّيه يمنعه . قالت : يا أمير
المؤمنين ، فمن أين أتاه التّيه ؟ أمن قبلي أم قبلك ؟

(١) عبيد الله بن زياد ، الذي أرسل الجيش للحسين فقتله ، ولي العراق

بعد أبيه ، قُتل المختار الثقفي سنة ٦٧ هـ .

(٢) تريد : أم أبيه زياداً .

روي عن بعضهم أنه قال : بينا أنا ذات يوم بالبادية ،
فخرجت في بعض الليالي في الظلمات ، فإذا أنا بجارية
كانت عليها عليم ، فأردتها على نفسها فقالت : ويحك !
أمالك زاجرٌ من عقلٍ إذ لم يكن لك ناهٍ من دينٍ ؟
قالت لها : والله ما يرانا شيءٌ إلا الكواكب . قالت :
ويحك . وأين مكوكبها ؟ !

قال الحافظ : لما مات رقية بنت مصقلة (١) أوصى
إلى رجلٍ ودفع إليه شيئاً . فقال : ادفعه إلى أختي .
فسأل الرجلُ عنها فخرجت إليه فقال لها : أحضريني
شاهدين يشهدان أنك أخته . فأرسلت جاريتها إلى الإمام
والمؤذن ليشهدا لها . واستندت إلى الحائط . فقالت :
الحمد لله الذي أبرز وجهي ، وأنطق عني ، وشهراً
بالفاقة اسمي . فقال الرجل : شهدت أنك أخته حقاً .
ودفع الدنانير إليها ، ولم يتحشج إلى شهادة من يشهد لها .
خطب سعيد بن العاص عائشة بنت عثمان . فقالت :
لا أتزوج به والله أبداً ، فقيل لها : ولم ذلك ؟ قالت :

(١) رقية بنت مصقلة العبدي الكوفي ، من سادات العرب ، كان ثقة

مفوها ، توفي بعد سنة ٥١٤ هـ .

لأنه أحرق ، له بـِرْذَوْنانِ أشهبان ، فهو يتحملُ مؤونة
اثنين واللونُ واحد .

ذكر رجلٌ من قريش سوءَ خلقِ امرأته بين يدي
جاريةٍ له كانَ يَتَحَفَّظُهَا فقالت له : إِنَّمَا حُظوظُ
الإماءِ لسوءِ خلائقِ الحرَّائِرِ .

اختلف الحجاج وهـِندُ بنتُ أسماء بنِ خارجةٍ
في بناتِ قَيْنٍ ، فبعث إلى مالك بنِ أسماء (١) فأخرجه
من الحبس ، وسأله عن الحديث فحدثه ثمَّ أقبل على هند .
فقال لها : قومي إلى أخيك . فقالت : لأقوم إليه وأنتَ
ساخطٌ عليه . فأقبل الحجاجُ على مالكٍ فقال : إنك واللهِ —
ما علمتُ — للخائنُ لأمانتهِ ، اللئيمُ حسنةُ ، الزاني
فرجُهُ . فقالت هند : إن أذن الأميرُ تكلمتُ فقال :
تكلمي . فقالت : أما قول الأميرِ : الزاني فرجُهُ ،
فواللهِ لهو أحقرُ عند اللهِ وأصغرُ في عين الأميرِ من أن
يجيبَ اللهَ عليه حدُّ فلا يقيمَه .

(١) مالك بن أسماء بن حارجه الفزاري شاعر من الأشراف ،
توفي سنة يـِيف ومائة هـِجـِريه .

وأما قول الأمير : اللئيمُ حسبُهُ فوالله لو علمَ مكانَ رجلٍ أشرفَ منه لصاهرَ إليه .

وأما قوله : الخائنُ أمانته . فوالله لقد ولاَّهُ الأميرُ فوفّر ، فأخذَه بما أخذَ به فباعَ ما واره ظهريه . ولو ملكَ الدنيا بأسرها لافتدى بها من مثل هذا الكلام . أتى البردُ على زرعٍ عَجوزٍ بالبادية ، فأخرجت رأسها من الخباء ونظرت إلى الزرع قد احترق فقالت - ورفعت رأسها إلى السماء - : اصنعْ ماشئتَ فإنَّ رزقي عليك .

قيل لرابعة (١) : إنَّ الزوجَ فرضُ الله عز وجل فلم لا تتزوجين ؟ فقالت : فرضُ الله قطعني عن فرضه . كانت عاتكةُ بنتُ زيد بن عمرو بن نفيل (٢) عند عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقتل عنها ، فخلف عليها عمرُ بن الخطاب فقتل عنها ، فخلف عليها

(١) رابعة العدوية العابدة الزاهدة ولدت سنة ١٠٠هـ وتوفيت سنة ١٨٠هـ

(٢) عاتكة بنت زيد القرشية العدوية ، كانت من المهاجرات للمدينة ، كادت تحصر صلاة الجماعة في المسجد .

الزبيرُ ، فقتل ، فخلف عليها محمدُ بن أبي بكر فقتل (١) .
 فقال عبد الله بن عمر : من سرّه الشهادة فليتزوج عاتكة .
 فبلغها ذلك فقالت : من سرّه أن يكون بيضة البلد ، حبلى
 لا تطير ولا تلد ، فليكن كعبد الله . فبلغ ذلك عبد الله بن
 جعفر الطيّار (٢) فضحك وقال : ما هو كما قالت إنه
 لمصباح بلد ، وابن كنهف الإسلام .

وقد روي عن أمير المؤمنين كرم الله وجهه أنه قال :
 من اشتاق إلى الشهادة فليتزوج عاتكة .

قال بعضهم : مررت على هند بنت المهلب ، فرأيت
 يدها مخزلاً تغزل به ، فقلت لها : تغزلين ؟ قالت :
 نعم سمعت أبي يذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال : « أعظم كن أجراً أطول كن طاقة ، وهو يطرد
 الشيطان ويذهب بهديث النفس » .

(١) هو : ابن أبي بكر الصديق ، ولي مصر من قبل علي ، أرسل
 إليه معاوية حسداً فهزم ، وقتل سنة ٣٨ هـ .
 (٢) أحد أجواد العرب ، ولد بالحبيشة ، وهو آخر من رأى الرسول
 من بني هاشم . توفي سنة ٨٠ هـ .

وروي عن عائشة أنها قالت : المِغْزَلُ في يد المرأة
مثلُ الرَّمْحِ في يد الغازي .

قيل للخنساء : لم يكن صخرٌ كما وصفتِ . قالت :
وكيف ذاك ؟ فوالله لقد كان نديّ الكتفين ، يابس
الجنبين ، يأكل ما وجدته ، ولا يسأل عما عهده .

قيل لحبى (١) المدينة : ما السقم الذي لا يبرأ ، والجرح
الذي لا يندمل ؟ قالت : حاجةُ الكريم إلى اللئيم لا يُجدي
عليه . قيل : فما الشرف ؟ قالت : اعتقادُ المِئْسَرِ في
أعناق الكرام ، يبقى للأعقاب على الأحقاب .

ذكرَ نُسوةٌ أزواجهنَّ فقالت إحداهن : زوجي
عموني في الشدائد ، والعائِدُ دونَ كلِّ عائِد ، إن
غضبتُ عطَفَ ، وإن مرضتُ لَطَفَ .

وقالت الأخرى : زوجي لما عَناني كافٍ ، ولما
أَسَقَمَنِي شافٍ ، عناقُه كالخلد ، ولا يملُّ طولُ العهد .

(١) حبى المدينة امرأة كانت مزواجا على كبر سنها .

وقالت الأخرى زوجي الشعار^(١) حين أُجردُ ،
والأنسُ حين أُفردُ ، والسكَنُ حين أرقُدُ .

قال بعضهم : رأيتُ بالمدينة امرأةً بين عينيها
سجادةٌ ، وعليها ثيابٌ مُعَصْفَرَةٌ ، فقلت لها : ما أبعد
زيك من سميتك ! فقالت :

ولله منّي جانبٌ لا أضيّعه
وللهو منّي جانبٌ ونصيبُ

قال الزبير بن بكار^(٢) : قالت بنتُ أخي زوجتي :
خالي خيرُ رجلٍ لأهليه ، لا يتخذُ ضرةً ولا يشتري
جارية . فقالت المرأة : والله لهذه الكتّيبُ أشدُّ عليّ من
ثلاثِ ضرائير .

حجّت فاطمة بنتُ الحرّشب الأَنمارية أمّ الكَمَلَةِ ،
الربيع وعَمارة وقيس وأنس ، وكانت محبتها هذه في
الجاهلية ، فقال لها رجل من أهل مكة : من أشرفُ

(١) الشعار : الثوب الذي يلبس على الجسد ويلى الشعر فيه .

(٢) الزبير بن بكار الزبيري ، قاضي مكة ، إخباري مؤلف ،

توفي سنة ٢٥٦ هـ .

ولذلك ؟ قالت : الربيعُ . لا بل عمارةُ . لا بل قيسُ .
لا بل أنسُ . شكياتُهم إن كنت أدري أيُّهم أسودُ .

وكان يقالُ للربيع الكامل ، ولأنس الطويل ، ولقيس
الوقاعة ، ولعمارة دالِق وإنما قيل له ذلك أنه كان
يبدُلُ الحَيْلُ في كل وجه .

خرجَ محمدُ بن واسع (١) في يوم عيد ومعه رابِعةُ :
فقال لها : كيف ترين هذه الهيئة ؟ فقالت : ما أقولُ
اكم ؟ خرجتُم لإحياءِ سُنَّةٍ وإماتةِ بِدْعَةٍ ، فأراكم قد
تباهيتُم بالنَّعمةِ ، وأدخلتُم على الفقير مَضْرَّةً .

قالت امرأةٌ من بني تغلب للجَحَافِ بن حَكيم (٢)
في وقعة البشر التي يقول فيها الأنخل : .

لقد أوقعَ الجَحَافُ بالبِشرِ وقعةً
إلى اللهِ فيها المشتكى والمعولُ
فَضَّ اللهُ عمادَكَ ، وأكسبني زِنَادَكَ ، وأطالَ

(١) محمد بن واسع الأزدي من الورعين المباد . توفي سنة ١٢٣ هـ .

(٢) الجحاف بن حكيم بن عاصم السلمي ، عاش في أيام عبد الملك بن
مروان ، وله حروب مع بني تغلب .

سُهِادَكَ ، وأَقْسَلَ زَادَكَ ، فَوَاللَّهِ إِنَّ قَتَلْتُ
إِلَا نِسَاءً أَسَافِلُسُهُنَّ دُمِّي وَأَعَالِيَهُنَّ نُدْيِي — وَكَانَ قَدْ
قَتَلَ النِّسَاءَ وَالذُّرِّيَّةَ — فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : لَوْلَا أَنْ تُلَدَّ
مِثْلَهَا لَا سَتَبْقِيَتْهَا وَأَمْرٌ بِقَتْلِهَا . فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ
فَقَالَ : إِنَّمَا الْجَحَدَّافُ جَدَّوَةٌ مِنْ نَارٍ جَهَنَّمِ .

قال أبو عمرو بن العلاء (١) : خَرَجْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ أَطُوفُ ،
فَإِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ قَدْ فَضَحَ وَجْهُهَا ضَوْءَ الْقَمَرِ مُتَعَلِّقَةٌ وَهِيَ
تَقُولُ : إِلَهِي ، أَمَا وَجَدْتَ شَيْئًا تُعَذِّبُ بِهِ إِلَّا النَّارَ .
ثُمَّ ذَهَبَتْ ، فَنَمْتُ ثُمَّ عَدْتُ فَوَجَدْتُهَا وَدَيْدَنْهَا أَنْ تَقُولَ
ذَلِكَ . قُلْتُ : لَوْ عَذَّبَ بِمَا سِوَى النَّارِ ، فَكَانَ مَاذَا ؟
قَالَتْ : يَا عَمَّاهُ ، أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَذَّبَ بِغَيْرِ النَّارِ
أَقْضَيْنَا أَوْطَارًا .

قال بعضهم : كُنْتُ عِنْدَ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُهَاجِبِ أَعْرِضُ
عَالِيهَا طَيِّبًا فَقَمْتُ وَتَرَكْتُ الْمَتَاعَ بَيْنَ يَدَيْهَا ، فَامَّا جِئْتُ
قَالَتْ : بَيْئَسَ مَا صَنَعْتَ ، لَا تَأْمَنُ امْرَأَةً قَطُّ عَلَى رَجُلٍ
وَلَا عَلَى طَيِّبٍ .

* * *

(١) قِيلَ : اسْمُهُ كُنْيَتُهُ ، وَقِيلَ : اسْمُهُ زَبَانُ بْنُ جَبْرِ ، عَالِمُ أَهْلِ
الْبَصْرَةِ ، وَمِنْ أَوْسَعِهِمْ عِلْمًا بِكَلَامِ الْعَرَبِ ، تُوُفِيَ سَنَةَ ١٥٤ هـ .

الباب الثالث

الحيل والنخداع

قدّم بعضهم رجلاً إلى القاضي وادّعى عليه مالا فقال : صدّقوا ، أسألهم أن يؤخروني حتى أبيع مالي أو عقاري أو رقيقتي أو أجلي . فقالوا : كذب أيها القاضي . ماله قليل ولا كثير . ولكنّه يريدُ مُدافعتنا فقال : أصلحك الله . فقد شهدوا بالعدم . فخاشي سبله .

قال بعضهم : خرجتُ ليلةً فإذا أنا بالطائف قد أقبل : فلما رأيتهُ من بعيد صحتُ : المستغاثُ بالله وبالطائف فقال لي الطائف : مالك ؟ قلت : قومٌ سكارى في بيتي قد عربدوا ، وسلّوا السكاكين ، وجئتُ في طلبك لتخاضعتني منهم فقال : امشِ بين يدي . فمشيتُ ودخلتُ البيتَ ، وأغلقتُ البابَ ، وصعدتُ السطحَ ، وتطلّعتُ عليه وقلت : انصرفْ مأجوراً فنقدَ تصالحوا .

سُئِلَ بعضهم عن رجل أرادوا أن يزوجه فقال :
 إنَّ له شَرْفًا وَبَيْتًا وَقَدَمًا (١) فنظروا فإذا هو ساقِطٌ .
 سَفَلَةٌ . فقيل له في ذلك ، فقال : ما كذبت . شرفه
 أَذَنَاهُ ، وَقَدَمُهُ التي يمشي عليها ، ولابدَّ من أن يكونَ
 له بيتٌ يأوي إليه .

لما بايع الرشيدُ وَلَدَهُ تخلفَ رجلٌ مذكورٌ من
 الفقهاء ، فأحضره وقال له : لِمَ تَخَلَّفْتَ عن البيعة ؟
 قال : عاقبني يا أميرَ المؤمنين عائقٌ . فأمر بقراءة كتاب
 البيعة عليه . فلما قُرِئَ قال : يا أميرَ المؤمنين هذه البيعةُ
 في عتقي إلى قيامي الساعة . فلم يفهم الرشيد ما أراد ،
 وقدَّرَ أَنَّهُ يريدُ إلى قيام الساعة . وذهب ما كان في
 نفسه عليه .

فيل لبعض الفقهاء : لم استجرتُم استعمال الحَيْلِ
 في الفقه ؟ فقال : الله تعالى علَّمنا ذلك فإنَّه قال :
 « وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ (٢) » .

(١) القدم : الساق

(٢) سورة ص : ٤٤ ، وفي التفسير . أن سيدنا أيوب حلف

ليضرب امرأته مئة سوط فقال له الله تعالى : خذ حزمة فيها مئة عود
 فاضربها بها صربة واحدة . والضغث : الشمراخ .

جحد رجلٌ مالَ رجلٍ فاحتكمَ إلى إياس بن معاوية (١) فقال للطَّالِب : أين دفعتَ إليه هذا المال ؟ قال : عند شجرة في مكان كذا . قال : فانطلقْ إلى ذلك الموضعِ لعلَّكَ تتذكَّرُ كيفَ كانَ أمرُ هذا المال ، وعلَّ اللهَ يوضحُ لك سبباً . فمضى الرجلُ ونخصمهُ فقال إياس بعد ساعة : أتري نخصمَكَ بلغ موضعَ الشجرة . قال : لا بَعْدُ . قال : يا عدوَّ الله ، أنتَ خائن . قال : أقلَّني أقالك الله . فاحتفظَ به حتى أقرَّ وردَّ المال .

قال معاويةُ لعمرُو : أنتَ أدهى أم أنا ؟ قال عمرو : أنا للبديةِ وأنتَ الأناة . قال : كلا . قال عمرو : أدنِ منِّي رأسَكَ أسأركَ ، فأدنى رأسَه فقال عمرو : هذا من ذاك . هل ها هنا أحدٌ غيرك .

قال المغيرةُ بنُ شعبةَ : ما خدعني غيرُ غلامٍ من بني الحارثِ بنِ كعب . فإنِّي ذكرتُ امرأةً منهم فقال : أيها الأميرُ لا خيرَ لكَ فيها . قلت : ولم ؟ قال : رأيتُ

(١) إياس بن معاوية فاضي الصرة ، يصرب بدكائه المثل ، توفي

رجلاً يقبلها . فأضربتُ عنها فتزوجها الفتى . فأرسلتُ
إليه : ألم تعلمني كذا وكذا من أمرها . قال : بلى رأيت
أباها يقبلها .

كان لعبد الله بن مطيع غلامٌ مؤدَّبٌ قد أدبته
ونحرجه وصيرته قهرمانه ، وكان أتاهم قومٌ من العدو
في ناحية البحر . فرآه يوماً يبكي فقال : مالك ؟ قال :
تمنيتُ أن أكون حراً ، فأخرجُ مع المسلمين . قال :
وتحب ذلك ؟ قال : نعم . قال : فأنت حرٌّ لوجه الله
فأخرج . قال : فإنه قد بدا لي ألاّ أخرج . قال :
خذعتني والله .

كان عُمَرُ بنُ هُبَيْرَةَ (١) أمياً لا يقرأ ولا يكتب .
وكان إذا أتاه كتاب فتحه ونظر فيه كأنه يقرؤه فإذا
نهض من مجلسه حملت الكتب معه . فيدعو جاريةً
كاتبه ويدفع إليها الكتب فتقرؤها عليه ويأمرها فتوقع
بما يريد ، ويخرج الكتاب ، فاستراب به بعضُ كتّابه
فكتب كتاباً على لسان بعض العمال وطواه مُنكساً أعلاه

(١) أمير العراقيين : عزله هشام سنة ٨٩٧ ، وتوفي حوالي سنة ١٠٣ هـ .

إلى أسفله ، فلمّا أخذته ونظرَ فيه ولم ينكره تحقّق
أنه أمّسيّ .

قال بعضُ القُضاة لرجل : كيف أقبلُ شهادتك
وقد سمعتك تقول لمغنيّة : أحسنت ؟ قال : أليس إنما
قلتُ ذلك بعد سكوتها . فأجاز شهادته .

أتى معنُ بنُ رائدة (١) بثلاث مئة أسيرٍ من
حضرموت فأمرَ بضرب أعناقهم ، فقام منهم غلامٌ حين
سالَ عيذاره فقال : أنشدك الله أن تقتلنا ونحن عطاشٌ
فقال : اسقوهم ماءً فلمّا شربوا قال : اضربوا أعناقهم .
فقال الغلام : أنشدك الله أن تقتل ضييمانك . قال :
أحسنت . وأمر باطلاقهم .

كان بالأهواز رجل له زوجةٌ ، وكانت له أرضٌ
بالبصرة ، فكان يكثر الانحدارَ إليها فارتابت زوجته
وتتبعت أثره ، فوقفت على أنه قد تزوج بالبصرة
فاحتالت حتى صار إليها خطٌ عَمَّ البصريّة ، وبعثت

(١) أمير قائد شجاع ولي سجستان وقتلته الخوارج سنة ١٥١ هـ .

به إلى رجل يحكي كلَّ خطِّ رآه ، وأجازته ، حتى
كتب كتاباً عن لسان عمِّ البصريَّة إلى روحها بذكر أنَّ
المرأة قد ماتت ، ويسأله التعجيلَ إليه لأخذ ما تركتُ
وسمِّيَ مالها وجاريَّتِها . ودسَّتِ الكتابَ مع ملاحٍ
قدم من البصرة ، فلمَّا وصل إليه الكتابُ قرأه فلم يشكَّ
فيه ، ودخل وقال لامرأته : اعلمي لي سُمرة . قالت :
ولم ؟ قال : أريدُ البصرة . قالت : كم هذه البصرة ؟ !
قد رابني أمرُك . لعلَّ لك بها امرأة ، فأنكر ، فقالت :
احلف . فحلف أن كلَّ امرأة له غيرَها طالق ، سكوناً
إلى أن تملكَ قد ماتت ، وما يضرُّه ذلك . فلمَّا حلف
قالت : دَعِ السُّمُرَ . قد أغناك الله عن البصرة . قال :
وما ذاك ؟ قالت : قد طلَّقت الماسقة . وحدَّثته بالقصة
فندم .

قال الأعمش (١) : أخبرني تميمُ بنُ سلمة أن رجلاً
شهد عند شُرَيْحٍ (٢) وعليه جُبَّةٌ ضيقةُ الكمِّين .

(١) سليمان بن مهران الأعمش ، محدث الكوفة وعالمها ، كان له
دعابة ، توفي سنة ١٤٨ هـ .

(٢) ابن الحارث الكندي ، ولي القضاء لعمر وتوفي سنة ٧٨ هـ .

فقال شريح . أتتوضأً وعليك جبتك هذه ؟ احسر عن
دراعتك . فحسر ، فلم يبلغ كُمَّ جُبَّتِهِ إلى نصفِ السَّاعد .
وردَّ شهادته .

فدَّمت امرأةٌ روجَّها إلى أيِّ عمرٍ القاضي ، وادَّعت
عاليه مالا . فاعترف به فقالت : أيُّها القاضي خُذْ بحقي
ولو بحسبه . فتأخَّفت لها لثلا تحبسه ، فأبت إلا ذلك ،
فأمر به ، فلما مضى خُطُّوات صاح أبو عمر بالرجل وقال
له : ألسْتَ مِسِّنٌ لا يصبرُ على النساء ؟ ففطِنَ الرَّجُلُ
فقال : بلى أصلح الله القاضي . فقال : خذْها معك إلى
الحبس . فلما عرفت الحقيقة ندمت على ليجاجيها
وقالت : ما هذا أيُّها القاضي ؟ قال : لكِ عاليه حقٌّ ،
واه عايبك حقٌّ . وهالكِ عاليه لا يُبطل مالهَ عليك .
وعادت إلى السَّلاسة والرضا .

أخذ عبدُ الملك رجلاً كان يرى رأيَ الخوارج
فقال له : ألسْتَ القائلُ :

وَمِنْنا سُوَّيَاُ وَالْبَطِينُ وَقَعْنَبُ
وَمِنْنا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَيْبُ

فقال : إنما قلت : ومنا أمير المؤمنين وناديتك ،
فخاتى سبيله .

كان يختلف إلى أبي حنيفة رجل " يتَحَمَّلُ " بالستر
الظاهر ، والسَّمَتِ البين فقدم رجل " غريب " وأودعه
مالاً خطيراً ، وخرج حاجاً ، فلمّا عادَ طالبه بالوديعة
فجَحَدَه . فألح الرجلُ عليه فتدادى ، فكاد صاحبُ
المال يَتَهَيَّمُ ، ثم استشار ثِقَةً له فقال له : كُفَّ
عنه ، وصِرْ إلى أبي حنيفة ، فدواؤك عنده .
فانطلق إليه ونحلاً بهِ وأعلمه شأنه ، وشرح له
قصته فقال له أبو حنيفة : لا تُعْلِمُ بهذا أحداً ، وامضِ
راشداً ، وعدْ إليّ غداً . فلمّا أمسى أبو حنيفة جالساً
كعادته للناس . وجعلَ كما سئل عن شيء تنفّس
الصُّعداء . فقيل له في ذلك فقال : إنَّ هؤلاءِ - يعني
السُّلطان - قد احتاجوا إلى رجل يبعثونه فاضياً إلى مكان .
وقالوا لي : اختر من أحببت . ثم أسبل كُمّه ونحلاً بصاحب
الوديعة ، وقال له : أترغبُ حتى أُسمِّيَاكَ . فذهب
يتمنّع تحليّة . فقال له أبو حنيفة : اسكت فاني أبلغُ

لك ما تحب . فانصرف الرجل مسروراً يظنُّ الظنونَ
بالجاء العريض ، والحال الحسنة .

وصار ربُّ المال إلى أبي حنيفة فقال : امض إلى
صاحبك ولا تخبره بما بيننا ، وأوِّحْ بذكرى وكتفأك ،
فهضى الرجلُ واقتضاه وقال له : ارددْ علي مالي وإلا
شكوتك إلى أبي حنيفة . فلما سمع ذلك وفّاه المال .
وصار الرجلُ إلى أبي حنيفة وأعلمه رجوع المال إليه
فقال له : استره عليه .

ولما غدا الرجلُ إلى أبي حنيفة طامعاً في القضاء نظر
إليه أبو حنيفة وقال له : نظرتُ في أمرِكَ فرفعتُ قدركَ
عن القضاء .

أتى وكيعُ بنُ أبي سودٍ (١) إياسَ بن معاوية وهو
قاصٍ ليشهاد عنده بشهادة . فقال : مرحباً بك يا أبا
مِطْرَف ، ما جاء بك ؟ قال : جئت لأشهد . قال : مالك
وللشهادة . إنَّما يشهد الموالي والتجار والسُّقَّاط . قال :

(١) وكيع بن حسان بن أبي سود التميمي ، ولي خراسان بعد قتيبة
ابن مسلم حتى نزعها منه يزيد بن المهلب .

صَدَقْتُ وَأَنْصَرَفَ . فَغِيلَ لَهُ : خَدَعَكَ وَلَمْ يَغْبِلْ شَهَادَتَكَ
وَرَدَّكَ . فَتَمَالَ : لَوْ عَلِمْتُ لَعَاوَتَهُ بِالْقَضِيبِ .

كَانَ أَبُو بَرْدَةَ (١) وَلِيَ الْقَضَاءِ بَعْدَ الشَّعْبِيِّ (٢) بِالْكُوفَةِ .
فَكَانَ يَحْكُمُ بِأَنَّ رَجُلًا لَوْ قَالَ لِمَمْلُوكٍ لَا يَمْلِكُهُ : أَنْتَ حُرٌّ .
أَنَّهُ يُعْتَقُ وَيُسْرُخَ خَدُّ الْمَعْتِقِ بِتَمَنُّهِ .

قَالَ : فَعَتِقَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبَسَ جَارِيَةً بِلَحَارٍ لَهُ
فَعَجَنَ بِهَا وَجَنَّتْ بِهِ ، وَكَانَ يَشْكُو ذَلِكَ إِلَيْهَا . فَاتَمَّتْ بِهَا
يَوْمًا فَقَالَ لَهَا : إِلَى اللَّهِ أَشْكُو . قَالَتْ : بَلَى وَاللَّهِ إِنَّ لَكَ
لَحِيلَةً ، وَلَكِنَّكَ عَاجِزٌ . هَذَا أَبُو بَرْدَةَ يَقْضِي فِي الْعَتَقِ
بِمَا قَدْ عَادَتْ . فَقَالَ لَهَا : أَشْهَدُ إِنَّكَ لَصَادِقَةٌ .

ثُمَّ قَامَتْ مَعَهَا إِلَى مَجْلِسٍ يَتَجَمَّعُ فِيهِ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ فَقَالَ :
هَذِهِ جَارِيَةٌ آلُ فُلَانٍ أَشْهَدُكُمْ أَنَّهَا حُرَّةٌ . فَأَلْقَتْ مَا حَمَلَتْهَا
عَلَى رَأْسِهَا . وَبَلَغَ ذَلِكَ مَوَالِيَهَا فَجَاءُوا وَفَدَّوْهُمْ إِلَى أَبِي
بَرْدَةَ وَغَدَّوْهُمُ الرِّجْلَ فَأَنْفَذَ عَيْنُقَتَهَا ، وَأَلْرَمَ الرَّجُلَ ثَمَنَهَا ،
فَلَمَّا أَمَرَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ خَافَ إِذَا مَلَكَتْ أَمْرَهَا أَنْ تَصِيرَ

(١) أَبُو بَرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَاضِي الْكُوفَةِ . تَوَفَّى سَنَةَ ١٠٤ هـ

(٢) عَامِرُ بْنُ سِرَاحِلِ الشَّعْبِيِّ ، عَالِمٌ رَمَانِيٌّ ، وَلَدَ لِسْتِ سَنِينَ مِنْ

خِلَافَةِ عُثْمَانَ وَتَوَفَّى سَنَةَ ١٠٤ هـ

إلى أوّل مَنْ يطلبها ، وأن تخيّبَ فيما صنع في أمرها .
فقال : أصلح الله القاضي ، لا بدّ من حبسي ؟ قال : نعم
أو تُعْطِيَهُمْ ثَمَنَهَا . قال : وليس مثلي يُحْبَسُ في شيءٍ
يسير . أشهدكم أنّي قد أعتقتُ كلَّ مملوكٍ لأبي برْدَةَ .
وكلَّ مملوكٍ لآل أبي موسى ، وكلَّ مملوكٍ للمدحج .
فخلّني سبيله ، ورجّع عن ذلك القضاء فلم يحكم به .

كتب معاوية إلى عمرو بن العاصِ والمغيرة بن
شُعْبَةَ أن يقدمَا عليه ، فقدم عمرو من مصرَ والمغيرة
من الكوفة فقال عمرو للمغيرة : ما جمعنا إلا ليعزلنا ،
فإذا دخلت عليه فاشك الضّعفَ واستأذنه أن تأتي الطائفَ
أو المدينةَ ، فإنّي إذا دخلت عليه سألتُه ذلك فإنه يظنّ
أنا نريد أن نُفسد عليه .

فدخل المغيرة فسأل أن يُعْفِيَهُ ويأذن له . ودخل
عليه عمرو فسأله مثلَ ذلك . فقال له معاوية : قد تواطأتما
على أمر ، وإنكما لتريدان شرّاً . ارجعا إلى عملكما .
كان الإسكندرُ لا يدخلُ مدينةً إلاّ هدّمها وقتلَ
أهلها حتّى مرَّ بمدينة كان فيها مودّبٌ . فخرج إليه

وَأَلْهَلَفَهُ الْإِسْكَندَرُ وَأَعْظَمَهُ فَقَالَ لَهُ مُؤَدِّبُهُ : إِنْ أَحَقَّ
 مِنْ رَيْتِنَ رَأْيَاكَ وَسَدَّدَهُ وَأَتَى كُلَّ مَا هَوَيْتَ لَنَا ، وَإِنْ
 أَهْلَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ قَدْ طَمَعُوا فِيَاكَ لِمَكَانِي مِنْكَ فَأَنَا أَحَبُّ
 إِلَاَّ تَشْفَعْنِي فِيهِمْ . وَأَنْ تَحْلِفَ لِي يَحِبُّنَا أَعْتَدُ بِهَا عِنْدَ
 الْقَوْمِ فَاحْلِفْ لِي عِنْدَهُمْ أَنَّكَ لَا تَشْفَعُنِي فِي شَيْءٍ أَسْأَلُكَ ،
 وَأَنْ تَخَالَفَنِي فِي كُلِّ مَا سَأَلْتُكَ . فَأَعْطَاهُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا
 يَتَدَرُّ عَلَى الرِّجْوَعِ عَنْهُ فِي دِينِهِ ، فَلَمَّا تَوَثَّقَ مِنْهُ قَالَ :
 فَإِنْ حَاجَتِي أَنْ تَدْخُلَهَا وَتُخْرِتَهَا وَتَقْتُلَ مِنْ فِيهَا .
 قَالَ : مَا لِي ذَلِكَ سَبِيلٌ وَلَا بَدٌّ مِنْ مَخَالَفَتِكَ وَقَدْ كُنْتُ
 مُؤَدِّبِي وَأَنَا إِلَيْكَ الْيَوْمَ أَحْوَجُ . فَلَمْ يَدْخُلَهَا وَضَمَّهُ إِلَيْهِ .

أَصَابَتْ الْمُسْلِمِينَ جَوْلَةٌ (١) بِخُرَاسَانَ . فَمَرَّ فِيهِمْ
 شُعْبَةُ بْنُ ظَهِيرٍ عَلَى بَغَاةٍ لَهُ فَرَأَاهُ بَعْضُ الرِّجَالَةِ فَنَتَقَدَّرَ (٢)
 لَهُ عَلَى جِدْمٍ (٣) حَائِطًا . فَلَمَّا حَازَى بِهِ حَالٌ فِي عَجْزٍ
 بِغَلَتِهِ . فَقَالَ لَهُ : اتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّهَا لَا تَحْمِلُنِي وَإِيَّاكَ .

(١) الجولة . الفرار . من العدو ثم العودة إلى قتاله .

(٢) تقدر . تها .

(٣) الجدم . الأصل .

قال : امض ، فإني والله ما أقدرُ أنْ أمشي . قال : إنَّكَ تقتلني وتقتلُ نفسك . قال : امض فهو ما أقولُ لك . قال : فصَرَفَ شُعْبَةَ وَجْهِ الْبَغْلَةِ قِبَلَ الْعَدُوِّ . فقال له : أين تريد ؟ قال : أنا أعلمُ أني مقتول ، فَلَأَنْ أُقْتَلَ مُقْبِلًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ أُقْتَلَ مُدْبِرًا . فنزل الرَّجُلُ عَنْ بَغْلَتِهِ وَقَالَ : اذْهَبْ فِي حُرْقِ اللَّهِ .

اشترى شريكُ بنُ عبد الله (١) جاريةً من رجلٍ فأصابَ بها عيباً ، فقال للذي اشتراها منه : قد ظهر بها عيبٌ . قال : ما عليك . هي رخيصة ، وإن أحببتَ بيعَها لك بربح . قال : فافعل . فدفعَ الجاريةَ إليه وأقامَ أيَّاماً ثم أتاه فقال له : لم أصِبْ بها ثمناً أرضاه . فقال له شريك : فخذها وارُدْ عليَّ الثمنَ . فقال له الرَّجُلُ : أبعدَ ما وكَّلْتَنِي لأبيعَها ورضيتَ ، تردُّها عليَّ ؟ فقال : صدقتَ ، والله خدعتني .

ورأى عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه ابنه عبد الله جالساً مع رجلٍ فقال له : يا بني ، احذرْ هذا ، لا تشتريَنَّ

(١) شريك بن عبد الله النخعي القاضي ، فقيه إمام توفي سنة ١٧٧ هـ .

منه شيئاً ، فإنه يتبرأ إلى الرجل من العيب . والرجل لا يظن لذلك .

قال : فمرَّ عبدُ الله بنُ عمرَ بذلك الرجلِ يوماً ومعه غلامٌ وَضِيءٌ . فقال له : تبيعه ؟ قال : نعم . قال : بكم ؟ قال : بكذا . قال له : هل به عيبٌ . قال : ما علمت أن به عيباً إلا أننا ربما أرسلناه في الحاجة فيبطلُ فلا يأتينا حتى نبعث في طلبه . فقال عبد الله : وما هذا ؟ فاشتراه منه .

فأما صار إليه أرسلاه في حاجة فهرب ، فطلبه أيتاماً حتى وجدته ، فأتى صاحبه ليردّه عليه بالإيقاع ، فقال له : ألم أخبرك أننا ربما أرسلناه في الحاجة فلا يرجع حتى نرسل في طلبه ؟ فعلم أنه قد شذعه .

قيل لأعرابي : أتشرب قداماً من لبنٍ حارٍ (١) ولا تتنحنجح ؟ قال : نعم . فأخذه في حلقه مثل الزجاج ، فقال : كبشٌ أمانحٌ . فقيل له : إنك تنحنجحت . فقال : من تنحنجح فلا أفلح . ومدَّ صوته فقضى وطره .

(١) الحار . الحامض .

قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان (١) : إياكم والطَّمَعُ فإنه يردي . والله لقد هممت أن أفتيك بالحجاج ، فإني لواقفٌ على بابه بدَّيْرَ الجَمَاجِمِ (٢) ، إذا بالحجاج قد خرجَ على دابة ، ليس معه غيرُ غلام ، فأجمعتُ على قتله فكأنه عَرَفَ ما في نفسي فقال : أَلقيتَ ابنَ أبي مُسلم ؟ قلت : لا . قال فالقَه ، فإن عهدك معه على الري . قال : فطمعتُ وكففتُ فأثيتُ يزيدَ بنَ أبي مسالم فسأَلته فقال : ما أمرني بشيء .

وقال عمرو بن يزيد الأسدي : خِفْنَا أَيَّامَ الحجاج ، وجعلنا نودّع متاعنا ، وعلم جارك لنا ، فخشيتُ أن يُظْهِرَ أمرنا ، فعَمَدْتُ إلى سَفْطٍ فجعلتُ فيه لبنا ودفعته إليه ، فمكثَ عنده حتى أَمِنَّا . فطلبتُ منه ، فقال لي : أَمَا وجدتُ أحدا تودعه لبناً غيري .

توجه عمرو بن العاص حث فتح قيسارية (٣) إلى

-
- (١) أحد فتاك العرب ، ومن خطبائهم ودهو الذي حمل رأس مصعب ابن الزبير إلى عبد الملك .
 (٢) دير بظاهر الكوفة على بعد سبعة فراسخ منها .
 (٣) هناك مدينتان بهذا الاسم في فلسطين والروم والمراد هنا التي من أعمال فلسطين .

مصر وبعث إلى عيالِجها (١) فأرسل إليه : أن أرسل إلى
 رجلاً من أصحابك أكلمه . فنظروا فقال عمرو : ما أرى
 لهذا أحداً غيري . فخرج ودخل على العليج ، فكلّمه
 فسمع كلاماً لم يسمع مثله قط ، فقال : حدثني . هل في
 أصحابك مثلك ؟ قال : لا تسل عن هواني عليهم ، إلا أنهم
 بعثوني إليك وعرضوني لما عرضوني لا يدرون ما تصنع بي .
 فأمر له بهجائزة وكسوة وبعث إلى البواب : إذا مرّ
 بك فاصرب عنقه ، وتخذ مامعه .

فخرج من عنده ، فمرّ برجل من نصارى العرب
 من غسان فعرفه فقال : يا عمرو ، إنك قد أحسنت
 الدخول فأحسن الخروج . فرجع فقال له الملك : ما ردك ؟
 قال : نظرت فيما أعطيتني فلم أجده يسع بني عمي ،
 فأردت أن أجيئك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطيّة ،
 وتكسوهم هذه الكسوة ، فيكون معروفك عند عشرة
 خيراً من أن يكون عند واحد . قال : صدقت . فاعجل
 بهم . وبعث إلى البواب أن نخل سبيلته ، فخرج عمرو

(١) الملاج : الرجل من كفار المعجم .

وهو يلتفتُ حتى إذا أمينَ قال : لا أعود لمثلها أبدا .
فما فارقها عمرُ حتى صالحه ، فلما أتى بالعلاج قال :
أنت هو ؟ قال عمرو : نعم على ما كان من غدرك .

قُدِّمَ هُدْبَةُ بْنُ الْحَشْرَمِ (١) لِيُقَادَ بَابِنِ عَمِّهِ
زِيَادَةَ ، وأخذ ابنُ زيادَ السَّيْفَ وقد ضُوعِفَتْ
له الدِّيَّةُ حتى بلغت مئة ألفِ دِرْهَمٍ فخافت أمُّ الغلامِ
أن يقبلَ ابنُها الدِّيَّةَ ولا يقتله فقالت : أعطي الله
عهداً لئن لم تقتله لأتزوجنه فيكون قد قتلَ أباك ونكحَ
أمك . فقتله .

وحدث المدائني أن قوماً من المسلمين أسروا قوماً من
الرُّومِ وكان فيهم فتَيَانِ إخوة فضربوا أعناقهم .
وأخذوا أمهم وهم لا يعرفونها ، فأحببت أن تُقتلَ
ولا تبقى بعدَ ولدها ، فقالت للسَّدي صارتُ إليه :
إن عَسَمْتُكَ شيئاً تَتَّخِذُهُ فلا يَحِيكَ فِكَ السَّلَاحُ ،
تُخَلِّي سبيلي ؟ قال : نعم . فأخذت أشياء سترتها عنه
فطلتُ بها رَقَبَتَهَا وقالت : دونك اضربْ وشُدْ ،

(١) هُدْبَةُ بْنُ الْحَشْرَمِ بْنُ كَرَزٍ شَاعِرٌ فَصِيحٌ مِنْ بَادِيَةِ الْحِجَازِ ، كَانَ
رَاوِيَهُ لِلْحَطِيشَةِ .

فإن السيف لا يعملُ فيَّ . ففُضِرَ رقبتهَا فحزَّ رأسُهَا
فعلم أنها خدعته .

لما بلغ يزيدُ ومروانُ ابنا عبدِ الملك لعاتكة بنتَ
يزيد بن معاوية (١) قال لها عبد الملك : قد صار ابنك
رجلين ، فلو جعلتَ لهما من مالك ما يكونُ لهما به
فضيلةٌ على إخوتهما . قالت : اجتمع لي أهلٌ مسعدةٌ
من موالي ومواليك . فجمعهم وبعث معهم روحَ بن
زنباع الجنداميّ - وكان يدخل على نسائهم - فدخل
كهولتهم وجلسهم وقال له : أخبرها برضائي عنها ،
وحسنَ لها ما صنعتُ . فلمّا دخلوا عليها أخذَ روحُ
في ذلك فقالت : يا روحُ ، أتراني أخشى على ابني
عيلةً وهما ابنا أمير المؤمنين ، أشهدكم أني قد تصدّقت
بمالي وضياعي على فقراء آل أبي سفيان . فقام روحُ ومن
معه . فلمّا نظر إليه عبدُ الملك مقبلاً قال : أشهدُ
بالله لقد أقبلتَ بغير الوجه الذي أدبرتَ به . قال : أجلُ .
تركتُ معاويةَ في الإيوان آنفاً . وخبرته بما كان . فغضب .

(١) عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، أم يزيد بن عبد الملك توفيت

حوالي سنة ٥١٢٠ هـ .

فقال : مه يا أمير المؤمنين ، هذا العقل منها في ابنيك
خير لهما مما أردت .

قال المدائني : أتى علي عليه السلام برجل ذي
مروءة قد وجب عليه حد . فقال لخصمائه : ألكم شهود؟
قالوا : نعم . قال : فأتوني بهم إذا أمسيتم ولا تأتوني بهم
إلا معتمتين . فلما أمسوا اجتمعوا فأتوه ، فقال لهم
علي عليه السلام : نشدت الله رجلاً لله عندة مثل هذا
الحد إلا انصرف قال : فما بقي أحد فدرأ الحد .

عرض شريح ناقة لبيع ، فقال له المشتري :
كيف غزارتها ؟ قال : احلب في أي إناء شئت . قال :
فكيف وثاقتها ؟ قال : احمل على الحائط ما شئت . قال :
فكيف وطاؤها ؟ قال : افرش ونم . قال : كيف
نجاؤها (١) قال : هل رأيت البرق قط ؟

قال بعضهم : ركض رجل دابة وهو يقول :
الطريق ، الطريق . فصادم رجلاً لم ينسح ، فاستعدى
عليه فتخارس الرجل فقال العامل : هذا أنخرس .

(١) النجاء : السرعة والسبق .

قال : أصلحك الله . يتخارسُ عمداً ، والله ما زال
يقول : الطّريقَ . الطّريقَ . فقال الرجلُ : فما تريدُ
وقد قلت لك الطّريقَ ؟ قال العامل : صدقَ .

قال : كانت ابنةُ عبدِ الله بنِ معروفٍ عند أبي
حرثان فماتَ ، ولم يصل إليها لقوتها . فتزوجها أبو
دُلَفٍ (١) . فكانت تمنعه سنة لا يصلُ إليها . فقال له
مَعْقِلٌ "أخوه : ما أنت برجل . وقد عجزت عن امرأة .
فقال : أحبُّ أن تبعثَ جاريتك فلانة تكلمَها . فبعثَ
بها وأمر أبو دُلَفٍ امرأته أن تلوي العمودَ في عنقِ
الجارية إذا أثنىها وتركتهُ . ففعلت فرجعت إلى مَعْقِلٍ
فقال : أشهدُ أنَّ أخي معذورٌ . فما قدر عليها أبو دلفٍ
حتى احتالَ عليها . بأن قال لها يوما : ما أظنك ببكرٍ .
فأمكنت من نفسها .

كان بالكوفة لعبد الملك بن رامير مولى بشر بن
مروان (٢) جارية يقال لها : سلامةُ الزرقاء . وكان

(١) أبو دلف بن عيسى العجلي ، أمير شاعر ممدوح ، توفي سنة ٢٢٥ هـ .

(٢) بشر بن مروان أخو عبد الملك ، ولي العراق بن عبد مصعب .

روحُ بنِ حاتمٍ المهلبِيُّ (١) يهواها ولا تهواه ، ويكثر
غَشِيانَ منزلِ مولاها . وكان محمدُ بنُ جميل (٢)
يهواها وتهواه . فقال لها : إن روح بن حاتم قد ثَقُلَ
علينا . قالت : فما أصنعُ ؟ قد غَمَرَ مولاي ببرّه .
قال : احتالي .

فبات عندهم روحٌ ليلةً من الليالي فأخذت سراويله
فغسلته . فلمّا أصبحَ سأل عن سراويله . فقالت : غسلناه .
فظنّ أنه قد أَحْدَثَ فيه فاحتيجَ إلى غسله ، واستحيا
من ذلك . وانقطع عنها . وخلا وجهها لابن جميل .

لما استُخلف سليمانُ بن عبد الملك دفع عُمّال أخيه
الوليدٍ إلى يزيد بن المهلب وأمره ببسط العذاب عليهم ،
واستخراج المال منهم . وكان فيهم رجلٌ من بني مرّة ،
فقال ليزيد : أمّا أنا فلست بذي مال ، ولا تنتفعُ بتعذيبي
ولكن عشريني تنفكّني بأموالهم ، فأذن لي أن أجولَ
فيهم . فأذن له فقال لهم : إنّ أمير المؤمنين قد أخذني

(١) روح بن حاتم بن قبيصة المهلبى ، تولى على السند للخلفاء العباسيين ،
وعزله الرشيد توفي سنة ١٧٠ هـ .

(٢) محمد بن جميل كان أحد المقربين للمنصور .

بمال . والمالُ عندي . ولكن أكره أن أُقِرَّ بالخيانة .
فاضمّنوا له هذا المالَ عنّي وأطلقوني من حبسه . ولا
غُرْمَ عليكم فإني مضطلع بأداء هذا المال .

فنهض وجوهُ عشيرته في أمره ، وضمّنوا المال عنه
وأطلقوه . فلمّا أخذوا بالمال قالوا للرّجل : أدّ المال كما
زعمت . فقال : يا نوكى (١) . أتظنّون أنّي اختنّت مالا
تعرّضتُ فيه للمأثم ، وسُخِطَ الخليفة وعقوبته ، وأؤديه
اليومَ طائعا ، وقد صيرتُ ما أطالبُ به في أعناقكم .
لبئسَ ما ظننتم ، إغرموه من أعطياتكم وأنا فيه كأحدكم
ففعّلوا ذلك وهو كأحدكم .

همّ الأزارقة (٢) بقتل رجل فنزع ثوبه واتّزرَ
ولبّى وأظهر الإحرامَ فخلّوا سبيلَه لقول الله جلّ وعزّ
« لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ » (٣) .

غضب المأمونُ على رجل وقال : لأقتلنّك ولأخذنّ

(١) النوكى : الحمق .

(٢) الأزارقة : فرقة من الخوارج .

(٣) سورة المائدة : ٢ .

مالك . اقتلوه . فقال أحمد بن أبي دؤاد (١) : إذا قتلته
فمن أين تأخذ المال ؟ قال : من ورثته . فقال : إذا
تأخذ مال الورثة . المال للورثة . وأمير المؤمنين يأبى
ذلك . فقال : يؤخر حتى يستصفي ماله . فانقرض
المجلس وسكن غضبه وتوصل إلى خلاصه .

جاءت امرأة إلى أبي حنيفة فقالت : إن زوجي
حلف بطلاقي أن أطبخ قِدرًا أطرحُ فيها مكثوكا (٢) من
الملح فلا يتبين طعم الملح فيما يؤكل منها . فقال لها :
خذي قِدرًا واجعلي فيها الماء واطرحي فيها مكوك ملح ،
واطرحي فيها بيضاً واسلقيه ، فإنه لا يوجد طعم الملح
في البيض .

افتعل رجل " كتاباً عن المأمون إلى محمد بن الجهم
في دفع مال إليه ، فارتاب به محمد ، وأدخله على المأمون .
فقال المأمون : ما أذكرك هذا . فقال الرجل : أكل

(١) أحمد بن أبي دؤاد قاضي القضاة للمعتصم ، كان مذهبه الاعتزال ،
وكان جواداً فصيحاً بمدحاً توفي سنة ٢٤٠ هـ .
(٢) المكوك . مكيال يسع صاعاً ونصفاً .

منعروفتك تذكر يا أمير المؤمنين ؟ قال : فاجل هذا
مما نسيت وقد فعلت . قال : ادفع إليه يا محمد ما في
الكتاب .

كان حوثة الضمري صديقاً لعبد الملك وخرج مع
ابن الزبير فلمّا قُتل ابنُ الزبير استاء من الناس وأحضر
حوثه فقال له عبد الملك : كنت منّي بحيث علمت
فأعنت ابنَ الزبير . قال : يا أمير المؤمنين ، هل رأيتني
قطّ في حرب أو سباق أو نضالٍ إلاّ والفئة مغلوبة
بحرقي ، وإنّما خرجت مع ابن الزبير لتغلبه بي على رسمي .
فضحك عبد الملك وقال : قد والله كذبت ولكنّي قد
عفوت عنك .

قالت خيرة بنت ضمرة القُشيرية امرأة المهلب للمهلب :
إذا انصرفت من الجمعة فأحبّ أن تمرّ بأهلي . فقال لها :
إن أخاك أحقق . قالت : فأحب أن تمرّ بنا . فجاء
وأخوهما جالس فلم يوسّع له وجلس المهلب ناحية
ثم أقبل عليه فقال : ما فعل ابن عمّك فلان ؟ قال :
حاضر : قال : أرسل إليه . ففعل فلمّا نظر إلى المهلب
غبر مرفوع المجالس قال : يا ابن اللّٰخناء ، المهلب

جالسٌ ناحية ، وأنتَ في صدرِ المجلسِ وواثبه . فتركهُ
المهلبُ وانصرفَ فقالت له خيرةٌ : أمررت بأهلي ؟
قال : نعم وتركْتُ أخاكِ الأحمقَ يُضربُ .

قالوا : إنَّ الحجاجَ بن يوسفَ قال ذات يومَ لمحمد
ابن عُمير بن عطار (١) : اطلبُ لي امرأةً حسيبةً
أتزوجها : قال : طلبتها إن زوجتها . قال : ومن هذا
هذا الذي يمتنع من تزويجي ؟ قال : أسماءُ بن خارجة (٢) .
يدعي أنَّه لا كفءَ لبناته إلا الخليفةُ .

قال : فأضمرها الحجاجُ إلى أن دخلَ إليه أسماءُ
فقال : ما هذا الفخرُ والتَّطاولُ ؟ قال : أيها الأمير ؛
إنَّ تحتَ هذا سبباً . قال : بلغني أنَّك تزعمُ أن لا كفءَ
لبناتِكَ إلا الخليفةُ . فقال : والله ما الخليفةُ بأحبَّ
أكفائهنَّ إليَّ ، ولتَنظُراني من العشيرةِ أحبَّ إليَّ منه ،
من خالطني منهمُ حفِظني في حرمتي ، وإن لم يحفظني

(١) محمد بن عمير بن عطار ، كان سيد أهل الكوفة .

(٢) أسماء بن خارجة بن حذيفة ، من أشراف العرب ، توفي

سنة ٥٦٦ هـ .

تمدرت على أن أنتصف منه والخليفة لا نصصف إلا
بمشيئته . وحرمتته مضيئة مطرحة يقدم عاينها من ليس
مثلها . ولسان ناصرها أقطع . قال : فما تقول في الأمير ؟ .
فإن الأمير خاطيف هنداً . قال : قد روجت إيتاها بصداق
نيسائها . وحوّلها إليه .

فلما أتى على الحديث حولان دخل إلى الحجاج فقال :
هل أتى الأمير ولد . نُسِرُ ونَحْمَدُ الله على هتته .
قال : أما من هند فلا . قال : ولد الأمير من هند وغير
هند عندي بمنزلة . فقال : والله إني لأحب ذلك من هند .
قال : فما يمنع الأمير من الضر (١) ، فإن الأرحام
تتغايير . قال : أو تقول هذا القول وعندي دند ؟ قال :
أحب أن يفتشوا نسل الأمير . قال : فممن ؟ قال على
الأمير بهذا الحي من تميم . فنساؤهم مناجيب . قال :
فأيسهن ؟ قال : ابنة محمد بن عمير . قال : إنه يزعم
أن لا فارغة له . قال : فما فعلت فلانة ابنته ؟

فلما دخل إليه محمد بن عمير قال : ألا تزوج الأمير ؟
قال : لا فارغة لي : قال : فأين فلانة ؟ قال : روجتها

(١) الضر : اتخاذ الصر .

من ابنِ أنخي البارحة . قال : أحضر ابنَ أخيك ؛ فإن أقرتُ بها ضربتُ عنقه . فمجيء بابن أخيه ، وقد أبلغ ما قال الحجاجُ . فلما مشل بين يديه قال : بارك الله لك يا في . قال : في ماذا ؟ قال : في مصاهرتك لعمك البارحة . قال : ما مصاهرتك البارحة ولا قبائنها . قال : فأنصرف راشداً . ولم ينصرف محمدٌ حتى زوجته ابنته .

وحضر بعد ذلك يوماً من الأيام . عة من الأشرافِ بابَ الحجاج فحجب الجميع غير أسماءَ ومحمدٍ . فلما دخلوا قال : مرحباً بصهرى الأمير سلافي ما تريدان أسعفكما فلم يُبقيا عانياً إلا ألقاه . ولا مُجَمَّراً (١) إلا أقفلاه (٢)

فلما نخرجا أثبَعَهُمَا الحجاجُ بمن يحفظُ كلامهما . فلما فارقا الدار ضرب أسماءُ يده على كتفِ محمدٍ وأنشأ يقول :

(١) تجمير الجند : إبقاؤهم في الثنور . والعاب : الأسير .

(٢) أقفلاه : أرحماه .

جزيتك ما أسديته يا بنَ حاجب
وفاءً كعرفِ الديكِ أوقُذَّةٍ (١) النسر

في أبيات كثيرة . فعاد الرجل فأخبر الحجاج فقال :
لله درّ ابنٍ خارجة ! إذا وُزن بالرجال رجَحَ .

أتى زيادُ بوجل فأمر بضرب عنقه . فقال : أيتها
الأميرُ ؛ إن لي بك حرمةً قال : وما هي ؟ قال : كان
أبي جارك بالبصرة . فقال : ومن أبوك ؟ قال : قد والله
نسيتُ اسمَ نفسي ، فكيف اسمَ أبي ؟ قال : فردّ زيادُ
كُفَّه إلى فمه وضحك ونحلتى سبيلته .

مرّ زيادُ بأبي العريان (٢) فقال : من هذا ؟ فقالوا
زياد بن أبي سفيان . فقال : ربّ أمر قد نقضه الله ،
وعبدٌ قد رده الله . فسمعها زيادُ فكره الإقدامَ عليه
وكتبَ بها إلى معاويةَ ، فأمره بأن يبعثَ إليه بألف دينار ،
ويعرّ به ويسمع ما يقول . ففعل زياد ذلك ، ومرّ به
فقال من هذا ؟ قالوا : زياد . فقال رحم الله أبا سفيان ،
لكأنّها تسليمتُه ونغمته . فكتبَ بها زياد إلى معاوية
فكتبَ إلى أبي العريان :

(١) قُذَّة النسر : مقطع ريشه .

(٢) أبو العريان . شاعر .

مَا لَبِثْتَكَ دَفَانِيرُ رُشِيَّتَ بِهَا
أَنْ لَوْنَتَكَ — أبا العُريَانِ — أَلْوَانَا

فَدَعَا أَبُو الْعُرِيَانِ ابْنَتَهُ وَأَمَّا عِلْبَهُ إِلَى مَعَاوِيَةَ :

مَنْ يُسَدِّ خَيْرًا يَجِدُهُ حَيْثُ يُطَالِبُهُ
أَوْ يُسَدِّ شَرًّا يَجِدُهُ حَيْثُمَا كَانَ

تَقَدَّمَ رَجُلٌ إِلَى سَوَّارٍ ، وَكَانَ سَوَّارٌ لَهُ مَبْغُضَا
فَأَلَحَّ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ سَوَّارٌ فِي بَعْضِ مَخَاطِبَتِهِ : يَا بَنَ اللَّخْنَاءِ (١) .
فَقَالَ : ذَاكَ نَحْصُمِي . فَقَالَ الْخَصْمُ : أَعُدَّنِي عَلَيْهِ .
فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : نَحْذِرُ إِيَّاهُ بِحَقِّهِ وَنَحْذِرُ لِي بِحَقِّي . فَفَهِمَ .
وَسَأَلَهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ .

قَالُوا : لَمَّا حُبِسَ الْحَلَّاجُ (٢) عِنْدَ الْقَشُورِيِّ ،
مَرِضَ ابْنٌ لَهُ ، وَاشْتَهَى التَّفَاحَ الشَّامِيَّ ، وَكَانَ لَا
يَصَابُ لِفَوْتِ أَوَانِيهِ ، فَتَلَطَّفَ الْحَلَّاجُ وَاحْتَالَ حَتَّى
سَأَلَهُ الْقَشُورِيَّ تَفْاحَةً شَامِيَّةً . قَصَدَ بِهَا لِيَعْرِفَ أَمْرَ
الْحَلَّاجِ فِي صِدْقِهِ وَكَذِبِهِ ، وَأَرَادَ أَيْضًا بَلُوغَ مَرَادِهِ فِي

(١) اللخناء : المتننة الرائحة .

(٢) المنصور بن الحسين الحلاج ، كَانَ يَقُولُ بِتَنَاسُخِ الْأَرْوَاحِ
وَالْحُلُولِ ، وَقِيلَ أَنَّهُ ادَّعَى الْأُلُوْهِيَّةَ ، وَافْتَنَنَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، صَلَبَ
ثُمَّ قَتَلَ سَنَةَ ٥٣٠٩ هـ . وَأَحْرَقَتْ جَسَدُهُ .

ولده . وكان الحلاجُ قد أعدَّ تفاحةً لذلك فحين سألَه
أولهاً بيده هكذا وأعادها بتفاحة . وتناولها القشوري
يفلتبها ويتعجبُ منها والحلاج يقول : الساعة قطعُها
من شجرة الجنة . قال القشوري : إني أرى في موضع
منها عذبا . قال الحلاج غير مُطرقٍ ولا مُكثريث : أما
علمت أنها إذا خرجت من دار البقاء إلى دار الفناء ،
لحقها جزء من البلاء . فكان جوابه أحسن من فعله
وحياته .

أتني مصعب بن الزبير برجلٍ من أصحاب
المختار (١) . فأمر بضرب عنقه . فقال : أيها الأمير ،
ما أقبحَ بك أن أقومَ يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنه ،
ووجهك هذا الذي بسُتْضَاءُ به . فأتعاق بأطرافك
وأقول : يا رب . سلْ مُصعباً لماذا قتاني ؟ فقال : أطلقوه
فقال : أيها الأمير ، اجعل ما وهبت لي من حياتي في
نخفُضِ عيش . قال : أعطوه مئة ألف درهم .

* * *

(١) هو المختار بن أبي سبيد الثقفى ، من زعماء الثائرين على بني
أمية قُتل مصعب وهو أمير البصرة عام ٦٧ هـ .

فهارس السفر الثاني من نشر الدر

الموضوع	الصفحة
الباب الأول	٥
كلام معاوية بن أبي سفيان وولده	٧
يزيد بن معاوية وولده	٢٠
الباب الثاني	٢٩
كلام مروان بن الحكم وولده في الخلفاء	٣١
عبد الملك بن مروان	٣٣
الوليد بن عبد الملك	٣٨
سليمان بن عبد الملك	٤٠
يزيد بن عبد الملك	٤٣
هشام بن عبد الملك	٤٤
الوليد بن يزيد	٤٥
يزيد بن الوليد بن عبد الملك	٤٧
مسلمة	٥٠
مروان بن محمد	٥٢
الباب الثالث	٥٧
كلام الخلفاء من بني هاشم / السفاح	٥٩

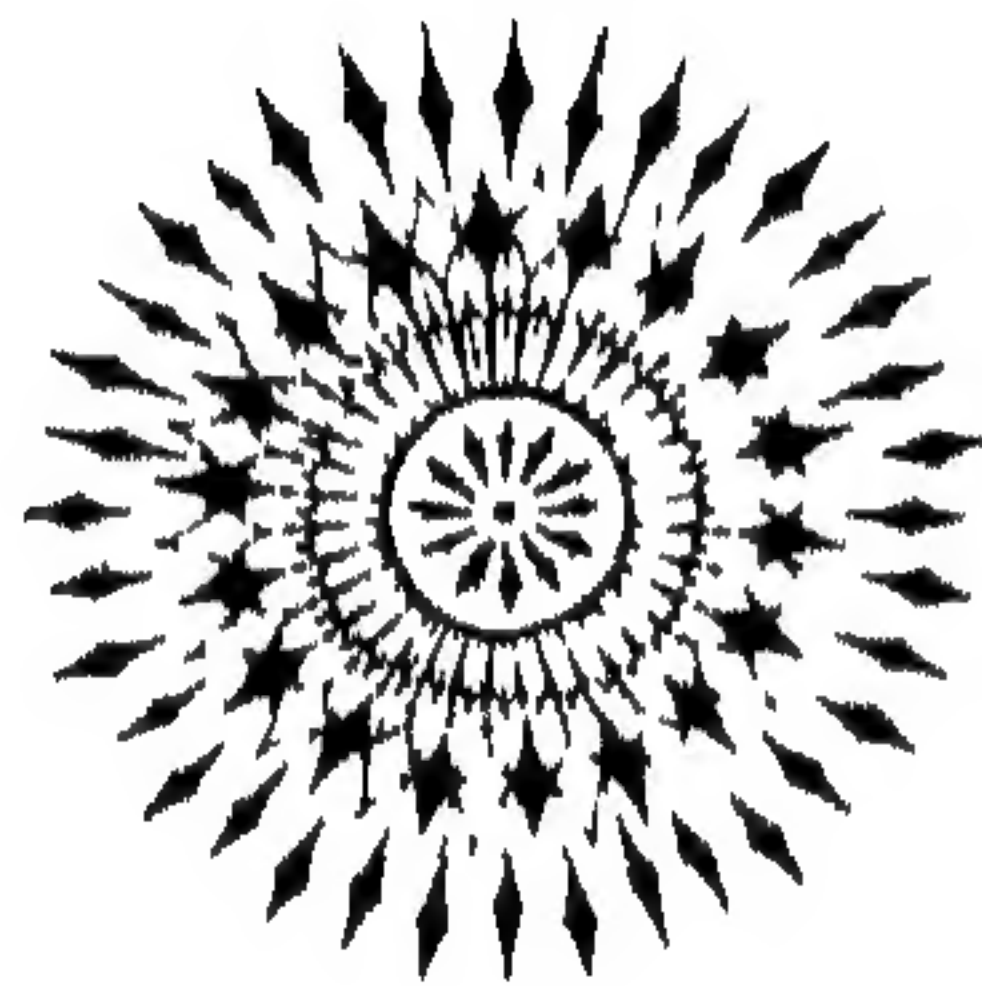
الموضوع	الصفحة
المنصور	٦١
المهدي	٦٧
الهادي	٧١
الرشيد	٧٢
الأمين	٨٠
المأمون	٨٣
المعتصم	٩٣
الواثق	٩٧
المتوكل	١٠٢
المنتصر	١٠٤
المستعين	١٠٥
المعتز	١٠٦
المهتدي	١٠٧
المعتمد	١٠٨
المعتضد	١٠٩
المكتفي	١١١
المقتدر	١١٢
الراضي	١١٣
إبراهيم بن المهدي	١١٣
عبد الله بن المعتز	١١٦

الموضوع	الصفحة
الباب الرابع	١٢١
كلام جماعة من بني أمية	١٢٣
الباب الخامس	١٣١
نكت لآل الزبير	١٣٣
الباب السادس	١٤٥
نوادير أبي العيناء ومخاطباته	١٤٧
من رسائل أبي العيناء وكلامه المستحسن	١٥٨
الباب السابع	١٦٧
نوادير مزبد	١٦٩
الباب الثامن	١٧٥
نوادير أبي الحارث جمين	١٧٧
الباب التاسع	١٨١
نوادير الجماز	١٨٣
الباب العاشر	١٨٧
نوادير المجانيين	١٨٩
الباب الحادي عشر	١٩٧
نوادير البخلاء	١٩٩
الباب الثاني عشر	٢١١
كلام الشطار ومن يجري محراهم ونواديرهم	٢١٣
الباب الثالث عشر	٢١٩
العبي ومكاتبات الحمقى	٢٢١

الموضوع
 Digitization of the Alexandria Library (AL) **الصفحة**

٢٢٧	الباب الاول
٢٢٩	كلام للنساء الشرائف
	فاطمة ابنة رسول الله عليها السلام
٢٣٥	عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها)
٢٤١	أم كاشوم بنت علي
٢٤٤	حفصة أم المؤمنين
٢٤٨	أروى بنت الحارث
٢٤٨	رؤيا رقيقة
٢٥٢	هند بنت عتبة
٢٥٤	رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب
٢٥٦	فاطمة بنت عبد الملك بن مروان
٢٥٨	أم سلمة أم المؤمنين
٢٥٩	ملنقطات من كلامهن
٢٦١	الباب الثاني
٢٦٣	نكت من كلام النساء و مستحسن جواباتهن وألفاظهن
٣٠١	الباب الثالث
٣٠٣	الحيل والخداع

٥٠٠ ط ١/٥/١٩٩٧



طبع في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٧

في الاقطار المهيبة ما يعادل
٣٥٠ ل. ص

سعر السعة داخل القطر
١٧٥ ل. ص